

# الروح المعنوية
## للجيش العربي الاسلامي في صدر الاسلام

اللواء الركن الدكتور
حازم عبد القهار الراوي

دار الشؤون الثقافية العامة







بغداد ١٩٩٨

# الروح المعنوية
## للجيش العربي الإسلامي
## في صدر الاسلام

اللواء الركن الدكتور
حازم عبدالقهار الراوي

الطبعة الاولى
- بغداد - ١٩٩٨ .

٣٥٥,٠٠٩٥٣

٢٩٩ الراوي ، حازم

الروح المعنوية للجيش العربي الاسلامي

في صدر الاسلام / حازم عبد القهار الراوي

.ـ بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ،

١٩٩٨ .

٢٠٥ ص ؛ ٢٤ سم

١ ـ الجيش الاسلامي ـ تاريخ

أ . العنوان

م . و

٣١٦ / ١٩٩٨

المكتبة الوطنية ( الفهرسة أثناء النشر )

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد رقم ٣١٦ لسنة ١٩٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا يكلف اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا ما كَسَبَتْ وعَليها ما اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة ـ الآية ٢٨٦

# المقدمة

تحقق الجيوش في صراعاتها المسلحة انتصارات باهرة ، كما انها تتعرض لهزائم وخسائر كبيرة . وتكمن هذه النتائج في أسباب عديدة ، لعلَّ بعضها ذو صلة بحجم القوات المستخدَمَة في الصراع نسبة الى حجم قوات الخصم ، أما بعضها الاخر فيتعلق بتنوع التسليح المعتمَد نسبة الى تسليح الخصم . وهناك أسباب ذات علاقة بأساليب القتال وفنونه ، وقد تظهر أسباب أخرى لها صلة مباشرة بالظروف الجوية أو المواقف الآنية غير المتوقعة . وأحياناً تجتمع كل هذه الاسباب أو بعض منها في آنٍ واحد ، فتظهر النتائج الحاسمة . ومهما هيات الجيوش من أسباب لتأمين النصر ، فان التاريخ أثبت ان الروح المعنوية للجيش المنبثقة من الروح المعنوية لعموم المجتمع تمثل أكثر الاسباب حسماً لنتائج الحروب .

فالنصر أو الهزيمة هما انعكاس طبيعي لمستوى الروح المعنوية السائدة . ومن هنا جاءت أهمية موضوع البحث الذي قدَّر الباحث ان تناوله يعد من الضرورة الواردة لسد فراغ المكتبة العربية بمزيد من الكشف عن أسرار الانتصارات الباهرة التي حققها الجيش العربي الإسلامي والمتالقة بالروح المعنوية خلال حقبة صدر الإسلام الممتدة من السنة الاولى للهجرة ، والتي أذن فيها للمؤمنين بالجهاد حتى نهاية الخلافة الراشدة .

تلك الحقبة التي تميزت بالإستناد الى الروح المعنوية العالية للمقاتلين العرب المسلمين الاوائل ، حيث برزت في المعارك التي خاضها الجيش العربي الإسلامي الفتي ضد المشركين في الحجاز بقيادة رسول الله ( ﷺ ) شخصياً ، ثم تلك

الانتصارات الباهرة التي حققها هذا الجيش ضد الروم والفرس في زمن الخلفاء الراشدين بالرغم من قلّة الموارد المتاحة آنذاك من ناحية وقلة حجم القوات العربية الإسلامية نسبة الى قوى الاعداء من ناحية أخرى .

فالعقيدة العربية الإسلامية التي جعلت المقاتل العربي المسلم يحب الموت كما يحب أعداؤه الحياة ، فتمسك بالنصر والإستشهاد هدفاً ووسيلة ، كانت منطلقاً لرفع مستوى الروح المعنوية في نفس المقاتل باقصى طاقاتها إبان تلك الحقبة من تاريخ الإسلام .

فما هي مرتكزات هذه العقيدة وتاثيرات تلك الروح ؟

إن هذا البحث يتبنى الإجابة عن هذا التساؤل في فصول أربعة تضمنتها خطة البحث .

فقد قسّم الباحث موضوعاته الى إطار نظري تضمنه الفصلان الاول والثاني والى إطار تطبيقي تضمنه الفصلان الثالث والرابع . تناول الفصل الاول مفهوم الروح المعنوية بثلاثة مباحث ، عالج في المبحث الاول المفهوم العام للروح المعنوية ، مستعرضاً عدداً من التعريفات التي تبناها مفكرون وقادة عسكريون معاصرون ، وتبنى الباحث تعريفاً محدداً اعتمده في فصول البحث اللاحقة . أما المبحث الثاني فالقى الضوء فيه على مفهوم الروح المعنوية عند العرب قبل الإسلام كحصيلة تاريخية لموضوع البحث ، عاداً ان صدر الإسلام كان إمتداداً لقيم الشجاعة والثبات والتماسك الاجتماعي التي سادت في المجتمع العربي قبل الإسلام والتي انبثقت من طبيعة حياة البادية القاسية التي فرضت التحلي بسمة الصبر من ناحية ، وطبيعة الالتزام بتقاليد القبيلة التي فرضت التحلي بالتماسك الاجتماعي بعد تحويل الولاء القبلي الى الولاء للأمة . وفي البحث الثالث تناول الباحث مفهوم الروح المعنوية في صدر الإسلام الذي هو بمثابة المدخل الموضوعي لخوض غمار البحث .

أما الفصل الثاني فقد خصص للعقيدة العسكرية العربية الإسلامية وعلاقتها بالروح المعنوية بثلاثة مباحث ، تناول في المبحث الاول العوامل المؤثرة في إنضاج العقيدة العسكرية العربية الإسلامية وأثرها في الروح المعنوية متضمنة العوامل السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، والجغرافية . أما المبحث الثاني فقد تناول ثوابت العقيدة العسكرية العربية الإسلامية وأثرها في الروح المعنوية ، متضمنة النفير ، الردع ، نقل المعركة الى أرض الخصم ، التصنيع الحربي ، الثبات في القتال ،

المخادعة ، نظام البديلين ، آداب القتال وأخلاقه ، والتعبئة النفسية والمعنوية ، وفي المبحث الثالث تمَّ بحث عناصر العقيدة العسكرية العربية الإسلامية المتمثلة ، بالتدريب ، التنظيم ، والتسليح .

أما الفصل الثالث فقد تناول الروح المعنوية في عهد الرسول ( ﷺ ) بثلاثة مباحث خصص المبحث الأول لشخصية الرسول ( ﷺ ) ، والتي كانت ذات تأثير كبير في الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي ، أما المبحث الثاني فتناول معركة بدر الكبرى أنموذجاً لتطبيقات الروح المعنوية للمعارك التعرضية ، وفي المبحث الثالث ألقى الضوء على تطبيقات للروح المعنوية في معركة الخندق أُنموذجاً للمعارك الدفاعية .

وتناول الفصل الرابع ، تطبيقات للروح المعنوية في عهد الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ وكان بثلاثة مباحث أيضاً ، تناول في المبحث الأول شخصيات الخلفاء الراشدين وأثرها في رفع مستوى الروح المعنوية ، أما المبحث الثاني فقد خصص لعرض تطبيقات لنماذج الروح المعنوية في حركات تحرير الشام ، مؤكداً على معركة اليرموك أُنموذجاً لها . وفي المبحث الثالث تناول تطبيقات لنماذج الروح المعنوية في حركات تحرير العراق مؤكداً على معركة القادسية أُنموذجاً لها . ولشمولية هذا المبحث في مواضيع متعددة ، تاريخية وفقهية ، جغرافية وعسكرية ، ونفسية واجتماعية فقد اعتمدنا على مصادر قديمة ومراجع حديثة متعددة ومتنوعة .

وكان الباحث حريصاً على احتواء كل شاردة وواردة في الأثر العلمي الخالد لإظهارها في محتواها المخصص في متن البحث ، لذلك قد رفدنا المباحث وتفاصيلها بالنوادر والحقائق التي من شأنها أن تلبي طموحات دراستنا .

والله الموفق .

# الفصل الأول

# مفهوم الروح المعنوية

## المبحث الأول

## المفهوم العام للروح المعنوية

## المبحث الثاني

## الروح المعنوية عند العرب قبل الاسلام

## المبحث الثالث

## الروح المعنوية في صدر الاسلام

## المبحث الاول

# المفهوم العام للروح المعنوية

تمثل الروح المعنوية العالية للمقاتلين المنبثقة من الحالة المعنوية لعموم المجتمع واحدة من المقومات الاساسية لانتصارها . ففي كنفها يتمكن المقاتل من إظهار قابليته على العمل الإبداعي الخلاق .

فالروح المعنوية العالية تعد الباعث الاساس لارادة القتال وواحدة من أهم عوامل النصر في الحرب(١) .

ولما كانت الروح المعنوية للمقاتلين مرتبطة بواقع الحالة المعنوية للمجتمع فان النصر والهزيمة يرتكزان الى حالة هذه الروح للشعوب والجيوش المتحاربة معاً ، فالجيش يستمد قوته من الشعب(٢) .

وهكذا اتسمت الحروب سواء في التاريخ القديم أم في الحديث أو المعاصر فالنصر هو حليف الدول ذات القدرة المستمرة على إدامة متطلباتها واحتياجاتها العسكرية ، كما ان قوة الجبهة الداخلية وثباتها تعتمد بشكل رئيس على نظرة أبناء الشعب الى الحرب ودرجة تقبلهم النفسي لها(٣) . ولذلك لا يمكن فصل الروح المعنوية للجيش عن ارتباطها العضوي ، والحي والوثيق بالحالة المعنوية للسكان جميعاً ، فهي في الوقت الذي تعبّر عن روح القتال والعوامل النفسية والمادية التي ينبغي أن يكون للمقاتل الإيمان والثقة بنفسه وبقائده وبالقضية التي يقاتل من أجلها(٤) . فهي مرآة عاكسة لواقع المجتمع وطبيعته . ان ذلك يعني انه من الخطأ تصور الروح المعنوية على انها سمة عسكرية فقط ، بل هي ظاهرة أكثر شمولية من هذا الإطار ، فيبرز دورها في شتى مجالات المجتمع . وبهذا الاتجاه سنتناول موضوع بحثنا عن الروح المعنوية في الجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام ، فهي روح شائعة ومشعة . ولكي نخوض غمار هذا الموضوع لا بد من تبني معنى موضوعي ودقيق للروح المعنوية بما ينسجم مع اتجاهات البحث ، إذن فما هو هذا المعنى ؟ للإجابة عن هذا التساؤل لا بد من التعرف على المفاهيم التي أطلقها الباحثون

المحدثون على الروح المعنوية ، وسنتعرف على بعض منها . عرّفها بعضهم بانها ( القوى الكامنة في صلب الإنسان التي تكسبه القابلية على الاستمرار في العمل والتفكير بعزم وشجاعة مهما اختلفت الظروف المحيطة به )[٥] . وعُرّفت أيضاً بانها ( درجة رضا الفرد عن العمل الذي يحققه من خلال انتمائه لمنظمة ما )[٦] . وهناك مَنْ عرّفها بانها ( محصلة اعتقادات الفرد ومشاعره ومواقفه الإقدامية أو الإحجامية التي يمكن الإستدلال عليها من خلال استجابته نحو المثيرات التي تؤثر به كفرد ودوره وعلاقته بالجماعة ومقدار ارتباط مصيره بها ودفاعه عن أهدافها )[٧] وعرّفها البعض بأنها ( الحالة العقلية للفرد في وقت معين ، وتحت تأثير ظروف معينة )[٨] . وعُرّفت أيضاً بانها تعني ( جملة من الاتجاهات النفسية التي تسود أفراد الجماعة في مجموعهم )[٩] . وعُرّفت الروح المعنوية أيضاً بانها ( مصطلح يُطلق على فكر وسلوك الفرد ومقدار تكيفه واتجاهه الإيجابي بالنسبة للجماعة وأهدافها وقيادتها )[١٠] . وعرّفها بعضهم بانها ( حالة الفرد النفسية وروح الفريق والنظر الى الجماعة على انها قيمة إيجابية والرغبة في استمرارها ، والتوافق الشخصي مع الجماعة بربط الحاجات الضرورية بحاجات الجماعة )[١١] . ويرى آخرون أيضاً أن الروح المعنوية لا تستند الى أُسس مادية تتعلق بظروف العمل فحسب ، بقدر ما تستند الى شعور الفرد بالرضا النفسي[١٢] . ووُصفت الروح المعنوية أيضاً بانها ( تلك الروح أو المزاج السائد بين جماعة من الأفراد التي تتميز بالشعور بالثقة بالجماعة ، وبثقة الفرد في دوره في الجماعة ، وكذلك الشعور بالولاء تجاه الجماعة أو الإستعداد للكفاح من أجل تحقيق أهداف الجماعة )[١٣] . وهناك مَنْ يرى بأن الروح المعنوية للجماعة تعني ان أفراد الجماعة يؤدون واجباتهم اداءً سليماً كل فيما يخصه كما انهم يتعاونون فيما بينهم تعاوناً وثيقاً كوحدة مترابطة متماسكة[١٤] . في حين ان بعضهم الاخر يرى أنها ( لفظة تطلق على الفرد أو الجماعة للدلالة على وجود حالة معينة بالنسبة للضبط الذاتي والثقة بالنفس والعمل المنضبط )[١٥] . وهناك تعريف آخر يقول بأن الروح المعنوية هي ( إرادة يدعمها العقل لبلوغ هدف مشترك )[١٦] .

ويرى باحث آخر بان الإنسان هو الاداة الأولى للقتال ، فلا يمكن أن يكون هناك شيء منظّم بصورة كاملة في جيش من الجيوش دون معرفة وثيقة بهذه الاداة الأولى ، معرفة بالرجل وبوضعه المعنوي[١٧] . وفي رأي آخر ، فان الروح المعنوية تعني روح

القتال ، وروح القتال تاتي في مقدمة العوامل التي يترتب عليها نجاح الحروب وكسب المعارك لانها تشمل صفات الجند وأخلاقهم وحسن انتظامهم وشجاعتهم واخلاصهم وقوة احتمالهم وقدرة قادتهم وكفاءتهم وإيمانهم باحقية الغرض الذي يحاربون من أجله(١٨) . وهناك رأي يقول بان النصر في الحرب هو محصلة عوامل متفاعلة ، لعل العامل المعنوي المتصل بالصفات والآثار المعنوية والفكرية واحداً من أهمها(١٩) أما الرأي الآخر فيقول بان القوة الحقيقية تكمن في الروح المعنوية والروح القتالية والثقة المتبادلة بين القائد والجنود(٢٠) وهناك مَنْ يرى بان كل شيء في الحرب معنوي(٢١) . ويرى آخرون بان الروح المعنوية تمثل حاجات الفرد ومدى الرضا الذي يراه الفرد نابعاً من عمله(٢٢) وهناك مَنْ يصف الروح المعنوية بانها تمثل الثبات والشجاعة والامل والثقة والحماس والولاء وروح الجماعة والتصميم ، وهي قوة باقية وروح تبقى الى النهاية وهي إرادة على النصر(٢٣) . ويعتقد آخرون بان المقصود بالروح المعنوية هو حالة الشخص بالارتياح أو عدمه في معيشته الاجتماعية ، فليست الروح المعنوية سمة نفسية محددة بل تنطوي على فكرة توافق الشخص بالمجتمع ، وإذا قسّمت تباعاً للمواقف الاجتماعية ، كالروح المعنوية في الصناعة ، والروح المعنوية في المجتمع ، والروح المعنوية في الجيش ، والروح المعنوية القومية ، كانت الروح المعنوية في الفرد معناها الارتياح الذي يشعر به الفرد من اشتراكه في حياة الجماعة(٢٤) .

وهكذا نستخلص مما تقدم من التعاريف والآراء المختلفة ان البعض يرى الروح المعنوية بانها ( حالة ) أما البعض الآخر فيراها ( قوة ) وهناك مَنْ يراها ( اتجاه ) ، أما الآخرون فوصفوها بالمشاعر والاعتقادات . هذا ما يتعلق بالوصف العام للروح المعنوية . أما ما يخص مجالات الروح المعنوية ، فمنهم مَنْ يرى بانها مجال محدد ( للفرد ) بينما يرى بعضهم الآخر بانها مجال يشمل ( المجموع ) . وهناك مَنْ يرى أنها مجال مشترك يشمل الفرد والجماعة على وجه السواء . وإذا تم حصر هذه الآراء مشتركة ، نجد ظهور مفردات ومعاني متعددة مثل ( حالة ، قوة ، اتجاه ، إرادة ، مشاعر ، اعتقاد ، حاجة ، ورغبة ) .

انها متباينة في المعنى ولكنها متحدة في الهدف . ولغرض تحديد مسار هذه المفردات ومعانيها ، قسّمها الباحث على محورين ، الاول يحمل معاني التاثير في جوهر الفرد والثاني يتعلق بتاثير الإنسان على غيره .

تمت دراسة المحورين بتحقيق الاستجابة للروح المعنوية ومعانيها ، ووجد الباحث ان ( الطاقة ) يمكن أن تكون العامل المشترك لتوحيد دوافع القوة والارادة من خلال الإيمان في المعتقد والمشاعر في تحديد الاتجاه والحاجة . والطاقة المتولدة الخفية الجوهرية هي ( الروح ) ، أما الطاقة المنبثقة من الفرد الى المجموع وبالعكس فهي ( المعنوية ) في التاثير والتاثر . ولعل ( المعنوية ) تنبع من الذات البشرية للفرد ، لتؤثر بالمجموع ، كذلك الحال عندما يكون الإنبعاث من المجموع فيؤثر بالفرد .

فمصاهرة هذه العملية في ( العلاقة التاثيرية ) بين القائد ومقاتليه المحاربين هي علاقة الموجه للموجَهين بمعنويات القائد في قيادة مقاتليه ، وهي العلاقة التاثيرية نفسها التي تؤثر على القائد بزيادة الروح المعنوية لديه من المجموع وهم مقاتلوه . فتتبلور أهمية هذه الروح المعنوية عملياً حين يتاثر المقاتل بعد إيمانه للقتال ، والإيمان هو ليس أمراً طبيعياً وسهلا بل انه قرار يتولد من نفس المقاتل قبل بدء القتال .

وحين تتولد القناعة بتاثير الروح المعنوية ( الموجهة إليه ) يتولد الدافع والرغبة لخوض الصعاب والمخاطر .

إذن القناعة تولد الدافع ، والدافع يولد السلوك الإنساني المادي المتميز وهنا يجيز الباحث نتيجة ما تقدم إضفاء تعريف الروح المعنوية : انها الطاقة الخفية المولدة للعوامل المادية المتمثلة باندفاع المقاتل للتمسك بالصبر والشجاعة تجاه التعب ، والصعاب ، والمخاطر ، مهما تفاقم ضغطها . ولا بد من الإشارة الى ان هذه الطاقة الظاهرة باقتحام الصعاب وخوض المخاطر بشجاعة عالية ، يكون مصدرها ، التلقين المكتسب ، باشارة داخلية خفية مع مران الفرد باستجابته ليتحمل أقصى الضغوط . ونستنتج ان الروح المعنوية تعني درجة معينة من الإستعداد النفسي للمقاتل لتحمل مشاق الحرب والحفاظ على إرادة المقاتل والانتصار على العدو بعزيمة وشجاعة عالية . وهي تعني في الوقت نفسه قدرة المتحاربين على خوض الحرب بكفاءة واندفاع . وهناك العديد من العوامل التي تحدد مستوى الروح المعنوية للجيش ، لعل حكمة القرارات الصادرة عن القيادات ذات دور مهم في تحديدها . كما ان تطورات الحرب من انتصار الى آخر هي خير دافع لرفع مستوى الروح المعنوية كما حدث في حركات التحرير العربية الإسلامية . وقبل كل شيء فان الإيمان والقناعة

بعدالة القضية التي يقاتل من أجلها الجيش والإعداد المسبق للمقاتلين ، سواء كان على مستوى المعرفة بأهداف المعركة أم على مستوى التدريب يحقق دعماً مهماً للروح المعنوية ، فالجيش الذي يدرك مهمته بوصفها مسؤولية اجتماعية وقضية ضمير قادر على تحمل أعباء التعب البدني والضغط النفسي أكثر من الجيش الذي يقف من واجبه العسكري موقفاً شكلياً وتقليدياً . ففي الجيش الاخير يستند الانضباط قبل كل شيء الى الإكراه والخوف . فالروح المعنوية الجيدة تستند فضلا على الإيمان الى ( الشعور بالعزم والتصميم والفهم الواضح للغاية ، والضبط واحترام النفس والثقة بالأسلحة والكفاءة في استخدامها ، والادارة الصائبة )[٢٥] . وعادة فان سلوك المقاتل خلال سير المعركة يعكس مدى تاثير السجايا القيادية التي يتمتع بها قائده[٢٦] .

إن النصر هدف حاسم يتوخاه كل جيش في الحرب ، وفيه وحده يستطيع إملاء إرادته على خصمه وتحقيق الأهداف والاماني التي خاض من أجلها المعارك . وقد أثبتت الحروب كافة منذ أقدم العصور ان النجاح في الحرب يتوقف على الروح المعنوية أكثر مما يتوقف على المزايا البدنية ، فلا الاعداد البشرية ولا الأسلحة المختلفة ولا الموارد المادية الاخرى يمكنها التعويض عن النقص في الشجاعة والعزم والروح التعرضية الجسورة والإيمان بالقضية العادلة التي يقاتل من أجلها . فالروح المعنوية العالية هي التي تجعل المقاتل مستعداً دوماً لبذل آخر قطرة من دمه في سبيل نيل الهدف دون النظر الى الضرر أو الخطر الذي قد يصيب ذاته . وتتميز الروح المعنوية بالتماسك النفسي والشجاعة والمبادرة والمزاج الطيب والانضباط والروح الرفاقية العالية والقناعة والإيمان الكامل بالنجاح[٢٧] .

إن العمل بروح الجماعة والفريق يعد واحداً من مرتكزات دعم الروح المعنوية أيضاً ، فالمقاتل يترك أهله ونمط حياته العامة عند انتقاله الى العمل في صفوف الجيش فيشعر للوهلة الاولى بالإنكماش والغربة . إلا ان مرور الوقت كفيل بجعله جزءاً مهماً من وحدته ، ويتطور هذا الامر ليعزز التماسك بين المقاتلين ، وتصبح وحدة الهدف ووحدة المصير هما رابطتين أساسيتين للعلاقة بين المقاتلين وتدعمان عناصر القوة فالجماعة تعني القوة ، وتتحلى هذه القوة بدقة ادائها وحسن تنظيمها ودرجة تاثيرها في مواجهة الصعوبات والتغلب عليها مستخلصة قيمتها وتاثيرها من عناصر التكوين ذات الالتزام الانتمائي المتصف بالألفة والانصهار الروحي تحت مظلة

المصير المشترك . حيث يعد العمل الجماعي في الجيش من الضرورات الاساسية لبناء علاقات إنسانية متطورة[٢٨] . ويعد التدريب واحداً من العوامل المهمة المؤثرة في الروح المعنوية فهو نشاط مخطط له يهدف الى إحداث تغييرات في الأفراد والتشكيلات من حيث مستويات العمل وتطوير السلوك والكفاءة[٢٩] ، لبناء الشخصية العسكرية المتجلية بالإيمان والروح المعنوية العالية .

وهكذا نجد ان الروح المعنوية تستند الى مهارة القائد وخبرة وشجاعة الجند[٣٠] ، ومستوى تدريبهم ومدى قناعتهم بالقضية التي يقاتلون من أجلها فضلًا على روح الفريق التي تؤدي الى التفاهم والتكيف والتهيؤ الفعال لمجابهة المواقف لتعزيز عناصر الثبات والرسوخ بين أفراد الجماعة[٣١] .

وبالطبع فان كل ذلك يمكن أن يستدل عليه من تصرفات المقاتل في المواقف المختلفة ، فالروح المعنوية هي وسيلة لقلب الهزيمة الى نصرٍ والنصر الى هزيمةٍ . والجيوش تقهر حينما يأخذ اليأس طريقه الى مقاتليها .

## الهوامش

( ١ ) اللواء محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ١٥١ .

( ٢ ) الفريق الركن محمد فتحي أمين ، الحرب والمعنويات ، المطابع العسكرية ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ٢٣ .

( ٣ ) اللواء الركن علاء حسين مكي خماس ، أفكار حول الحرب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١٤ .

( ٤ ) اللواء الركن علاء حسين مكي خماس ، التفوق العددي ضرورة موضوعية أم حالة نسبية ، المطابع العسكرية ، بغداد ، ب.ت. ، ص ١٤١ .

( ٥ ) اللواء الركن محمود شيت خطاب ، الإسلام والنصر ، دار الفكر ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص ١٥ .

( ٦ ) Miller, CD. 8 from, M. Industrial sociology. New York Harper. Row Puloishers. 1964. P. 370.

( ٧ ) كامل علوان الزبيدي ، علم النفس العسكري ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٨٩ ، ص ٣٢٧ .
( ٨ ) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل الى العقيدة الاستراتيجية العسكرية ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ .
( ٩ ) أحمد عزت راجح ، علم النفس الصناعي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٦٥ ص ٤٤٠ .

( ١٠ ) فخري الدباغ وقيس عبدالفتاح ، علم النفس العسكري ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ١٩١ .
( ١١ ) الدكتور قباري محمد اسماعيل ، علم الاجتماع السياسي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ٣٥٨ .
( ١٢ ) عبدالرحمن محمد عيسوي ، اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٠ ، ص ١٠٠ .
( ١٣ ) محمد عاطف السعيد ، فصول في علم النفس العسكري ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٨٩ .
( ١٤ ) أسعد مرزوق ، موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ١٤٦ .
( ١٥ ) صلاح مرزوق مخيمر ، وعبده ميخائيل رزق ، المدخل الى علم النفس الاجتماعي ، مكتبة الإنكلو المصرية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦٨ ، ص ٧٨ .
( ١٦ ) قيس مغشغش السعدي ، الروح المعنوية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٢٧ .
( ١٧ ) محمد فرج ، المدرسة العسكرية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٣٤٤ .
( ١٨ ) كارل كلاميزفتيز ، الوجيز في الحرب ، ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٧٦ .
( ١٩ ) مونتغمري ، الحرب عبر التاريخ ، تعريب فتحي عبدالله النمر ، مكتبة الإنكلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٣٠ - ٣١ .
( ٢٠ ) الجنرال جان بيريه ، الذكاء والقيم المعنوية في الحرب ، تعريب أكرم ديري والهيثم الأيوبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ١٤٣ .
( ٢١ ) صاموئيل هيتز ووليم توماس تولي ، القيادة ، ترجمة سامي هاشم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ٢٠٩ .
( ٢٢ ) جون أم. كولينز ، السوق الأكبر ، ترجمة اللواء الركن علاء حسين مكي خماس ، مديرية التطوير القتالي ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٥ ، ص ٦٠ .
( ٢٣ ) ج. ب. جيلفورد ميادين ، علم النفس النظرية والتطبيقية ، ترجمة الدكتور يوسف حداد ،

المجلد الثاني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٧٤٣ - ٧٤٤ .

( ٢٤ ) اللواء الركن علاء الدين حسين مكي خماس ، أفكار حول الحرب ، مرجع سابق ، ص ٨٣ - ٨٤ .

( ٢٥ ) العميد الركن حازم عبدالقهار الراوي ، الشخصية العسكرية القيادية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٦٩ .

( ٢٦ ) الفريق الركن محمد فتحي أمين ، الحرب والمعنويات ، ص ٢٩ .

( ٢٧ ) العميد الدكتور سعد خضير العبيدي ، ملاحظات في تقويم الحالة المعنوية ، إصدارات مديرية التوجيه المعنوي ، وزارة الدفاع ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٦١ .

( ٢٨ ) اللواء الركن مكي مصطفى حمودات ، الادارة الحديثة ومداخلها في القوات المسلحة ، المطابع العسكرية ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ٤٧ .

( ٢٩ ) العقيد الركن عبدالرزاق ابراهيم ، الفكر العسكري ومبادىء الحرب في صدر الإسلام ، مديرية المطابع العسكرية ، عمان ، ١٩٨٨ ، ص ١٦٧ .

( ٣٠ ) Bertram H. Raven & Jellrey Z. Rvbin, Social Psychology. Second Edition, U. S. A, 1983 , P. 565.

( ٣١ ) كامل علوان الزبيدي ، علم النفس في الميدان العسكري ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٩٦ .

## المبحث الثاني

# الروح المعنوية عند العرب قبل الاسلام

ساد النظام القبلي حياة العرب قبل الإسلام نتيجة « العوامل الطبيعية والظروف القاهرة لتلك البيئة التي تتحكم في الأسس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لحياة البشر »[1] . وعاش العرب على شكل وحدات اجتماعية متعددة سبيلا الى تجاوز ظروفهم الصعبة وتلبية احتياجاتهم الحياتية ، أطلق على كل وحدة منها اسم ( القبيلة ) والتي عدت عماد الحياة في البادية ، بها يحتمي الاعرابي في الدفاع عن نفسه وعن ماله[2] . ولما كانت الحياة القاسية ، قد أثرت في حياة الفرد ، فهو بحاجة الى مَنْ يشد أزره ويحميه من أن يناله ضيم أو مكروه أو تصيبه هلكة في هذه البيئة القاسية . ولذلك فقد كان العربي لا يفهم الدولة إلا من خلال دولة القبيلة وهي دولة صلة الرحم التي تربط الأسرة بالقبيلة . دولة النسب التي تربط الأفراد وتجمع شملهم ، وهو دين الدولة عندهم وقانونها المقرر[3] . ولذلك كانت القبيلة تؤمن الحماية لأبنائها .

وإذا تأملنا موقع بلاد العرب ، بين ثلاث قوى متمثلة بالساسانية والبيزنطية والحبشية ، ومحاولة كل منها إذكاء الفرقة والتشتت بين العرب ، فان ذلك يكشف عن واحد من أسباب بقاء النظام القبلي حياً محفوظاً بتقاليدهم وعاداتهم وأعرافهم ردحاً من الزمن ، فقد ساد هذا النظام مجتمعات البداوة والقرى والمدن ، وسبب ذلك يكمن في ان « هؤلاء الناس وإن تحضروا واستقروا وتركوا حياة البادية بقوا برغم ذلك متمسكين بالانتساب الى جد أعلى نُسبت إليه القبيلة »[4] . والقبيلة هي الرابطة الموحدة لابنائها . وما كان الفرد يُعرف إلا من خلال هويته القبلية ، فلان الغطفاني ، والشيباني ، نسبة الى قبائل غطفان وشيبان . فبقي النظام القبلي المبني على النسب معززاً لوحدة الدم والارتباط العائلي ، فكانت تقاليدهم وأعرافهم لا تسير خارج توجيهات النسب ، إذ أعزوه وفخروا به ، لانه كبرياؤهم وشموخهم ، وبلا شك ، ان أول

علم لديهم كان علم النسب فدونوا به مناقبهم وأخبارهم[٥] ، وهو حبل الربط بالفرد ثم الاب والجد الاعلى ، دلالة لصراحة انتسابهم ، وان تمسك العرب بالنظام القبلي جاء بسبب كونه أحد أسباب الالفة والتماسك ، فهم أحوج الى ذلك ، حيث كانوا قبائل متفرقة فحفظوا أنسابهم ليكونوا متضافرين به على أعدائهم[٦] . ولم يكتفِ العرب بحفظ أنسابهم ، بل ذهبوا الى حفظ أنساب خيولهم أيضاً لما لها من تاثير اعتباري ومعنوي كبير الامر الذي جعل الخيول العربية تتسم بطابع متفرد وأصيل[٧] واعتمد النظام القبلي بدرجة أساسية على رئيس القبيلة وهو أحد أبنائها الاقوياء وكان يتمتع عادة برجاحة العقل والخلق والشجاعة والكرم[٨] ، وفي معظم الأحيان كان رئيس القبيلة قائدها في الحرب والسلم[٩] ، كما هو حال هاني بن مسعود الشيباني زعيم قبيلة بني شيبان وحنظلة بن ثعلبة العجلي زعيم قبيلة عجل في معركة ذي قار[١٠] . وسيد القبيلة بوصفه أحد أركان النظام القبلي ، قد خلق تقليداً ثابت المعالم والقيم في نواحي الرئاسة ومواصفاتها ، ولعله يجمع خصالًا تؤهله للسيادة على قومه ، منها أصالة النسب وهي عامل مهم والسخاء والنجدة ، والصبر ، والحلم ، والتواضع[١١] . وعلى سيد القبيلة واجبات غير قليلة « فعليه أن يفض النزاعات ، ويحكم في الخلافات إذا لجأ إليه المتخاصمون ، ويقود القبيلة وقت السلم والحرب ، ويقسم الغنائم بين المحاربين . ان شعور البدوي بانتمائه الى قبيلته التي يحميها وتحميه يسمى بالعصبية القبلية ، وهي رابطة تستند الى النسب ، وأعراف خاصة يجب أن تُطاع »[١٢] . وكانت العصبية القبلية حافزاً مهماً لرفع الروح المعنوية ضمن مستوى القبيلة الواحدة وخاصة في القتال والنزاعات . وهي ضرورية للقبيلة ، لانها لا تستطيع أن تدافع عن نفسها إلا إذا كانت في عصبية ونسب ، وبذلك تشتد شوكتها ويخشى جانبها[١٣] ، فجميع أبناء القبيلة يحملون واجبات مشتركة في الدفاع ودفع الدية[١٤] . والعصبية هي دعوة الرجل الى نصرة عصبته والتآلف معهم على مَنْ يناوئهم ظالمين كانوا أم مظلومين[١٥] ، فكانوا ينصرون الاخ وابن العم أخطأوا أم أصابوا ، عدلوا أم ظلموا ، بمعنى ان الرجل كان يلحقه العار إذا قعد عن نصرة أخيه أو ابن عمه[١٦] .فكانت العصبية تنمي الشعور بوحدة النسب الذي يزيد في تماسك أفراد القبيلة . وهذا يرفع الروح المعنوية في الحرب لان تماسك المقاتلين يفضي الى رفع قدرة القتال في نفوسهم ويؤجج سمة الصبر وتحمل المشاق تجاه التعب والصعاب والمخاطر مهما تفاقم ضغطها[١٧] .

والتعصب هنا لا يعني التجمع الحسي ، بل هو التجمع المعنوي الذي يشعر فيه الفرد بانه جزء لا يتجزأ من العصبة التي ينتمي إليها . بل هو على إستعداد دائم لان يفقد شخصيته فيتقمص شخصية العصبة[١٨] فكان كل فرد من أفراد القبيلة مرغماً على الإذعان لنظامها بما تمليه عليه من حق وواجب الدفاع والنصرة .

كما وحدد نظامهم القبلي مبدأ العقاب للمخالفين الذين يخرجون عن ما هو مالوف لديهم من أعراف وتقاليد . وعززوا العقاب بالتشهير ، واعلانه أمام مجالسهم وتجمعاتهم للقبائل اعلاناً عن الفرد المعاقَب وفضح أعماله الدنيئة .

وأطلقت تسمية ( الخلع ) عقوبة للفرد ، بعد ان تعزم القبيلة بطرد الفرد والتنصل منه وأعماله وكانت القبائل العربية توقد ناراً في مواسمها ، وتعلن ان هذه النار هي دلالة على غدر فلان من القبيلة[١٩] . فيذكرون فعلته حتى لا تستجيره قبيلة أخرى ، فيبقى المخلوع في ضالته يعيش معزولا عن صحابة قبيلته وأسرته ما تبقى من عمره ، فهو النفي بحد ذاته وفقدان جنسية القبيلة . وعملية الخلع ما هي إلا تقويم سلوك أفراد القبيلة ، لئلا يقوموا بفعل يلحق العار بالقبيلة ، حيث كانت العادات القبيلية تلزم القبيلة كلها عن فعل قبيح ارتكبه رجل منها[٢٠] . ولذلك فان القبيلة تظل متمسكة بكل فرد من أفرادها ، تحافظ عليه وترعاه ، وتنصره ، ما دام يسير وفق عرفها فإذا ما بدر منه سلوك لا ترضاه ، أو اعتاد أموراً لا توافق عليها ، عزلته .

إن من أهم مظاهر القبيلة هي الاستغاثة والتي تعني مد العون من رجال القبيلة لمَنْ طلب العون والنصرة حال سماع نداء الاستغاثة ، وكذلك وفاء الرجل لأهل عصبته ، ليس له مخالفتهم مهما كانت درجة الخلاف بينه وبينهم ، لانه فرد وهم جماعة ، إن أصابه ضيم فلا بد لجماعته من مواساته ومن الانتصار له مهما كانت أسباب الفرقة . وما سيصيبه سيؤثر في جماعته حتماً[٢١] .

وكما مر بنا فان طبيعة الصحراء لا تتقبل المجتمعات الكبيرة بل تعتمد على المجتمعات الصغيرة المتناثرة . فصارت الاحياء فيها متباعدة منتشرة هنا وهناك ، كل حي مسؤول عن حماية نفسه وعن وقاية أفراده من أذى الإنسان والطبيعة ، لانه إن لم يفعل ذلك ، لم يجد مَنْ يدافع عنه أيام الشدة والعناء . ومن أجل ذلك أصبحت الشجاعة مقترنة بالقتال سمتين في البدوي نشا عليهما وترعرع[٢٢] .

وهنا يقول ابن خلدون ( ان أهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضر ،

حيث انهم لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي قائمون بالدفاع عن أنفسهم ، فهم دائماً يحملون السلاح مدلين بباسهم واثقين بأنفسهم ، قد صار لهم الباس خلقاً والشجاعة سجية يعودون إليها متى دعاهم داعٍ أو استنفرهم صارخ )[٢٣] .

والقبائل الكبيرة هي القبائل المتمكنة من الدفاع عن نفسها ، أو شنها الحرب ، أو الإغارة على قبيلة أقل منها عدداً . وعنصر القوة هنا محدد بعدد أفراد القبيلة والقبائل الكبيرة التي لا تحتاج مساعدة قبيلة أخرى في الملمات والخطوب أو حتى الاحلاف المعروفة كانت تسمى ( بجمرات العرب )[٢٤] .

وإذا تحرينا عن تماسك أفراد هذه القبائل نجد وحدة روحهم المعنوية الاساس الذي تعبّر عنه بقوتها وليس على أساس عدد السلاح وتنوعه فالقبائل العربية متماثلة في معرفتها للسلاح المألوف وقتذاك .

والقبائل العربية شاعت الاحلاف في حياتها الحربية والاقتصادية ، نصرة وقوة لعلها تضيف عدداً على عددها حتى بقيت هذه الاحلاف مرافقة لاسمها ، كالعبادة وبني فرسان وتنوخ[٢٥] . وعن البكري قوله ( لما رأت ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة وتنافس الناس في الماء والكلأ والتماسهم المعاش في المتسع ، حالف القليل منهم الكثير )[٢٦] . ومن شعائر القبائل المتحالفة عند بدء التحالف ( ينحرون جزوراً ويغمسون أيديهم في دمه )[٢٧] .

ونظراً للحاجة الى العدد ، فقد رجح المجتمع القبلي الذكور على الاناث ، حتى ظهر نتيجة الترجيح مقتهم للاناث ، فضلا على ظروفهم المعاشية الصعبة ، وخشية السبي وانتهاك العرض . ونجد في ولادة الذكر غبطة وأفراحاً ونحراً للجزور ودعوة الى الطعام بمناسبة انجاب رجل المستقبل ، فتبرز هنا دوافع خلق الروح المتماسكة بالقوة وغاية كفاءة الرجل في قبيلته . انه حقاً مجتمع مقاتل ، لم يكن يرغب بالضعف والهوان .

مما تقدم ، يمكن القول ان مقياس الروح المعنوية عند العرب قبل الإسلام استند الى أساس تفاعل حالة المجموع ، وليس الى أساس حالة الفرد بذاته أو الى مجموع حالة الافراد ، والسبب يعود كما ذكرنا الى انتماء الفرد المطلق الى القبيلة وعدم إمكانه العيش منفرداً بمعزل عن تقاليد وأعراف والتزامات قبيلته حيث كانت تنتهي حدود الفرد في إطار الجماعة .

فتَكَوّنَ عند العرب قبل الإسلام ، قانون ينظِّم حياتهم الاجتماعية ، والحرفية ، والاقتصادية اقتباساً من فطرتهم والطبيعة المحيطة بهم ، ومضى هذا القانون بخطى لا تلين ، بناؤه المجموع وأساسه الفرد ، محكوم بسيد القبيلة أو شيخها ، للمحافظة على الأعراف والتقاليد والمعتقدات حاكم لقضائه ومستدركاً للمستقبل ، فهو قائد الجمع وموحد صفهم ، واعظاً خطيباً يثير نخوتهم ويؤلبهم على الاعتداء وقت ما شاء .

لهذا الدور المتميز ، نتلمس الاتجاه المعنوي المؤثر في رجاله ، فتنطبق الحالة مع دراستنا في الكشف عن الروح المعنوية التي تم عرضها في مبحثنا الاول[٢٨] ، حيث تنبثق الروح المعنوية موجهة مؤثرة من شيخ القبيلة وهو سيدها ، فتؤثر في المجموع وهم رجالها . وكذلك نجد الاستجابة في القتال الرائع والمنازلة الحقة ، لتكون رد فعل إيجابياً على شيخ القبيلة وهذا الرد هو الروح المعنوية المتوجهة من المجموع الى القائد . فيدعو للمفاخرة ويندب شعراء قبيلته لتوثيب الرجال والكل يستجيب الى النداء طائعين منفذين أمر سيدهم مقاتلين مجندين محاربين[٢٩] . مؤججاً فيهم تلك الطاقة الخفية المولِّدة للعوامل المادية المتمثلة باندفاع أبناء القبيلة للتمسك بالصبر والشجاعة تجاه الصعاب والمخاطر مهما اشتدت .

وعملياً فان حالة الإنسان البدوي الخُلقية والخِلقية كانت تؤهله لان يتمتع بروح معنوية عالية ، فهو على العموم نحيف الجسم ، متوسط القامة ، ذو قدرة كبيرة على الصبر وتحمل المشاق الجسمية من مشي طويل وغذاء يسير ، وهو عصبي المزاج ، مرهف ، سريع التهيج ( يحب الحرية والمساواة ، ويتميز بالنظرة الواقعية ودقة النظر وقوة الذاكرة )[٣٠] . وقد كان للصحراء ، موطنه أثر واضح في تكوين هذه البنية الجسدية ، وهذا التكوين العقلي والنفسي ، فلا يتعدى طعامه اليومي قليلا من التمر وشيئاً من الدقيق أو الذرة ممزوجة بالماء أو الحليب فأمدته بالصبر والجَلَدِ اللذين يمكنانه من العيش حيث يكاد يهلك كل شيء غيره[٣١] .

مما تقدم نستنتج ان الروح المعنوية للبدوي كامنة في نفسه كطاقة خفية ، بالإمكان تاجيجها من قبل سيد القبيلة بيسر وسرعة . وقد ثبتت شجاعته في العديد من المواقف ، ولعل أيام العرب قبل الإسلام كايام داحس والغبراء ، والبسوس ، والكلاب ، وخزار ، وذي قار ، وغيرها[٣٢] من هذه الشواهد . وسنتناول صلة الروح المعنوية للعرب في عصر ما قبل الإسلام في هذه الايام لكونها ذات ارتباط وتاثير

واضح في عصر صدر الإسلام لاحقاً ، حيث ان المقاتلين العرب والمسلمين الذين جاهدوا ودافعوا عن الإسلام بروح معنوية عالية هم أنفسهم أو آباؤهم الذين تقاتلوا فيما بينهم في أيام العرب قبل الإسلام بعد ان تزودوا بالإيمان والتوحيد وارتبطوا بوحدة الصف والمصير .

لم تكن أيام العرب التي سبقت معركة ذي قار سوى تعبير عن روح العصبية القبيلية ، ولكنها أشرت بعض المقاييس الخاصة بالروح المعنوية بمستوى هذه العصبية . وتعد هذه الايام بمثابة المحاور التي عكست واقع النظم القبلية بشتى ألوانها السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والحربية[٢٣] .

وكانت أيام العرب ومعاركها قد ألهبت عواطف الشاعر العربي قبل الإسلام ودفعته الى قول الشعر في مجالين ، الاول إبان المعركة والثاني فيما بعدها ، وهو في المجال الثاني أكثر إبداعاً وإسهاباً ، أما في الاول فهو أكثر إثارة وحماسة[٢٤] . فالشاعر بوصفه مؤرخ القبيلة وعالماً بمواطن الضعف النفسي في القبائل الأخرى ونقائصها التاريخية ، فيتمكن أن يُشهِّر بالقبائل المناوئة لبني قومه ويجعلها موضع هزء وسخرية[٢٥] فهو في هذا الامر إنما يعتمد أسلوب الحرب النفسية ، كمفهوم معاصر . وكانت أيام العرب تعد مفاخر القبائل ، فكان الرواة والشعراء يتعصبون لقبائلهم في عرض هذه الأيام يرفعون من مستوى الروح المعنوية في نفوس أبناء قومهم ، كإشادة الفند الزماني بقومه في حرب البسوس ، وعمرو ابن معد يكرب الزبيدي والحصين بن الحمام وقيس بن زهير وغيرهم[٢٦] . وغير خافٍ على أحد ان الايام تعكس النشاط الثقافي التراثي للقبيلة وانها سجل لثقافة القبيلة الذي إذا انضم الى بقية أيام القبائل العربية شكّل ظاهرة ملحمية واسعة في تاريخ الأمة ، ولهذا تسابقت القبائل في إبراز أيامها والتحدث عنها في نواديها[٢٧] وفي بلاطات الملوك والزعماء وفي كل مكان تتيسر فيه المجالس للحديث عن الايام والشعر وأحداث القبائل[٢٨] وأعطت هذه الايام للعربي سمة المقاتل والطباع الحربية ، ويقول غوستاف لوبون ( لم تكن جزيرة العرب قبل ظهور محمد سوى ميدان حرب دائم واسع لما تأصل في العرب من الطباع الحربية )[٢٩] وكان العرب يمتدحون أيامهم ويفخرون بغلبتهم وانتصارهم[٤٠] .

ولدى المؤرخين الإشارة الى أيام داحس والغبراء وأيام البسوس الاولى بين عبس وذبيان والثانية لقبيلتي بكر وتغلب والنجار لكنانة وقيس ، وحروب الأوس

والخزرج وغيرها[٤١] ولم يكتفِ العرب بالاهتمام بالايام التي جرت بين القبائل العربية وإنما توسّعوا في هذا النطاق الى إعطاء أهمية خاصة للأيام التي جرت بين العرب من جهة والفرس والروم والاحباش من جهة ثانية ، حتى أصبحت مضرباً للامثال والافتخار فيما بعد . ولا شك ان جيوش العرب في صدر الإسلام إنما كانت تستمد خططها من خبرة عسكرية موروثة عن أيامها الخالية[٤٢] .

وسوف نتكلم بصورة موجزة عن بعض من أيام العرب قبل الإسلام لبيان طبيعة الروح المعنوية السائدة في نفوس أبناء العرب آنذاك ، مبتدئين بأيامهم المعبّرة عن العصبية القبلية ، ثم نتكلم عن موقف قومي ممثلًا في يوم ذي قار تلك الروح المعنوية التي أثرت فيما بعد على واقع الجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام .

وتعد أيام العرب انعكاساً للنظم القبلية بشتى ألوانها ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحربية ، فكان النزاع بين القبائل يبدأ غالباً باصطدام يقع بين الافراد اثر خلاف على إنتهاك حرمة بعض القبائل أو لاهانة تلحق باحد الفريقين ، ولا تلبث هذه الخصومة الفردية أن تتحول الى نزاع عام يشمل جميع أفراد القبيلة أو الحلف القبلي[٤٣] .

ففي حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان ، كان السبب ان قيس بن

زهير بن جذيمة العبسي وحمل بن بدر تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق . وكان من عادة العرب قبل الإسلام الرهان على الخيل فكانوا يخرجون الى السباق ويقال : مجتمع الناس للرهان ، ثم يتراهنون هنالك على الخيل المتجمعة والسابق من الخيل ، وهو الأول ، هو الذي يأخذ الجائزة الأولى[٤٤] . وكان دَاحِش مخبلًا لقيس بن زهير ، والغبراء حجرة لحمل بن بدر ، وتواضعا الرهان على مائة بعير وجعلا منتهى الغاية مائة غلوة والإضمار أربعين ليلة ثم قادوهما على رأس الميدان بعد ان أضمروهما أربعين ليلة . وفي طرف الغاية شعاب كثيرة فاكمن حمل بن بدر في تلك الشعاب فتياناً على طريق الفرسين وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردوا وجهه عن الغاية[٤٥] . وبسبب هذا الموقف فقد نشبت الحرب بين عبس وذُبيان . ومن أيام هذه الحرب يوم ( اليَعْمرية ) أو يوم ( المُريقِب ) لعبس على ذبيان ، والتي التقى بها الفريقان فاقتتلوا وكان عنترة قد قتل واحداً من ذبيان يدعى ضمضم أبو الحصين وعدداً آخر ، وبلغ عنترة ان حصيناً وهرماً ابني ضمضم يشتمانه ويوعدانه ، فقال وهو

يحشد قومه ويحرضهم على القتال قائلًا :

ولقـد خشيت بـأن أمـوت ولم تَـدُرْ
للحـرب دائـرة على ابني ضمضم
الشـاتمي عـرضي ولم أشتمهـا
والنـاذرين إذا لم ألقهمـا دمي
إن يفعـلا فلقـد تـركت أبـاهمـا
جـزر السبـاع وكـل نسـرٍ قشعمِ
لمـا رآني قـد نـزلت أريـده
أبـدى نـواجـزه لغيـر تَبَسُّمِ[٤٦]

ويبدو لنا ان الشجاعة الفردية والتبجح بالقوة والبأس كانتا دليلا على الروح المعنوية العالية التي كان يتمتع بها فرسان القبائل العربية وفتيانها . وهي في الوقت نفسه تعبّر عن قوة وبأس القبيلة التي ينتمي إليها الفرد . فنرى عنترة في مثل آخر يؤكد هذا الاتجاه في رثائه واحداً من بني قومه في معارك داحس والغبراء وهو مالك بن زهير بن جذيمة العبسي في قوله :

فللّـهِ عينـاً مَنْ رأى مثـل مـالـك
عقيـرة قـوم إن جـرى فـرسـان
فليتهمـا لم يطعما الـدهـرَ بعـدهـا
وليتهمـا لم يُجمعـا لـرهـانِ
وليتهمـا مـاتـا جميعـاً ببلـدةٍ
وأخطـاهمـا قيس فـلا يـريـانِ
لقـد جلب جلبـاً لمصـرع مـالـك
وكـان كـريمـاً مـاجـداً لهجـان[٤٧]
وكـان إذا مـا كـان يـوم كـريهـةٍ
فقـد علمـوا اني وهـو فتيـان
وكنـا لـدى الهيجـاء نحمي نسـاءنـا
ونضـرب عنـد الكـرب كـل بنـانِ

وتعطينا هذه القصائد مؤشراً على ان مسببات المعارك التي جرت في أيام العرب قبل

الإسلام هي مسببات بسيطة في منظور الحاضر ، ولكنها كانت مسببات مهمة في منظور عصرهم ، فادت الى معارك شديدة وطاحنة اعتمدت على تاجج الحماس والنخوة لرفع مستوى الروح المعنوية على طريق تحقيق النصر فيها .

أما عن يوم ( النُباج وثَيْتَل ) وهما موقعان قريبان عن بعضهما ضمن منطقة البصرة[٤٨] ، والتي قرر فيها قيس بن عاصم وكان رئيساً ( لمُقاعس ) من تميم الإغارة على بكر بن وائل ، فبعث عناصر استطلاعه في مهمة الاستخبار عنهم . وقبل تنفيذ الغارة أشاع روح القتال في صفوف قومه بقوله : « قاتلوا ، فان الموت بين أيديكم ، والفلاة من ورائكم »[٤٩] .

ولما دنوا من القوم صبحاً سمعوا ساقياً يقول لصاحبه : يا قيس أورد ، فتفاءلوا به ، وعدوه دافعاً جديداً لروحهم المعنوية ، فاغاروا على النُباج وقاتلوا فيها قتالا شديداً وانتصروا عليهم . ثم انتقلوا الى موقع الثيتل ليكرروا الموقف مستبشرين بانتصارهم الاول لتاجيج الروح المعنوية .

ونرى الموقف التقليدي للشعراء في مثل هذه الانتصارات ، يشيدون ويبعثون الدافع والحافز المعنوي ، حيث أنشد ربيعة بن طريف :

فـلا يبعـدنـك الله قيس بن عـاصم

فـأنت لنـا عـزيـز ومَـوئِـلُ

وأنت الـذي حـربت بكـر بن وائـل

وقـد عضلت منهـا النُبـاج وثيتـلِ

غـداة دعت يـا آل شيبـان إذ رأت

كـراديس يـزجيهن وَرْدٌ مُحجـلِ[٥٠]

إذن كان للانتماء القبلي ولرئيس القبيلة دور مهم في تاجيج الروح المعنوية كما أسلفنا . فنرى العصبية القبلية والاعتزاز بالنسب والانتساب بروح الجماعة ضمن القبيلة الواحدة من المثل الاساسية السائدة عند العرب قبل الإسلام . وكان رؤساء القبائل يسعون لتعزيز ودعم هذا الاتجاه في كل المحافل المحلية والخارجية . وفي هذا الإطار يمكن الإشارة الى إشادة بعض من أشراف العرب بنويهم وأهلهم أمام كسرى الفرس أنو شيروان ( ٥٣١ ـ ٥٧٨م ) ، فكان قيس بن عاصم قد قال في هذا المحفل : لقد علم هؤلاء إنا أرفعهم في المكرمات دعائم ، وأثبتهم في النائبات مقاوم ، لانًا أذكهم للنار ، وأمنعهم للجار ، وإنًا لا ننكل ( لا نجبن ) إذا حملنا

ولا نرام إذا حللنا . وأما حذيفة بن بدر الفزاري فقال : قد علمت العرب ان فينا الشرف الاقدم والاعز الاعظم ، وماثرة للصنيع الاكرم ، ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعز الذي لا يضام[٥١] .

وهكذا نجد الإشادة بمكارم الاخلاق والقوة والبأس من قبل قادة القبائل العربية في عصر ما قبل الإسلام من أهم المقومات الداعمة للروح المعنوية . أما على المستوى القومي العام ، فكان العرب يتمسكون بعروبتهم ، ويعشقون انتماءهم لها ، فترتفع روحهم المعنوية كلما اقتربوا من الإشادة بها أو التذكير بقيمها . ولعل خطبة النعمان بن المنذر في ديوان كسرى الفرس خير دليل ، فكان قد قدم على كسرى وعنده وفود من الروم والهند والصين ، فاخذ كسرى يشيد بهذه الاقوام دون العرب ، بل نعت العرب بغير قيمهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم قائلًا :

أي أمة تقرنها بالعرب إلا فُضِلَتْ العرب عليها بعزها ، ومنعتها ، وحسن وجوهها وبأسها ، وسخائها ، وحكمة ألسنتها ، وشدة عقولها ، وأنفها ، ووفائها[٥٢] .

ويعطينا هذا المثل دلالة على ان التعصب القبلي بالرغم من انه كان يسود المجتمع العربي قبل الإسلام ، فكان هناك تآلف وتآزر وتحالف عربي موحد بازاء التحديات الاجنبية الكبيرة ضدهم ، تلك التحديات التي تمثلت بتكالب الدولتان الكبيرتان الروم البيزنطية في الغرب والفرس الساسانية في الشرق ، فضلًا على استيلاء الاحباش على اليمن . وازاء هذا التحدي ، فقد تاجج الإحساس بالذات العربية[٥٣] التي كانت تنتقل من الانصياع للتبعية الى الرغبة في الاستقلال والتوحد . وكانت معركة ذي قار شاهداً على ذلك ، حيث تمكنت قبيلة شيبان بعد ان تآزرت مع قبائل بكر وبني تميم ان تدحر قوات واحدة من تلك الدولتين الكبيرتين : الامبراطورية الساسانية في معركة خالدة وصفها رسول الله ( ﷺ ) بقوله : « اليوم أول يوم ينتصف فيه العرب من العجم وبي نُصروا »[٥٤] .

وكان الفرس قد أعدوا جيشاً كبيراً وتوقعوا استسلام القبائل العربية قياساً على انتصارهم السابق على بني تميم في يوم الصفقة[٥٥] الذي اعتمد فيه الفرس على منهج الخديعة والغدر ، حيث اتفق كسرى الفرس أنوشروان مع هوذة بن علي الحنفي باليمامة على الغدر ببني تميم بسبب قتلهم للأساورة الذين كانوا يرافقون القافلة التي حملت مواد الى عماله باليمن وسيطرتهم عليها . وكانت خطة الغدر هذه تتضمن فرض الحصار الاقتصادي على بني تميم بحبس الميرة عنهم مدة سنة ، ثم يقام لهم

سوق في حصن المشقر ، وهو حصن بين نجران والبحرين ، وتقوم فيه سوق للعرب في أول جمادى الاخرة من كل عام[٥٦] . ونظّموا دخول الأشخاص من بني تميم بشكل منفرد ، ثم باشروا بقتلهم داخل الحصن بعد عبورهم باب المشقر ، حتى انتبه لذلك رجل من بني تميم فقطع السلسلة الموضوعة على الباب وفتحه فثارت قبيلته[٥٧] .

ويمكن أن تعد معركة ذي قار مؤشراً للمكونات الاساسية للروح المعنوية العربية قبل الإسلام ، فقد كشفت عن قوة صبر العرب وإقدامهم وتمسكهم بقيم التآزر والتعاون ضد الأعداء . فبعد رفض بني شيبان تسليم ودائع النعمان بن المنذر الى كسرى الفرس ابرويز معبرين عن واحدة من خصال العرب الاساسية وهي الأمانة ، نشبت هذه المعركة الخالدة بين قوة فارسية كبيرة ، منظّمة ومدربة ومسلحة ومدعمة بكل مقومات القتال ، وبين قبائل عربية لم يسبق لها المشاركة في معركة مشتركة ، ينقصها التنظيم العسكري الموحد والتدريب المشترك والتسليح الملائم ولكنها كانت تتمتع بروح معنوية عالية ، أهلّتها لخوض المعركة بثقة عالية بالنصر . وبذلك فقد حشدت القبائل العربية قواتها وتهيات لهذه المعركة فبثوا طلائعهم ، وقسموا جموعهم ، وبعثوا الى العرب الذين في الجيش الفارسي مَنْ يصرفهم عن مساعدة الفرس حال نشوب القتال[٥٨] .

وبدت الروح المعنوية متأججة في نفوس المقاتلين من خلال الدور البارز للقادة العرب ، فكانت الرجز والخطب التي ألقاها هؤلاء القادة قبل بدء القتال ذات أثر بالغ في ذلك . فحرض هاني بن قبيصة الشيباني[٥٩] المقاتلين : « يا قوم مهلك معذور خير من منجىً مغرور . ان الجزع لا يرد القدر . وان الصبر من أسباب الظفر . المنية خير من الدنية واستقبال الموت خير من استدباره فالجد الجد فما من الموت بد »[٦٠] .

وفي مرحلة الاستحضارات للمعركة عقد مجلساً عسكرياً حضره قادة العرب من قبائل بكر وشيبان وعجل لوضع خطة المعركة في الصمود بمنطقة ذي قار . وكان زعيم بني عجل حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي من أشد العرب تحمساً للقتال ، فقطع وضن النساء ( هوادج الإبل ) لكي لا تمكن الرجال من سوق نسائهم إن فكروا بالهرب ، فسمي « مقطع الوضن »[٦١] . وقال : « لا رأي إلا القتال لانكم إن أعطيتم بايديكم قتلتم وسبيت ذراريكم ، وإن هربتم فتلتكم العطش »[٦٢] . ثم وثب وضرب على نفسه قبة وأقسم أن لا يفر حتى تفر القبة[٦٣] . وقطع سبعمائة من بني شيبان

أقبيتهم من قرب المناكب كيلا تثقل عليهم وهم يضربون بالسيوف . وبدأ القتال بمبارزة فردية ثم حدث اللقاء في حنو ذي قار[٦٤] .

وقبيل اللقاء وبعد ان اصطفت جيوش الفرس ، أخذ حنظلة بن ثعلبة يحث القوم على القتال والصمود[٦٥] كما أخذ يشيد بالقبائل الاخرى من غير قبيلته وهما بكر وشيبان فارتجز قائلا[٦٦] :

قـــد شـــاعَ أشيـــاعُكُمْ فَجَنَـــدوا
مـــا علّتي وأنـــا مـــؤد جلـــدُ
والقـــوسُ فيهـــا وتـــرٌ عَـــردُ
مثـــلُ نراعِ ( البِكْـــر ) أو أشـــدُ
قـــد جعلت أخبـــارُ قـــومي تبـــدو
انَّ المنـــايـــا ليس منهـــا بُـــدُّ
هـــذا عميـــرٌ - تحتـــه السَـــدُّ
يقـــدمُـــهُ ليس لـــه مســـردُ
حتى يعـــود كـــالكميتِ الـــوَرْدُ
خلّـــوا بني شيبـــان واستبـــدّوا
نفسي فـــداكم وأبي والجـــدُّ

وأنشد مرتجزاً يثير الحمية في نفوس قومه ويحرضهم على القتال ويرفع من روحهم المعنوية قائلاً :

يـــا قـــوم طيبـــوا بـــالقتـــال نفســـاً
أجـــدر يـــوم ان تغلـــوا الفُـــرســـا[٦٧]

وتواجدت النساء في أرض المعركة ، فكنَّ خلف المقاتلين يثرن حماستهم ويرفدن زخمهم النفسي والمعنوي بمزيد من إرادة القتال والصبر . ومن الكلمات المأثورة في هذه المعركة صرخة امرأة من بني عجل قائلة :

انْ تُهـــزِمُـــوا نُعـــانِقْ
ونُفـــرِشْ النَمـــارِقْ
أو تَهـــرِبـــوا نُفـــارِقْ
فِـــراقَ غيـــرَ وامِقْ[٦٨]

وصرخة امرأة من بني شيبان تحرض أخاها على الصبر والإقدام في القتال :

يــــا عمــرو يــــا عمــرو الفتى ابن ثعلبــة

هــــام على جــــارتــك المستفــريــــة

وزاحم العجمـــــان عنــــد العقبــــة[٦٩]

وهناك الكثير من القصائد والاراجيز التي أشارت الى الحماسة والشجاعة المؤثرة في الروح المعنوية من خلال هذه المعركة . وكان مبدأ التعاون قد برز بشكل جلي بين القبائل التي تآزرت ضد الفرس . فبالرغم من ان الفرس كانوا يستهدفون قبيلة بني شيبان التي رفضت تسليم ودائع النعمان بن المنذر ، إلا ان قبيلتي بكر وبني عجل سرعان ما أنجدت شيبان فاكدت قصائد الشعراء تلك الإشادة .

بما تقدم من نظرة سريعة ودقيقة لحياة العرب الاجتماعية ، وأيامهم والظروف الاقتصادية والنظام القبلي السائد . فضلا على ان الاعراف والتقاليد لمجتمع البداوة ، ودور العصبية في الانتماء والنسب لوحدة الدم في المناصرة والمؤازرة ضد أي مواجهة داخلية كانت أم خارجية رسخت وحدة القومية العربية ضد أعتى قوة منظّمة ، دافعة تميز العرب عن غيرهم في طريق البطولة . فتمضي القبائل العربية بفطرتها . في حب الاعراف والقيم القبلية والدفاع عنها ويجد الباحث هنا متسعاً لافتراض ان العرب إذا كانوا ذوي شجاعة وبطولة وروح معنوية عالية على المستوى القبلي قبل الإسلام وإنما هي نعمة الخالق عز وجل على خلقه ومكرمة الطبيعة وقساوتها ، فكان نتاجهما ممثلا ( بالمادة المهياة ) لصناعة التاريخ الجديد بعد ظهور الإسلام . فبسبب قصر المدة التي قضاها رسول الله ( ﷺ ) في مكة المكرمة يدعو الى الإسلام ، وهي ثلاث عشرة سنة[٧٠] فقط قبل هجرته الى المدينة المنورة والبدء بتكوين الدولة والعمليات العسكرية[٧١] ، فانه من الصعب حقاً تامين كل متطلبات التدريب والتاهيل اللازم لهذه المهمة الكبيرة خلال هذه المدة القصيرة . ولذلك فان الباحث يرى ان هذه المدة من حياة العرب كانت بمثابة التدريب العسكري والفني والتاهيل اللازم الذي خدمهم كثيراً بعد ظهور الإسلام مباشرة . فكان ذلك كله تراثاً عسكرياً ثراً ، أفاد في تنظيم وتسليح وتجهيز الجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام ، وإبراز فنون القتال المبدعة والشخصيات القيادية العسكرية البارعة ، بعد ان دعم الله عز وجل هذه المزايا بالتوحيد والإيمان والقيم الجهادية نبراساً نتماسك

صفوفهم وتوحيد كلمتهم فالرجال هم الرجال أنفسهم ، عمر بن الخطاب ، عمرو بن العاص ، خالد بن الوليد ، وغيرهم من الصحابة ـ رضوان الله عنهم ، فقوى الإسلام بهم بعد ان نفضوا جاهليتهم ، واعتنقوا الإسلام ، ولكنهم لم ينقضوا شجاعتهم ، وباسهم ونسبهم ، وانتماءهم ولغتهم وأسماءهم وأوصافهم ولذلك فكان عصر ما قبل الإسلام ، عصر تهياة الصحابة المدافعين عن الإسلام فكان عصر بداية القيادة ، والروح المعنوية ، فكراً وفناً وممارسة .

## الهوامش

( ١ ) د. نوري حمودي القيسي ، الفروسية في الشعر الجاهلي ، مطابع دار التضامن ، بغداد ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، ط ١ ، ص ٤٨ .

( ٢ ) د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٧ ، جـ ٤ ، ص ٣١٣ .

( ٣ ) د. جواد علي ، المفصل ، جـ ٤ ، ص ٣١٥ .

( ٤ ) د. جواد علي ، المفصل ، جـ ٤ ، ص ٣١٤ .

( ٥ ) الصاحبي ، في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق مصطفى الشهويهي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٧٨ .

( ٦ ) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مطبعة الهلال ، ١٩٦٢م ، جـ ٣ ، ص ٢٥٢ .

( ٧ ) ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد ، أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، تحقيق أحمد زكي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٣ .

( ٨ ) د. فاروق عمر وآخرون ، النظم الإسلامية ( دراسة تاريخية ) ، منشورات دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٧م ، ص ٨ .

( ٩ ) د. عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ١٥٢ .

( ١٠ ) ابن الاثير عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم ـ ت ٦٣٠هـ ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ ، جـ ١ ، ص ٢٩ .
( ١١ ) الالوسي ، محمود شكري ، بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، المطبعة الرحمانية ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م ، جـ ٤ ، ص ١٨٧ .
( ١٢ ) د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، جـ ٤ ، ص ٣٤٨ .
( ١٣ ) م. ن ، جـ ٤ ، ص ٣١٣ .
( ١٤ ) م. ن ، جـ ٤ ، ص ٣٩٢ .
( ١٥ ) د. صالح أحمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، دار الكتب للطباعة والنشر في جامعة الموصل ، ١٩٨١ ، جـ ٣ ، ص ٢٧ .
( ١٦ ) الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مصدر سبق ذكره ، جـ ٣ ، ص ٣٨١ .
( ١٧ ) د. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ـ مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٧ ، جـ ١ ، ١٩٤٥ ، ص ٦٩ .
( ١٨ ) د. محمد عابد الجابري ، فكر ابن خلدون ( العصبة والدولة ) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ب. ت ، ص ٢٥٣ .
( ١٩ ) كانوا ( يوقدون ناراً بمنى أيام الجمع على الاخشب لمَنْ غدر بجاره ثم صاحوا ، هذه غدرة فلان ) . أنظر : الالوسي ، بلوغ الارب ، جـ ١ ، ص ١١١ .
( ٢٠ ) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ( ت ٢٥٥هـ ) ، البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، مطابع دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ ، ص ٢٣٤ .
( ٢١ ) د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ٤ ، ص ٤٠٢ .
( ٢٢ ) م. ن ، جـ ٤ ، ص ٦٠٧ .
( ٢٣ ) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الخضري ، المقدمة ، دار القلم ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٢٥ .
( ٢٤ ) قيل لها الجمرات : لاجتماعهم ، والجمرة : الجماعة ، والتجمير : التجميع ، أنظر : العقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ١٠٠ .
( ٢٥ ) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ، جمهرة أنساب العرب ( ت ٤٥٦هـ ) ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مطابع دار المعارف بمصر ، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ص ٤٤٢ .
( ٢٦ ) البكري ، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري ( ت : ٤٨٧هـ ) ، معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، جـ ١ ، ص ٣٣ .
( ٢٧ ) أبو عبيد ، معمر بن المثني ، نقائض جرير والفرزدق ، مطبعة ابريل ـ لندن ، ١٩٠٥ ، اعادت طبعه بالاوفسيت ، مكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٩٧ .

( ٢٨ ) أنظر : ص ١٣ .

( ٢٩ ) وداد ناجي عبدالمجيد ، الجذور التاريخية للفكر العربي الاشتراكي ، عصر صدر الإسلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٨ .

( ٣٠ ) د. صالح أحمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ .

( ٣١ ) د. فيليب حتي ، تاريخ العرب ( مطول ) ، ط ٤ ، دار الكشاف للنشر والطبعة والتوزيع ، ب.ت ، ص ٣٠ .

( ٣٢ ) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، ( ت : ٣٤٦هـ ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٨ ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

( ٣٣ ) ابراهيم أحمد العدوي ، النظم الإسلامية ، مقوماتها الفكرية ومؤسساتها في صدر الإسلام والعصر الاموي ، مكتبة الإنكلومصرية ، ١٩٧١ ، ص ٧٠ - ٧١ .

( ٣٤ ) منذر الجبوري ، أيام العرب في الشعر الجاهلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ١١٥ .

( ٣٥ ) ابراهيم أحمد العدوي ، الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ، ط ٢ ، مصر ، ١٩٥٨ ، ص ٢٠ .

( ٣٦ ) التبريزي ، شرح ديوان الحماسة ( أبو تمام ) ، ص ١١ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٠٦ .

( ٣٧ ) اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٣٦٣ .

( ٣٨ ) أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٥ ، جـ ٢ ، ص ٤٦ / ٥٠ .

( ٣٩ ) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، نقله الى العربية عادل زعيتر ، ط ٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركائه ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٨ .

( ٤٠ ) وهبة الزحيلي ، آثار الحرب في الفقه الإسلامي ( دراسة مقارنة ) ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٢ ، ص ٤١ - ٤٢ .

( ٤١ ) محمد أحمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، أيام العرب في الجاهلية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٤٢ ، ص ٢٤٦ وما بعدها .

( ٤٢ ) الدكتور عبدالعزيز نبوي ، دراسات في الأدب الجاهلي ، ط ٣ ، دار الصور لخدمات الطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٤٦ .

( ٤٣ ) الدكتور ابراهيم أحمد العدوي ، النظم الإسلامية ، ص ٧٠ .

( ٤٤ ) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ٣ ، ص ٦٨١ .

( ٤٥ ) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، تقديم الاستاذ خليل شرف الدين ، منشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ط ١ ، جـ ٥ ، ص ٩٣ . و ( الغلوة ) : هي مسافة رمية سهم ، أما ( الإضمار ) فهي عملية التضميف وكانت تتم بأن تشد على الخيل سروجها حتى

ينهب رحلها ( ارتخاؤها ) وتسمى ضامر ، المصدر نفسه .

( ٤٦ ) ابن عبد ربه الاندلسي ، جـ ٥ ، ص ٩٥ . وانظر : الزوزني ، أبو عبدالله الحسين بن أحمد ، المعلقات السبع ، ١٣٧٨هـ ، ص ٨٥ . و ( الدائرة ) هي اسم الحادثة سميت بها ( والقشعم ) هو الكبير أما ( النواجذ ) فهي الانياب .

( ٤٧ ) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ١ ، ص ٣٤٩ .

( ٤٨ ) الطبري ، محمد بن جرير ( ت : ٣١٠هـ ) ، تاريخ الرُسُل والملوك ، مؤسسة عزالدين ، بيروت ، ط ٢ ، جـ ٢ ، ١٩٨٧ ، ص ١٧٣ .

( ٤٩ ) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ، نهاية الارب في فنون الادب ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، جـ ١٥ ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ .

( ٥٠ ) محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، أيام العرب في الجاهلية ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

( ٥١ ) الاصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي ( ت : ٣٥٦هـ ) ، الاغاني ، دار حلب ، بيروت ، ب.ت ، جـ ١٧ ، ص ١٥٥ .

( ٥٢ ) الاصفهاني ، جـ ١٧ ، ص ١٠٧ وأحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ١ ، ص ٥١ .

( ٥٣ ) د. نجمان ياسين ، تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص ٢٩ .

( ٥٤ ) الطبري ، جـ ٢ ، ص ٢١٤ . وتاريخ ابن خلدون ، جـ ٢ ، ص ٧٠٥ .

( ٥٥ ) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٦٠ . راجع الدكتور منذر البدري ، ذي قار ، بحث مقدم الى مركز البحوث والمعلومات في ندوة الفكر العسكري العربي ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٢٨ .

( ٥٦ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ . وسعيد الافغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، المكتبة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٣٧ ، ص ٢٠٤ .

( ٥٧ ) محمد أحمد جاد المولى ، أيام العرب في الجاهلية ، ص ٣ - ٤ .

( ٥٨ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٢١ - ٤٢١ . ومحمد أحمد جاد المولى ، أيام العرب في الجاهلية ، ص ٣٢ - ٣٣ . وحازم عبدالقهار الراوي ، أضواء معاصرة على معركة ذي قار الخالدة ، وزارة الدفاع ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٥٢ .

( ٥٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٢٠ . وهنالك مصادر تشير الى انه هاني بن مسعود الشيباني وليس هاني بن قبيصة . أنظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ . وابن الاثير ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٣٩٠ .

( ٦٠ ) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٥ ، ص ١٥٩ .

( ٦١ ) ابن عبد ربه ، جـ ٥ ، ص ١٥٩ .

( ٦٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٢١ .

( ٦٣ ) م. ن ، جـ ٢ ، ص ٤٢١ . وابن الاثير ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ .

( ٦٤ ) م. ن ، جـ ٢ ، ص ٤٢٢ . والقباء : ثوب يلبس فوق الثياب . أنظر : د. عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، ص ٢٤٤ .

( ٦٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ص ٤١٤ ـ ٤٢١ . وعبدالعزيز سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٢٨٦ .

( ٦٦ ) الطبري ، تاريخ ، ص ٤٤٢٢ .

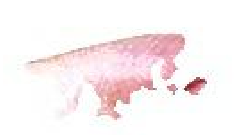
( ٦٧ ) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ .

( ٦٨ ) أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، ص ٦٤٣ .

( ٦٩ ) محمد جاسم المشهداني ، رواية بشر بن مروان الاسدي حول حرب بني شيبان ، ( دراسة وتحقيق ) ، مطبعة سلكو ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٧٨ .

( ٧٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٠٩ .

( ٧١ ) م. ن ، ص ٥١٤ .



## المبحث الثالث

# مفهوم الروح المعنوية في صدر الاسلام

بعد بزوغ فجر الإسلام ، جاءت العقيدة الإسلامية لترسم ملامح الحياة الجديدة بكل ميادينها وأبعادها . ولم يكن الدين منفصلا عن السياسة .

فانبثقت الروح المعنوية من هذه العقيدة الجديدة في المجتمع بدلًا من العصبية القبلية والولاء القبلي . وفي هذا المجال قال رسول الله ( ﷺ ) : « ليس منا مَنْ دعا الى عصبية ، وليس منا مَنْ قاتل على عصبية ، وليس منا مَنْ مات على عصبية »[١] .

وقد أدى تغلغل الإسلام وقوة عقيدته في صفوف العرب المسلمين الى إضعاف العصبية القبلية ، فاوجد معايير جديدة تقوم على أساس المساواة والتقوى بغض النظر عن الاصل[٢] . وتمثلت البداية في مؤاخاة المؤمنين كما جاء في قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنونَ اخوة ﴾[٣] .

وبذلك تم القضاء على العلاقات والتقاليد التي كانت تسود مجتمع ما قبل الإسلام والمتضمنة نصرة الأخ وابن العم ظالماً أو مظلوماً لمجرد الانتماء القبلي[٤] . تستند الى الانتماء الديني استناداً الى قوله تعالى ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرينَ أولياء من دون المؤمنين ﴾[٥] .

وبهذا فقد وحُد الإسلام فرقة العرب ، وهذب نفوسهم وأعطى روحهم المعنوية مفهوماً جديداً من خلال الدفق الجديد من الدعم . قال تعالى ﴿ يا أيُها الذين آمنوا اتَّقوا اللّهَ حقَّ تُقاتِهِ ولا تموتَنَّ إلّا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمةَ اللّهِ عليكم إذ كنتم أعداءً ، فألَّفَ بين قلوبِكُم فاصبحتم بنِعْمَتِهِ إخواناً ﴾[٦] .

الروح المعنوية النابعة من العقيدة الإسلامية استندت الى مرتكزين أساسيين هما الإيمان والجهاد .

الإيمان الذي يعبّر عن الصلة بين الإنسان وبين الله عز وجل[٧] . باركانه

الستة : إيمان بالله وملائكته وكتبه ورُسُله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره ﴿ ليس البِرَ أن تولّوا وجوهَكُمْ قِبلَ المشرقِ والمغربِ ولكنَّ البِرَ مَنْ آمنَ باللّهِ واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيينَ وآتى المالَ على حُبِّهِ ذوي القربىٰ واليتامى والمساكينَ وابن السبيلِ والسائلينَ وفي الرقابِ وأقام الصلاةِ وآتى الزكاةِ والموفونَ بعهدِهِمْ إذا عاهَدُوا والصّابرينَ في الباساءِ والضَرّاءِ وحين الباسِ أولئكَ الذينَ صَدَقوا وأولئِكَ هُمْ المُتَّقُون ﴾[٨] .

إن عقيدة الإيمان بالله وحده ، والخضوع له وحده ، وعبادته وحده تحتاج الى تصفية الذات من شوائب المجتمع الذي سبق الإسلام[٩] . فما هو سر هذا الإيمان الذي غيَّرَ النفوس وعمَّق معنى الروح المعنوية في صدر الإسلام ؟. الإيمان لغة يعني التصديق[١٠] . وهو نقيض الكفر ، والاعتقاد بكل ما أوحاه الله[١١] . عز وجل . والإيمان شرعاً هو الاعتقاد والقناعة بجميع ما جاء به النبي ( ﷺ )[١٢] بوصفه صلوات الله عليه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . فالإيمان العقيدة التي فرضها الله عز وجل على عباده يجعل المؤمن يفعل ما يجب عليه من أعمال القلب والجوارح ، فيكون جزاؤه الثواب والجنة[١٣] . وبدون الإيمان لا وجود للعقيدة ، والعقيدة مقصودة في القلب الذي هو أشرف ما في الإنسان ، وان أشرف ما في هذا القلب هو الإيمان[١٤] الذي هو التصديق بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر[١٥] .

ووردت في القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية الكريمة حول الإيمان ، كما أشارت الى ذلك عدد من الاحاديث النبوية الشريفة ، لتعزيز الروح المعنوية في نفوس المؤمنين الذين اعتنقوا هذا الدين بالرغم من ظروف العسر التي رافقت إيمانهم . قال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا آمنوا باللّهِ ورَسُولِهِ والكتابِ الذي نَزَّلَ على رَسُولِهِ ، والكتاب الذي أُنْزِلَ من قبلِ ومَنْ يكفر باللّهِ وملائكته وكتبه ورُسله واليومِ الآخر فقد ضلَّ ضَلالًا بعيداً ﴾[١٦] . وقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا اتّقوا اللّهَ وآمنوا برَسُولِهِ يُؤتِكُمْ كِفْلَيْنِ[١٧] . من رحمَتِهِ ويجعل لكم نوراً تمشونَ به ويغفرَ لكُمْ واللّهُ غفورٌ رحيم ﴾[١٨] . وقوله عزَّ وجلّ : ﴿ ما أصابَ مِنْ مصيبةٍ إلّا بإذنِ اللّهِ ومَنْ يؤمِن باللّهِ يهد قلبَهُ واللّهُ بكلِّ شيءٍ عليم ﴾[١٩] . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هو الرحمنُ آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون مَنْ هو في ضَلالٍ مبين ﴾[٢٠] . وان جميع الآيات القرآنية الكريمة دعت الى الإيمان بمعنى التصديق والتسليم الذي يفضي الى رفع الروح المعنوية .

أما في الحديث الشريف فجاء عن رسول الله ( ﷺ ) قوله : « الإيمان بضع

وستون شعبة .. والحياء شعبة من الإيمان »[٢١] .

أما في المجال العسكري فمن المعروف ان المقاتل لا يمكنه خوض غمار الحرب بشجاعة عالية ، والتضحية بروحه ، إلا إذا كان يؤمن إيماناً عميقاً بعقيدة راسخة تدفعه الى التضحية والفداء ، وتجعله صابراً في الباساء والضراء وحين الباس[٢٢] . وبالطبع فان ما يقال عن المقاتل يقال عن الجيش ، فليس الجيش سوى مجموعة من المقاتلين كما انه ليس سوى جزء من المجتمع .

وهكذا يعزز الإيمان الروح المعنوية في ميدان القتال من زاوية قناعة المقاتل بعدم الخوف من الموت مستلهماً قوله تعالى : ﴿ إذا جاء أجلُهُمْ فلا يستأخرونَ ساعةً ولا يستقدمون ﴾[٢٣] . وقوله تعالى : ﴿ اينما تكونوا يدرِكْكُمْ الموتُ ولو كنتم في بروجٍ مشيدة ﴾[٢٤] . وقوله عز وجل : ﴿ وما كانَ لنفسٍ أن تموتَ إلّا بإذْنِ اللّهِ ﴾[٢٥] .

ومن ناحية أخرى فان الإيمان هو المصدر الاول للإرادة العزوم الصلبة ، فلا إرادة لِمَنْ لا إيمان له ، ولا إيمان لمَنْ لا ثقة له بنفسه ، فعندما تتكامل هذه الصفات في الذات البشرية ، تنتج الصبر ، فيصبح الانسان ذا طاقة هائلة تتحدى المحال[٢٦] . وقد ركز الإسلام على الصبر بوصفه نصف الإيمان[٢٧] .

وقد ربط القرآن الكريم بين الإيمان والصبر في الامر الإلهي : ﴿ ياأيُّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾[٢٨] . وقوله تعالى معززاً ثقتهم بعقيدتهم في القتال ، وطالباً مواجهة المقاتل الواحد عشرة من الكافرين : ﴿ إنْ يكُنْ منكُمْ عشرونَ صابرونَ يَغلبوا مائتينِ وإن يكُنْ منكُمْ مائةٌ يَغلبوا ألفاً من الذين كَفَرُوا بأنَّهم قومٌ لا يَفْقَهُون ﴾[٢٩] . ثم خفف الله عز وجل ذلك على المؤمنين فجعل المقاتل الصابر بمواجهة اثنين من الكفار بقوله تعالى : ﴿ الآن خَفَّفَ اللّهُ عَنْكُمْ وعَلِمَ انَّ فيكم ضعفاً فإنْ يكُنْ منكم مائةٌ صابرةٌ يَغلبوا مائتين وإن يكُنْ منكم ألف يَغلبوا ألفينِ بإذنِ اللّهِ واللّهُ مع الصابرين ﴾[٣٠] . وقوله تعالى : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كثيرة . بإذْنِ اللّهِ واللّهُ مع الصابرين ﴾[٣١] . وقوله تعالى : ﴿ واصبروا إن اللّهَ مع الصابرين ﴾[٣٢] . وفي الحافز المعنوي للصبر قوله تعالى : ﴿ إنه مَنْ يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾[٣٣] . وقوله تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتَتَّقُوا فإن ذلك مِنْ عَزْمِ الامور ﴾[٣٤] .

وهكذا نجد ان معاني الصبر الواردة في القرآن الكريم والمنبثقة من الإيمان تبعث في نفس المؤمن روحاً معنوية عالية لان الصبر يعني تحمل المشاق ، ولا يمكن

الوصول الى هذا المستوى إلا بالروح المعنوية المنبثقة من الإيمان فعز المؤمن يكمن في ان « قيده المعرفة وصيده الجنة ووعده الرؤية ، فإذا كان للعبد المؤمن رباً كافياً وكتاباً شافياً ورسولًا وافياً ، لسانه شاهد لله ونفسه طالبة لمرضاة الله وقلبه محل لنظر الله وسراجه معرفة الله وشهادته محبة الله وروحه نور الله ، وبصيرته مشتاقة الى رؤية الله فجدير به أن يكون عزه متصلًا بعز الله »[٣٥] . وجدير بروحه المعنوية أن تستمد مقوماتها من روح الله عز وجل .

ويجسّد نبينا الاكرم محمد ( ﷺ ) علاقة الإيمان بالصبر في مخاطبته المؤمنين من خلال أول شهيد في الإسلام بطلبه الصبر من آل ياسر ، فيعدهم بالجنة[٣٦] . والجنة غير ملموسة إلا من خلال الإيمان ونجد فضيلة الصبر في رسالة الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ الى أبي موسى الاشعري حيث قال فيها : « عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران ، أحدهما أفضل من الآخر . الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرّم الله واعلم ان الصبر ملاك الإيمان »[٣٧] .

أما الامام علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنه ـ فقال عن الصبر : « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا جسد لِمَنْ لا رأس له ولا إيمان لمَنْ لا صبر له »[٣٨] . فالإسلام إذن بمرتكز الإيمان أضاف لسمات العرب عمقاً جديداً معززاً بالإيمان فتعزز فيهم اعتصامهم بالصبر وتحليهم بالشجاعة والنجدة والوفاء[٣٩] . وجميعها عناصر دعم للروح المعنوية .

وهكذا يتبين لنا سر قوة الإيمان في صدر الإسلام . فاعتقاد المسلم بان الله عز وجل أعظم من كل عظيم وأكبر من كل كبير وهو الرازق والناصر لهم يؤدي الى مده بالروح المعنوية العالية ، حيث يعتمد قوته المعنوية من قوة الله فتصغر في عينه الدنيا وتكبر في عينه الاعمال التي تقرّبه من الله عز وجل[٤٠] .

أما المرتكز الثاني من مرتكزات العقيدة الإسلامية ، فهو الجهاد بكل معانيه ، جهاد بالمال ، وجهاد بالنفس ، وجهاد باللسان ، وغيرها . فضلًا على الجهاد الاكبر ، هو جهاد بالنفس ضد مغريات الحياة الدنيا من أجل الحفاظ على القيم النبيلة . وإذا كان الإيمان هو الواجب الأول الذي فرضه الله تعالى على الإنسان[٤١] .

فإن الله عز وجل فرض على رسوله الكريم ( ﷺ ) الجهاد في السنة الأولى للهجرة[٤٢] . بعد أن مكث صلوات الله عليه في مكة ثلاث عشرة سنة[٤٣] . يدعو الناس

بالحجة والموعظة الحسنة ، قال تعالى : ﴿ اِدْعُ الى سَبيلِ رَبّكَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بالّتي هِيَ أحْسَن ان رَبَّكَ هو أعلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عن سَبِيلِهِ وهو أعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ ﴾[٤٤] . وقد أذاقه زعماء قريش هو والمسلمين كل صنوف الأذى حتى انهم طلبوا من رسول الله ( ﷺ ) أنواعاً من الآيات وخرق العادات ومنها ما قصه القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمِنَ لَكَ حتى تُفَجِّرَ مِنَ الارضِ يَنْبوعاً . أو تكونَ لَكَ جَنَّة من نَخيلٍ وعنبٍ فَتُفَجِّرَ الانهارَ خلالِها تفجيراً أو تُسقط السماء كما زعمتَ علينا كِسَفاً أو تاتي باللّهِ والملائكةِ قبيلًا . أو يكونَ لك بيتٌ من زُخْرُفٍ أو ترقى في السماء ولن نؤمِنَ لرقِّيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه . قُلْ سبحانَ رَبِّي هل كنتُ إلّا بَشَراً رسولا ﴾[٤٥] . فحثّه الله عز وجل على الصبر وتفاقم أذى قريش ثم أمره الله بقتالهم وهو ما يعبّر عنه بالجهاد[٤٦] . هذا الجهاد الذي أمر الله به ضد المشركين الذين اشتد إيذائهم للمسلمين فاجبروهم على الهجرة الى المدينة المنورة . وأمر الله عز وجل في الآية الكريمة : ﴿ أذِنَ للذين يُقاتَلون بانّهم ظُلِمُوا وإن اللّهَ على نَصْرِهِمْ لَقَدِير ﴾[٤٧] . وبذلك لم يكن رسول الله ( ﷺ ) يتعرض إلا لقريش دون سائر العرب[٤٨] . في بدأ الامر . وفي هذه الآية الكريمة التي تعد أول أمر إلهي في إجازة القتال[٤٩] . نجد التاثيرات الإنعكاسية الإيجابية فيها على الروح المعنوية بقوله تعالى : ﴿ وان اللّهَ على نَصْرِهِمْ لَقَدير ﴾ . ثم توالت الآيات القرآنية في الجهاد تشريعاً ودعوة ووقائع وترغب المؤمنين في الجهاد وتبين شرف ومنزلة المجاهدين وثوابهم . وجميع هذه الآيات جاءت مدنية ، وهو أمر طبيعي ، فالمسلمون قبل الهجرة لم تكن قوتهم وعددهم قادرة على مجابهة مواقف الظلم والأذى ، فتحملوا الأذى صابرين محتسبين[٥٠] . وتميزت بعض الآيات في رحاب الجهاد بمعنى القتال بورودها بصيغة الامر كقوله تعالى : ﴿ يا أيُها النبي حرِّض المؤمنينَ على القتال ﴾[٥١] . وقوله تعالى : ﴿ يا أيُها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونَكُمْ من الكفّارِ وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين ﴾[٥٢] . وقوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدينُ لِلّه ﴾[٥٣] . وقوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل اللّهِ الذينَ يقاتِلونَكُمْ ولا تعتدوا ان اللّهَ لا يُحِبُّ المعتدين ﴾[٥٤] .وفي ذات المجال ياتي الجهاد معززاً للروح آلمعنوية في قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عليكم القتالُ وهو كُرْهٌ لَكُمْ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبُّوا شيئاً وهو شَرٌّ لكم واللّهُ يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[٥٥] . وهنا يحبب الله عز وجل النصر والظفر على الاعداء في

القتال[٥٦] . وفي قوله تعالى : ( يا أيُها النبيُّ جاهِدْ الكُفَّارَ والمنافقينَ واغْلِظْ عليهم ﴾[٥٧] . وقوله عز وجل ﴿ فلا تُطِعِ الكافرينَ وجَاهِدْهُمْ به جِهاداً كبيراً ﴾[٥٨] . والأمر الإلهي الاخر في قوله تعالى : ﴿ وجاهدوا في اللّهِ حقَّ جِهادِهِ ﴾[٥٩] . ونجد مكانة المجاهدين في قوله تعالى : ﴿ فَضَّلَ اللّهُ المجاهِدِينَ بأموالِهِمْ وأنفسِهِمْ على القاعدينَ دَرجة ﴾[٦٠] .

أما في الحديث الشريف فقد جاء عن الرسول الله ( ﷺ ) العديد من التاكيدات على أهمية الجهاد في منهج الإسلام ، ولتسهم مع القرآن الكريم في رفع الروح المعنوية للمؤمنين من أجل إعلاء كلمة الله تعالى في ربوع الارض . ففي خطبة أول جمعة في المدينة المنورة بعد هجرته ( ﷺ ) قال : « وجاهدوا في الله حقَّ جهاده ، هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك مَنْ هَلَكَ عن بيِّنةٍ ، ويحيا مَنْ حيا عن بيِّنةٍ ولا قوة إلا بالله )[٦١] . وقوله ( ﷺ ) « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها »[٦٢] . وقوله : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه »[٦٣] . وعن أبي هريرة قال الرسول ( ﷺ ) : « ما مِنْ مجروحٍ بجرحٍ في سبيل الله والله أعلم بمَنْ يُجرح في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئة يوم جرح اللون لون الدم ،والريح ريح مسك »[٦٤] .

وعن فضل الجهاد أيضاً قال الرسول ( ﷺ ) : « ان في الجنة مائة درجة أعدُّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض »[٦٥] . وعن أبي عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال رسول الله ( ﷺ ) : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » ـ رواه الترمذي[٦٦] . وقوله ( ﷺ ) : « لكل أمةٍ رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله »[٦٧] . وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ ان رسول الله ( ﷺ ) قال : « مَنْ رضيَ بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ رسولًا ، وَجَبَتْ له الجنة » ، فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها عليَّ يا رسول الله ، فاعادها عليه ثم قال : « وأخرى يرفع الله بها العبدُ مئة درجة في الجنة ما بين كل درجةٍ كما بين السماء والارض » . قال وما هي يا رسول الله ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله »[٦٨] .

وقوله صلوات الله عليه وسلم : « ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف »[٦٩] .

إذن فالجهاد في سبيل الله شرف عظيم للمؤمن الذي يتمتع في هذا الجهاد بمرتبة رفيعة . ولاهمية هذا المرتكز في العقيدة الإسلامية وفي رفع مستوى الروح المعنوية

عند المؤمنين ، فان الله عز وجل فرضه على هذه الامة بشكل متواصل ودائم الى يوم القيامة[٧٠] .

وتؤكد لنا الايات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة التي ذكرناها في هذا المجال أهمية الجهاد بوصفه واحداً من أهم العبادات وأعظم الوسائل تقرباً الى الله عز وجل . ومن ذلك نجده يمثل واحداً من الاركان الاساسية لمفهوم الروح المعنوية في صدر الإسلام . وفرض الجهاد على الرجال القادرين على حمل السلاح : ﴿ لا يستوي القاعدونَ من المؤمنين عن غير أُولي الضَّرَرِ والمجاهدونَ في سبيل الله باموالِهم وأنفسِهم ﴾[٧١] .

مما تقدم يتبين ان الإيمان والجهاد مرتكزان مرتبط بعضهما ببعض ليولدان الروح المعنوية بمفهومها الجديد في صدر الإسلام بعد ان كانت ترتكز على الانتماء القبلي وبعض القيم السائدة في عصر ما قبل الإسلام . وكثيراً ما يقترن الإيمان بالجهاد على انه روحه ومظهره العملي[٧٢] . بل ان الجهاد جزء من الإيمان ، لا يكتمل الإيمان بغيره ، ولذلك فان الأساس الأول للجهاد هو الإيمان ، وهو المعيار العملي للمؤمنين في صبرهم وثباتهم[٧٣] .

فكانت حياة رسول الله ( ﷺ ) في مكة المكرمة توحيداً من أجل الجهاد أما حياته الفاضلة في المدينة المنورة فكانت جهاداً من أجل التوحيد[٧٤] . وجاء الربط بين كِلا المرتكزين ، الإيمان والجهاد ، في القرآن والسُنة ، قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾[٧٥] . وقوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجةٍ عند الله ﴾[٧٦] . وقوله عز وجل : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾[٧٧] . وجاء في قوله تعالى : ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله ﴾[٧٨] . وقوله عز وجل : ﴿ لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر أن يجاهدوا ﴾[٧٩] . وقوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا هل أدُلُكُمْ على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾[٨٠] .

وفي مجال الربط بين الإيمان والجهاد أيضاً نعرض بعض من الاحاديث النبوية الشريفة . فجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ( « انتدب الله عز وجل لمَنْ

خرج في سبيله لا يخرجه إلا أيمان بي ، وتصديق برسلي ، إن أرجعه بما ناله من آجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ، والذي نفسي بيده لولا ان رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت سرية تغزو في سبيل الله . والذي نفسي بيده لوددت اني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ، ثم أُقتل ، ثم أحيا ، ثم أُقتل »(٨١) . وفي مجال الربط أيضاً بين المرتكزين سُئِلَ رسول الله ( ﷺ ) ( أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور )(٨٢) . وعن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال : « الإيمان بالله والجهاد في سبيله »(٨٣) . ومن هذا الربط يتضح ان الإيمان أشاع توحيد الله والتمسك بالعقيدة لاول مرة في التاريخ ، وهذا التمسك جعل من الجهاد ممكناً ، يقود الى النصر وتحقيق الظفر ، وجعل من المسلمين قوة لا تُقهر(٨٤) . فالمسلم في كنف هذا التمسك وفي قناعته بالجهاد تراه يتحلى بروح معنوية عالية لا يخشى فيها قوة العدو ولا يرهب زيادة عدده ، لقوة إيمانه بالله عز وجل وبعدالة قضيته تدفعه الى التضحية بنفسه لكي يتحقق النصر للإسلام ، لان استشهاده في سبيل الله خير له من الدنيا وما فيها(٨٥) . فالنصرِ الذي بشَّرَ به الله عز وجل أسهم في رفع مستوى الروح المعنوية في نفوس المجاهدين في الوقت نفسه الذي عد المجاهدون استشهادهم في سبيل الله سبيلا لثواب الجنة ففي مجال النصر وثقة المقاتلين به قال تعالى : ﴿ وأخرى تحبونَها نصرٌ من الله وفتحٌ قريب ﴾(٨٦) وقوله تعالى : ﴿ إن تَنْصُروا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ويثبِّتْ أقدامَكُم ﴾(٨٧) . وقوله تعالى : ﴿ وكان حقاً علينا نَصْر المؤمنين ﴾(٨٨) . وقوله عز وجل : ﴿ ولقد سبقتْ كَلِمَتُنَا لعبادِنَا المُرسَلين ، إنهم لَهُم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون ﴾(٨٩) . وقوله تعالى : ﴿ وما النصرُ إلا مِنْ عند اللهِ . إنَّ اللَّهَ عزيزٌ حكيم ﴾(٩٠) . واستبشار النصر في القتال بقوله تعالى : ﴿ قاتلوهم يعذِّبهم الله بايديكم ويُخْزِهِمْ وينصركم عليهم ﴾(٩١) . وهكذا الكثير من الايات الكريمة التي تدعم الروح المعنوية باستبشار النصر(٩٢) . أما عن الإستشهاد وكقيمة عظيمة نابعة من الإيمان والجهاد ، وكقيمة دافعة لرفع مستوى الروح المعنوية ، فان الله عز وجل خصها بكتابه الكريم بما يدفع المؤمن لان يتقبلها ، بل يسعى من أجل الفوز بها . قال تعالى : ﴿ فلْيُقاتِلِ في سبيل الله الذين يَشْرونَ الحياةَ الدنيا بالاخرة ومَنْ يُقاتِلُ في سبيلِ الله فيُقْتَل أو يُغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾(٩٣) . وقوله تعالى :

﴿ ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربِّهم يرزقون ﴾[٩٤] .
وقوله عز وجل : ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنةَ يقاتلون في سبيل الله فَيُقْتَلونَ ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوارة والإنجيل والقرآن ومَنْ أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾[٩٥] . وقوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لِمَنْ يُقْتَل في سبيل الله أموات بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون ، ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبَشِّرِ الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربِّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾[٩٦] . وقد احتوت هذه الايات الكريمات إعداداً للمسلمين لما يمكن أن يصابوا من خسائر وألم ، وحثهم على الثبات والصبر وتحمل المشاق وتبشيرهم بالاجر ، ورفع روحهم المعنوية بطمأنتهم بأن الذين يُقتلون في سبيل الله مكرمون عند الله[٩٧] .

فالمجاهد الذي يجود بنفسه في سبيل الله يتمتع بالخلود والرفعة عند الله تعالى حيث يجعله الله عز وعلا قريباً من الانبياء والمرسلين . وفي الحديث الشريف عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ ان النبي ( ﷺ ) قال : « ما أحدٌ يدخل الجنةَ يحبُّ أن يرجع الى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيُقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة »[٩٨] . وفي مجال التحفيز لرفع الروح المعنوية أيضاً في مجال الشهادة جاء عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ ان رسول الله ( ﷺ ) قام فيهم فذكر : « ان الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الاعمال ، فقام رجلٌ فقال يا رسول الله أرأيت إن قُتلتُ في سبيل الله أيكفِّر عني خطاياي ؟ ، فقال له رسول الله ( ﷺ ) : « نعم إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر »[٩٩] .

لما كان الإيمان والجهاد مرتكزين أساسيين للعقيدة الإسلامية ، ومن ثم للروح المعنوية فان روح الفريق أو الجماعة كانت تعزز من مستوى الروح المعنوية كثيراً في صدر الإسلام . ويؤكد الله تعالى ذلك بقوله عز وجل : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾[١٠٠] . وقوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البِرِ والتقوى ﴾[١٠١] . وقوله عز وجل : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات وأولئك لهم عذابٌ عظيم ﴾[١٠٢] . وفي تاثير روح الفريق في تاجيج الروح المعنوية في القتال قال

تعالى : ﴿ ان الله يحبُ الذين يُقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص ﴾[١٠٣] .

مما تقدم يتبين ان الطاقة الخفية التي تولّدت في نفوس المؤمنين في صدر الإسلام ، هي الروح المعنوية التي أدت الى اندفاع المقاتل بإيمانه وجهاده في ظروف المعارك والصبر متمسكاً بالصبر والشجاعة ومتفائلا بالنصر والظفر في كل الظروف .

## الهوامش

( ١ ) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ( ت : ٩١١هـ ) ، الجامع الصغير في أحاديث البشير والنذير ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ط ٤ ، ١٩٥٤ ، جـ ٢ ، ص ٤٠ .

( ٢ ) فاروق عمر وآخرون ، النظم الإسلامية ، ص ١٤٤ .

( ٣ ) سورة الحجرات ـ الاية (١٠) .

( ٤ ) د. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، ص ٦٥ .

( ٥ ) سورة آل عمران ، الاية (٢٨) .

( ٦ ) سورة آل عمران ، الاية (١٠٣) .

( ٧ ) محمد الغزالي ، خلق المسلم ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٥٣ ، ص ١٣٥ .

( ٨ ) سورة البقرة ، الاية (١٧٧) .

( ٩ ) أحمد أمين ، فيض الخاطر ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، جـ ٩ ، ص ٣ .

( ١٠ ) الرازي محمد بن أبي بكر القادر ، مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٣ ، ص ٤٦ .

( ١١ ) اليسوعي ، لويس معلوف ، المنجد في اللغة والادب والعلوم ، ط ٥ ، ب.ت. ، ص ١٦ .

( ١٢ ) البغدادي ، محمود صالح ، إرشاد الامام في عقائد الإسلام ، دار العبادة ، ط ١ ، ١٩٨٥ ، ص ٤٠ .

( ١٣ ) العمري ، وميض بن رمزي بن صديق ، فقه الإيمان ، مراجعة الشيخ ابراهيم النعمة ، شركة محل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة ، الموصل ، ١٩٨٨ ص ٨٩ .

( ١٤ ) السيد سابق ، العقائد الإسلامية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ب.ت.، ص ٧٩ .

( ١٥ ) الغزالي ، الامام أبو حامد محمد ، إحياء علوم الدين ، صحح باشراف الشيخ عبدالعزيز عزالدين السيروان ، دار القلم ، بيروت ، ط ٣ ، ب.ت.، جـ ١ ، ص ١٠٩ .

( ١٦ ) سورة النساء ، الآية (١٣٦) .

( ١٧ ) كفلين : نصيبين . أنظر : حسنين محمد مخلوف ، كلمات القرآن : تفسير وبيان ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٤١٥ .

( ١٨ ) سورة الحديد ، الآية (٢٨) .

( ١٩ ) سورة التغابن ، الآية (١١) .

( ٢٠ ) سورة الملك ، الآية (٢٩) .

( ٢١ ) الالباني ، محمد ناصرالدين ، مختصر صحيح البخاري ، المكتب الإسلامي ، ط ٥ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، جـ ١ ، ص ٧ .

( ٢٢ ) محمود شيت خطاب ، بين العقيدة والقيادة ، ص ٩٠ .

( ٢٣ ) سورة يونس ، الآية (٤٩) .

( ٢٤ ) سورة النساء ، الآية (٧٨) .

( ٢٥ ) سورة آل عمران ، الآية (١٤٥) .

( ٢٦ ) حازم عبدالقهار الراوي ، الصبر والإقدام عند العرب - ص ٣٩ .

( ٢٧ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ٦٠ .

( ٢٨ ) سورة آل عمران ، الآية (٢٠٠) .

( ٢٩ ) سورة الانفال ، الآية (٦٥) .

( ٣٠ ) سورة الانفال ، الآية (٦٦) .

( ٣١ ) سورة البقرة ، الآية (٢٤٩) .

( ٣٢ ) سورة الأنفال ، الآية (٤٦) .

( ٣٣ ) سورة يوسف ، الآية (٩٠) .

( ٣٤ ) سورة آل عمران ، الآية (١٨٦) .

( ٣٥ ) الرازي ، أبو عبدالله فخرالدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ( ت : ٦٠٦هـ ) ، أسرار التنزيل وأنوار التاويل ، تحقيق محمود أحمد محمود وآخرين ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٨ .

( ٣٦ ) عبدالرزاق محمد أسود ، حياة الرسول المصطفى ، المجلد الاول ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ب.ت.، ص ١٩١ .

( ٣٧ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ٦١ .

( ٣٨ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ٦١ .

( ٣٩ ) محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، جـ ١ ، ص ٤ .

( ٤٠ ) محمود محمد غريب ، إيماننا بالله بين الفكر المطلق والقرآن العظيم ، مطبعة العاني ، بغداد ، ب.ت. ، ص ١ .

( ٤١ ) الزنداني عبدالمجيد عزيز ، كتاب التوحيد ، دار الانبار للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٩٠ ، جـ ٣ ، ص ٩٨ .

( ٤٢ ) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣٨٥ .

( ٤٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٥٠٩ .

( ٤٤ ) سورة النحل ، الآية (١٢٥) .

( ٤٥ ) سورة الاسراء ، الآية (٩٠ ـ ٩٣) .

( ٤٦ ) وهبة الزجيلي ، آثار الحرب في الفقه الإسلامي ، ص ٤٣ .

( ٤٧ ) سورة الحج ، الآية (٣٩) .

( ٤٨ ) قرني طلبة بدوي ، جواهر السيرة النبوية ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ب.ت. ، ص ٨٩ .

( ٤٩ ) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر وجلال الدين محمد بن محمد المجلي ، تفسير الجلالين ، تقديم وتعليق محمد كريم بن سعيد راجح ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ب.ت. ، ص ٤٣٨ .

( ٥٠ ) محمد عزة دروزة، سيرة الرسول (ﷺ)، صورة مقتبسة من القرآن الكريم وتحليلات ودراسات قرآنية ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، جـ ٢ ، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ .

( ٥١ ) سورة الأنفال ، الآية (٦٥) .

( ٥٢ ) سورة التوبة ، الآية (١٢٣) .

( ٥٣ ) سورة البقرة ، الآية (١٩٣) .

( ٥٤ ) سورة البقرة ، الآية (١٩١) .

( ٥٥ ) سورة البقرة ، الآية (٢١٦) .

( ٥٦ ) ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، جـ ١ ، ص ٣٣٠ .

( ٥٧ ) سورة التحريم ، الآية (٩) .

( ٥٨ ) سورة الفرقان ، الآية (١٢) .

( ٥٩ ) سورة الحج ، الآية (٧٨) .

( ٦٠ ) سورة النساء ، الآية (٩٥) .

( ٦١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥١٥ .

( ٦٢ ) النووي ، يحيى بن شرف بن حريّ بن حسنة الحزاعي الحوراني ( ت : ٦٧٦هـ ) ، رياض الصالحين عن كلام سيد المرسلين ، تحقيق عبدالله أحمد أبو زينة ، دار القلم ، بيروت ، ب.ت. ، ص ٣٧٦ . وجاء ( رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل ) . أنظر : أحمد عبدالرحمن البنا ، منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ، الطبعة المنيرية بالازهر ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ ، جـ ١ ، ص ٢٣٣ .

( ٦٣ ) المنذري ، الامام زكي الدين عبدالعظيم ابن عبدالقوي المنذري ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، ضبط وتعليق مصطفى محمد عمارة ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، جـ ٢ ، ص ٢٢٣ .

( ٦٤ ) ابن ماجة ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ب.ت. ، جـ ٢ ، ص ٩٣٤ .

( ٦٥ ) الالباني ، مختصر صحيح البخاري ، ص ١٩ ، أنظر : رياض الصالحين ، ص ٣٧٨ .

( ٦٦ ) النووي ، رياض الصالحين ، ص ٣٧٩ .

( ٦٧ ) ابن كثير ، تفسير القرآن ، جـ ١ ، ص ٥٩١ .

( ٦٨ ) السيوطي ، جلال الدين السيوطي ، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين وحاشية الامام السندي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، جـ ٦ ، ص ١٩ ـ ٢٠ .

( ٦٩ ) النووي ، رياض الصالحين ، ٣٧٩ .

( ٧٠ ) صالح اللحيدان ، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، ب.ت. ، ص ٦٧ .

( ٧١ ) سورة النساء ، الآية (٩٥) .

( ٧٢ ) السيد سابق ، العقائد الإسلامية ، ص ٨١ .

( ٧٣ ) أبو سخيلة ، محمد عبدالعزيز ، أحكام الجهاد في الإسلام ، الكويت ، ب.ت. ، ص ٧٧ .

( ٧٤ ) محمود شيت خطاب ، ومضات من نور المصطفى ( ﷺ ) ، مكتبة النهضة ، ط ١٢ ، بغداد ، ١٩٨٨ .

( ٧٥ ) سورة الانفال ، الآية (٧٤) .

( ٧٦ ) سورة البقرة ، الآية (٢٠) .

( ٧٧ ) سورة الحجرات ، الآية (١٥) .

( ٧٨ ) سورة الصف ، الآية (١١) .

( ٧٩ ) سورة التوبة ، الآية (٤٤) .

( ٨٠ ) سورة الصف ، الآية (١٠) .

( ٨١ ) الالباني ، مختصر صحيح البخاري ، جـ ١ ، ص ١٢ .

( ٨٢ ) النووي ، رياض الصالحين ، ص ٣٧٥ .

( ٨٣ ) النووي ، رياض الصالحين ، ص ٤٩٨ .

( ٨٤ ) محمود شيت خطاب ، جيش الرسول ( ﷺ ) ، ص ٩ .

( ٨٥ ) توفيق علي وهبة ، الجهاد في الإسلام ، دراسة مقارنة بأحكام القانون الدولي العام ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، ب.ت. ، ص ١٠٣ .

( ٨٦ ) سورة الصف ، الآية (١٣) .

( ٨٧ ) سورة محمد ، الآية (٧) .

( ٨٨ ) سورة الروم ، الآية (٤٧) .

( ٨٩ ) سورة الصافات ، الآية (١٧٢) .

( ٩٠ ) سورة الانفال ، الآية (١٠) .

( ٩١ ) سورة التوبة ، الآية (١٤) .

( ٩٢ ) محمد فؤاد عبدالباقي ، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، ص ٧٠٢ ـ ٧٠٣ .

( ٩٣ ) سورة النساء ، الآية (٧٤) .

( ٩٤ ) سورة آل عمران ، الآية (١٦٩) ـ مدنية .

( ٩٥ ) سورة التوبة ، الآية (١١١) .

( ٩٦ ) سورة البقرة ، الآيات (١٥٤ ـ ١٥٧) .

( ٩٧ ) محمد عزة دروزة ، سيرة الرسول ( ﷺ ) ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ .

( ٩٨ ) النووي ، رياض الصالحين ، ص ٣٨٠ .

( ٩٩ ) م. ن. ، ص ٣٨١ .

(١٠٠) سورة آل عمران ، الآية (١٠٣) .

(١٠١) سورة المائدة ، الآية (٣) .

(١٠٢) سورة آل عمران ، الآية (١٠٥) .

(١٠٣) سورة الصف ، الآية (٤) .

## الفصل الثاني

# العقيدة العسكرية العربية الاسلامية
# والروح المعنوية

### المبحث الاول

## عناصر العقيدة العسكرية العربية الاسلامية
## وأثرها المعنوي

### المبحث الثاني

## العوامل المؤثرة في بلورة العقيدة العسكرية
## العربية الاسلامية

### المبحث الثالث

## ثوابت العقيدة العسكرية العربية الاسلامية
## وأثرها المعنوي

## المبحث الاول

# عناصر العقيدة العسكرية العربية الاسلامية وأثرها المعنوي

نتناول في هذا المبحث ثلاثة عناصر مهمة للعقيدة العسكرية الإسلامية التي كان لها الدور المؤثر في تعزيز الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام ، وهي التدريب ، والتنظيم ، والتسليح .

**التدريب :**

كان المقاتلون العرب المسلمون قد تدربوا منذ عصر ما قبل الإسلام على الاسلحة وفنون القتال[1] وكانت مزايا الشجاعة والإقدام والصبر في القتال بين صفوف العرب خلال أيامهم قبل الإسلام بمثابة التدريب القتالي في فنون القتال فاكسبهم مهارة ذات فائدة مهمة وكبيرة في صدر الإسلام ، ومن ناحية أخرى فان العوامل الجغرافية كانت قد أثرت كثيراً ، فالطبيعة الصحراوية القاسية صقلت شخصية المقاتل العربي ، ودربته على الصبر وتحمل المشاق والجوع[2] ، إذ تعرض الى الجوع ، والى رمال تلفح الوجوه ، والى حرارة شديدة ، عاش في أرض واسعة وكانها بحر من رمل لا حد له[3] وجبال جرداء وصخور صم ، فانعكست هذه الطبيعة القاسية على نفس العربي ، وتدرب على القوة والصلابة والجَلَد وأصبح لا يخشى الليل ، ولا يفزع من سفر ، ولا يزعجه عصف ريح أو قلة مطر[4] وكان العرب يعيشون في خطر دائم فكانوا قبائل متشتتة تسكن مواقع متباعدة عن بعضها بعض فيفرض عليهم الحال دفاعهم عن أنفسهم ، فتراهم دائماً يحملون السلاح موقنين ببأسهم واثقين من أنفسهم فاضحى الباس خلقاً لهم ، كما ان الشجاعة أصبحت سمة أساسية من سماتهم[5] ، فكان ذلك كله نمطاً تدريبياً راقياً أفاد في تكوين الشخصية القتالية المتدربة ذات الروح المعنوية العالية التي لا تابه لشيء مما يخيف الاخرين .

وان الضبط العسكري هو مرتكز أساس لاي جيش من الجيوش ، وهذه حقيقة

راسخة ، ولا يمكن الوصول الى مستوى عالٍ من الضبط العسكري إلا من خلال التدريب . فالتدريب الجيد هو أحد مقومات النصر ، وان ضعف التدريب يسبب الكثير من المشاكل منها الفشل في الحرب[٦] . والضبط بمعناه البسيط هو الطاعة[٧] ، أي طاعة الاوامر وتنفيذها بدقة وباخلاص وحرص وأمانة دون أي تردد[٨] .

وإذا ما طبقنا هذا الرأي على الجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام نجد ان الطاعة ورد ذكرها في مائة وتسع وعشرين آية قرآنية كريمة[٩] . ومنها الامر الإلهي في قوله تعالى : ﴿ واطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ﴾[١٠] ، وجاء هذا الامر الإلهي ليشمل الكثير من الامور ، منها طاعة القائد العسكري وتنفيذ أوامره . ويقول الرسول ( ﷺ ) في هذا الصدد : « مَنْ أطاعني فقد أطاع الله . ومَنْ أطاع أميري فقد أطاعني ومَنْ عصاني فقد عصى الله . ومَنْ عصى أميري فقد عصاني »[١١] . وقوله ( ﷺ ) : « السعادة فيّ اثنتين ، الطاعة والتقوى »[١٢] . ويحقق التدريب العسكري غرس الطاعة ، والطاعة تفضي الى الإلتزام الذي يعد جوهر الضبط العسكري .

ابتدأ التدريب المنظَّم في صدر الإسلام مع إقرار الصلاة ، فصلاة الجماعة في الإسلام تقام بصفوف منتظمة خلف الامام ، يركع المصلون ويسجدون في تناسق وفي نمط موحد . وهي ذات قيمة تربوية وعسكرية في نفوس المصلين منذ ان فرضها الله عز وجل . فالخضوع والشعور بالطاعة دليل على الالتزام واللياقة البدنية[١٣] . وكلاهما عنصر مهم من عناصر التدريب الذي يعني الإعداد المادي للقتال ، والذي يفضي الى الإعداد المعنوي للمقاتل . وتعد فريضة الصيام التي فرضها الله عز وجل في السنة الثانية للهجرة[١٤] واحدة من مستلزمات التدريب على الصبر التي تسهم في الإعداد المادي والمعنوي . قال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾[١٥] .

ولذلك فقد شمل التدريب في صدر الإسلام كلًا من المقاتلين والخيول ، مع التركيز على الرمي وركوب الخيل . وفي هذا المجال أكد الرسول محمد ( ﷺ ) على كِلا النوعين من التدريب . فعن الرمي يقول في رحاب الاية القرآنية الكريمة السابقة : « ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي . ألا ان القوة الرمي »[١٦] . وقوله ( ﷺ ) : « ارموا واركبوا ، وإن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا »[١٧] . ويؤكد الله عز وجل على الرمي وعلاقته بالعقيدة العسكرية الإسلامية وإرتباطها برفع الروح المعنوية في

قوله تعالى : ﴿ وما رَميت إذ رَميت ولكنَّ الله رمى ﴾[١٨] . وعن أهمية الرمي أيضاً قال رسول الله ( ﷺ ) : « مَنْ تَعلَّمَ الرَّمي وتركه فليس منا »[١٩] . وقوله صلوات الله عليه في تاكيده على ضرورة مواصلة التدريب على الرمي : « ستُفتحُ عليكم أرضون يُكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو باسهمه »[٢٠] . وقوله : « كل لهوٍ ابن آدم باطل إلا ثلاثة : تاديبُه فرسهُ ورميهُ على قوسهِ وملاعبته أهلهِ »[٢١] . ويؤكد صلوات الله عليه على أهمية التدريب الجماعي من خلال إعطائه لساحات التدريب مكانة خاصة . فمرَّ بموضع كان لاصحابه يتدربون فيه على الرمي ، فنزع نعليه وقال : « روضٌ من رياضِ الجنةِ »[٢٢] . وكان قد خرج الى بعض المقاتلين يتناضَلون فقال : « إرموا بني اسماعيل فان أباكم كان رامياً إرموا وأنا مع بني فلان ، فمسك أحد الفريقين بايديهم فقال مالكم لا ترمون ؟ فقالوا كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال إرموا وأنا معكم »[٢٣] . ولشدة أهمية التدريب اليومي كان الرسول ( ﷺ ) مرَّ على قوم يتناضلون ويتحالفون أصِبْت والله ) فقال : « إرموا ولا إثم عليكم »[٢٤] . وكان صلى الله عليه وسلم يثني على الرماة كثيراً ففي معركة أحد كان سعد بن أبي وقاص يدافع عنه ويرمي المشركين فيقول له : « إرْمِ فداك أبي وأمي »[٢٥] .

أما فيما يخص تدريبات الخيل ، فكان ( ﷺ ) يؤكد كثيراً على ذلك فيقول : « الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة »[٢٦] . وقال عنها : « بطونها كنز وظهورها حرز ، وأصحابها معانون عليها »[٢٧] . وكان ( ﷺ ) يحب من الخيل الاشقر[٢٨] . وكان ( ﷺ ) يسابق بين الخيل من أجل تدريبها[٢٩] فسابق بالخيل فجاء فرسه سابقاً ، وسابق بالإبل فجاءت ناقته سابقة ، وعليها اسامة بن زيد ، فقال الناس : سبق رسول الله . فقال رسول الله ( ﷺ ) : سبق اسامة[٣٠] . ولاهمية الخيل في الجهاد فان الله عز وجل أقسَمَ بها في كتابه الكريم بقوله تعالى : ﴿ والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً ﴾[٣١] .

فضلا عما تقدم فقد كان للرسول ( ﷺ ) اهتمامات بفروع التدريب الاخرى . ففي مجال اللياقة البدنية كان يشجع رياضة الركض ، بل يمارسها أيضاً . فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : كنت مع النبي ( ﷺ ) في سفر فسابقته ، فسبقته على رجلي ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال : هذه بتلك السبقة[٣٢] . وكان صلوات الله عليه قد مرَّ بقوم يرفعون حجراً ليعرفوا الاشد منهم فلم ينكر عليهم[٣٣] .

وعن رياضة المصارعة ، فعن ابن اسحق قال : كان ركانة بن عبد يزيد بن

هشام بن عبدالمطلب بن مناف أشد قريش ـ فخلا يوماً برسول الله ( ﷺ ) في بعض شعاب مكة ، فقال له رسول الله ( ﷺ ) : يا ركانة ، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : اني لو أعلم ان الذي تقول حق لاتبعتك ، فقال رسول الله ( ﷺ ) : أرأيت إن صرعتك ، أتعلم ان ما أقول حق ؟ قال : نعم قال : فقم حتى أصارعك . قال فقام إليه ركانة يصارعه ، فلما بطش به رسول الله ( ﷺ ) أضجعه ، وهو لا يملك من نفسه شيئاً ، ثم قال : عد يا محمد ، فعاد فصرعه[٣٤] .

حذا الخلفاء الراشدون والقادة العسكريون من الصحابة الكرام حذو الرسول القائد ( ﷺ ) في التأكيد على التدريب . فقد ورد عن الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ انه كان يؤكد على التدريب بقوله : « علّموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً »[٣٥] . أما عمرو بن العاص فكان يدرب قواته قبل خوض معركة اليرموك على كيفية مجابهة زخم الهجوم المعادي من خلال السيطرة على الرمي واستخدام الأسلحة في آنٍ واحد ، ثم القيام برد فعل سريع بتنفيذ الهجوم المقابل الآني . ومن توجيهاته بهذا الصدد : « غضوا الأبصار وأجثوا على الرُكَبِ وأشرعوا الرماح ، فإذا حملوا عليكم فاحملوا حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا في وجوههم وثبة الأسد ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عدَدهم ، فانكم لو صدقتموهم الشد تطاير أولاد الحجل »[٣٦] .

أما أبو عبيدة عامر بن الجراح فكانت توجيهاته تنص على ما يأتي : « لا تبرحوا مكانكم ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدأوهم بالقتال ، وشددوا الرمح واستتروا بالدروع والزموا الصمت إلا من ذكر الله في نفوسكم »[٣٧] .

**التنظيم :**

كان أسلوب الكر والفر من أكثر أساليب التعبئة اعتماداً عند العرب قبل الإسلام ، حيث كان يسود غزوات بعض القبائل العربية محل البعض الآخر ، ثم ترك موقع الغزو بعد الحصول على الغنائم والعودة الى قواعد انطلاقهم . فكانوا يولون الادبار ، ولا يرون في هروبهم هذا من المعركة شيئاً ولا عيباً . ومع ظهور الإسلام تم التخلي عن هذا الأسلوب القتالي ، فتبنى المسلمون اتجاهاً عسكرياً جديداً هو نظام ( الكر ) فقط عملًا بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ﴾[٣٨] .

والكر ، هنا يعني اعتماد العمليات التعرضية ( الهجومية ) لان الإسلام جاء

ديناً جديداً لكل البشر : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[٣٩] . ولذلك احتاج نشره الى الفتوحات والتحرير ووفق هذا الاتجاه العسكري حدد اتجاه تنظيمي جديد هو نظام الصفوف امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله كأنهم بنيان مرصوص ﴾[٤٠] . وهذا النظام يعني وقوف المقاتلين بعضهم الى جانب البعض الاخر بدقة كما يصطف المصلون في الصلاة[٤١] .

إن هذا التنظيم العسكري الجديد بشقيه ( التعرض والصفوف ) حقق دعماً لمستوى الروح المعنوية بشكل واسع ، حيث ان العمليات التعرضية هي عمليات ترفع الجانب المعنوي وتستند عليها من ناحية[٤٢] ، كما ان نظام الصفوف بحد ذاته ، ولكونه يحقق اقتراب المقاتلين من بعضهم البعض ، ومقاتلتهم العدو بروح الفريق الواحد . فهو يعزز الروح المعنوية . فان الروح المعنوية تنبع من ذات الفرد ، فتؤثر في المجموع ، وهي كذلك تصدر عن المجموع فتؤثر في الفرد ، فهي علاقة تأثيرية متواصلة[٤٣] . ويحقق نظام الصفوف هذه العلاقة فيؤجج الطاقة الخفية التي تولد الصبر والشجاعة تجاه التعب والمخاطر والصعاب مهما تفاقم ضغطها خلال خضم القتال[٤٤] .

وكان رسول الله ( ﷺ ) يؤكد على نظام الصفوف لتعزيز الروح المعنوية وتحقيق النصر ، ففي معركة بدر الكبرى كان ( ﷺ ) يسوي الصفوف[٤٥] وكانما يقوم بها القداح[٤٦] ، وقال ( ﷺ ) بعد ان اقترح عليه بعض أصحابه أن ينتقل الى أعلى الوادي حيث ان ريحاً قد هاجت من أعلى الوادي : « لا . قد صففت صفوفي ووضعت رايتي فلا أغير ذلك »[٤٧] . وكذلك الحال في معركة أُحد حيث جعل رسول الله ( ﷺ ) يمشي على رجليه يسوي تلك الصفوف ويهيء أصحابه للقتال . يقول : تقدم يا فلان وتأخر يا فلان ، حتى انه ليرى منكب الرجل خارجاً فيؤخره[٤٨] . وفي حنين أيضاً عبا رسول الله ( ﷺ ) أصحابه فصفهم صفوفاً[٤٩] .

أما التنظيم الذي كان يعتمد في أثناء المسير والتقدم الى أرض المعركة فكان نظام الخميس[٥٠] . ونظام الخميس يعني تقسيم القوات الى مقدمة وقلب وجناحين ( ميمنة وميسرة ) وساقة[٥١] . وفي هذا الاسلوب تقدم الرسول ( ﷺ ) يوم أُحد[٥٢] ، وتقدمت قوات المسلمين بهذا الاسلوب أيضاً في مسيرها لفتح مكة[٥٣] . وفي مسير رسول الله ( ﷺ ) الى خيبر قال أهلها لما رأوه يقود جيش الفتح : « محمد والخميس »[٥٤] ( واستمر العمل بهذا التنظيم في العهد الراشدي ، فنجد تطبيقات

له في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ، حيث نظّم خالد بن الوليد الجيش في اليرموك الى الميمنة والمسيرة والقلب والساقة[٥٥] . وطبق نفس الاتجاه التنظيمي في عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، فتم في القادسية تنظيم الجيش على أساس الطلائع والمقدمة والساقة والمجنبات فضلا على القلب[٥٦] .

إن هذا التنظيم حقق عدداً من الاتجاهات الإيجابية العسكرية ، منها إمكانية الرصد والاستطلاع والقتال الى جميع الجهات . ولكنه في الوقت نفسه حقق دعماً للروح المعنوية من حيث كونه حقق التماسك بين المقاتلين والقوات من ناحية ووفر المعلومات عن العدو من ناحية ثانية . وان كِلا الاتجاهين ( التماسك والمعرفة ) يعززان من مستوى الروح المعنوية .

وبهذين النظامين ( الصفوف والخميس ) فان الرسول ( ﷺ ) قد أرسى قواعد جديدة للعسكرية العربية الإسلامية ووضع تعاليمها النظرية والعملية . وحذا الخلفاء الراشدون حذو النبي ( ﷺ ) في تطبيق هذه التعاليم ، ولذلك استطاعوا تحقيق أكبر الانتصارات على أقوى جيوش الروم وفارس وفتحوا البلدان بزمن قصير[٥٧] .

من الأنظمة العسكرية التي اعتمدها الجيش الإسلامي في صدر الإسلام أيضاً هو نظام الرايات والألوية[٥٨] . وكانت راية رسول الله ( ﷺ ) سوداء ولواء أبيض[٥٩] .

وتعتبر الراية واحدة من الرموز المعنوية العظيمة في صدر الإسلام . وكان الرسول ( ﷺ ) قد أمر في معركة ودان وهي أول غزوة له ( ﷺ ) في السنة الثانية للهجرة بحمل اللواء ذي لون أبيض من قبل حمزة بن عبدالمطلب[٦٠] ـ رضي الله عنه . وكذلك في معركة بني قينقاع التي جرت في شوال من السنة الثانية للهجرة[٦١] حيث اعتمد نفس اللواء وحمله الحمزة بن عبدالمطلب أيضاً[٦٢] . وفي السير الى بدر رفع اللواء الأبيض الى مصعب بن عمير ، وكان أمام رسول الله ( ﷺ ) رايتان سوداوان ، إحدهما مع علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجه ـ يقال لها العقاب ، والاخرى مع بعض الانصار[٦٣] . وفي معركة الكدر في السنة الثالثة للهجرة حمل اللواء علي بن أبي طالب[٦٤] ، أما في معركة أُحد فجعل الرسول ( ﷺ ) اللواء عند مصعب بن عمير[٦٥] . واستمر العمل بنظام الرايات في عهد الخلفاء الراشدين فنجد ان خالد بن الوليد كان قد اعتمد راية سوداء في حركته الى اليرموك وهي الراية نفسها التي كانت مع رسول الله ( ﷺ ) والمسماة العقاب[٦٦] .

ويبدو لنا أهمية اللواء والراية في تعزيز الروح المعنوية لما لها من تاثير انعكاسي إيجابي كبير على المقاتلين ، خاصة وان رفع الراية يعني ان القائد ما زال موجوداً على رأس قومه . وان خير مثال يوضح لنا هذه الاهمية ما جرى في معركة مؤتة ، فكان زيد بن حارثة يحمل راية رسول الله ( ﷺ ) ، وخلال القتال استشهد زيد ، فتناولها جعفر بن أبي طالب وقاتل بها حتى استشهد ، فانتشلها عبدالله بن رواحة ، ثم تقدم بها وهو على فرسه[٦٧] .

ومن التنظيمات العسكرية التي استحدثها الجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام ، هو ديوان الجند حيث ادخل هذا النظام الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ والذي يضم قوائم المقاتلين[٦٨] . باسمائهم وأرزاقهم وعطائهم حسب أنسابهم[٦٩] بعد استشارة كبار الصحابة . ويعتبر هذا الحدث التنظيمي من القفزات المتطورة في مجال التنظيم العسكري كعنصر من عناصر العقيدة العسكرية وبنفس الوقت كان له الدور المؤثر في مجال رفع مستوى الروح المعنوية ، حيث ان هذا الديوان نظَّم سبل توزيع العطاء وفقاً لمعايير الجهد والسبق في الإسلام والقرابة من الرسول ( ﷺ ) فقد كان التوزيع أولًا على أساس أهل بيت رسول الله ( ﷺ ) ثم الاقرب فالاقرب حيث أعطاهم نسبة أعلى من الآخرين ، ثم فرض العطاء لأهل بدر ثم لمَنْ بعد بدر الى الحديبية ، ثم لمَنْ بعد الحديبية الى نهاية الردة ، ثم فرض لأهل القادسية واليرموك ثم للروادف[٧٠] .

وهكذا جدد نظام التكريم وفق هذه الاسبقيات . ومعروف ان هذا الاساس المادي في التكريم ينسحب على الجانبين المعنوي باتجاهه الإيجابي[٧١] .

ومن التنظيمات العسكرية الأخرى المعززة للروح المعنوية في الجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام هو إستحداث الاقباض[٧٢] . وهي ذات صلة بتامين متطلبات الشؤون الإدارية وتضميد الجرحى ودفن الشهداء وإعداد الطعام وغيرها . نجد هذا التنظيم واضحاً في معركتي اليرموك والقادسية حيث عين عبدالله بن مسعود على الاقباض في اليرموك[٧٣] . بينما عين عبدالرحمن بن ربيعة على الاقباض في معركة القادسية[٧٤] . ومعروف ان الشؤون الادارية والخدمات هي ذات تاثير معنوي كبير للمقاتلين خاصة وان النساء العربيات كن يرافقن المقاتلين ليقدمن لهم الخدمات اللازمة . ففي معركة اليرموك تجاوز فعلهن تامين الخدمات الادارية فقط ، بل وصل الى مستوى القتال المباشر كفعل خولة بنت الأزور في مقاتلة

الروم[٧٥] . وفي معركة القادسية أقيم لهن معسكر خاص بهن ووضع سعد بن أبي وقاص قوة خيالة بقيادة غالب بن عبدالله الليثي لحمايتهن .

كان القراء والقصاص يؤلفون واحداً من الاتجاهات التنظيمية الجديدة في الجيش العربي الإسلامي ، وكان لهم تاثير في رفع الروح المعنوية كما هو الحال في معركة اليرموك حيث عين المقداد بن الاسود بمنصب القاري وهي سُنة سنُها رسول الله ( ﷺ ) بعد معركة بدر بأن يقرأ سورة الجهاد عند اللقاء وهي ( الانفال ) ، كما عين أبا سفيان بن حرب بمنصب القاص[٧٦] ليشحذ همم المقاتلين قبل المعركة ويرفع روحهم المعنوية .

ومن عناصر العقيدة العسكرية الإسلامية أيضاً هو تنظيم القوات وفق أساس الوحدة القيادية ، بحيث تقاتل القبيلة الواحدة بصورة مجتمعة كوحدة عسكرية متماسكة ، فكان رؤساء القبائل في الغالب هم قادة هذه القوات مثل ما حدث في القادسية حيث قبيلة أسد كانت بقيادة طليحة بن خويلد الاسدي[٧٧] وجرير بن عبدالله البجلي كان يقود قبيلة بجيلة[٧٨] . وان اعتماد هذا التنظيم في القتال يزيد من شحذ الهمم ويرفع مستوى الروح المعنوية في القتال فالذي يقاتل بين أهله وعشيرته يشعر بالشجاعة ويخشى الهزيمة كما هو معروف ومن الامور التنظيمية ذات الصلة بالروح المعنوية هي اعتماد ( شعارات خاصة ) في القتال لغرض التمييز والتعريف بالمقاتلين حيث لم يكن في صدر الإسلام لباس موحد للقوات خلال القتال من ناحية ولغرض رفع الجانب المعنوي في خضم القتال من ناحية أخرى إذ كان شعار الميامين في معركة بدر ( أحدٌ . أحَد )[٧٩] . وفي معركة أُحد ( امِتْ . امِتْ )[٨٠] وفي معركة الخندق ( هُمْ لا يُنْصَرُون )[٨١] . وفي معركة المصطاف ( يا منصور . أمت . أمت )[٨٢] .

**التسليح :**

في عهد الرسول ( ﷺ ) كان المقاتل يسلح نفسه ، فكان يشتري سلاحه وفرسه[٨٣] بنفسه ، ذلك نظراً لقلة الإمكانات والموارد ، وقد شجع الله عز وجل على ذلك في تقديم الجهاد بالمال والجهاد بالنفس في قوله تعالى : ﴿ لا يستوي القاعدونَ من المؤمنين غير أولي الضَرَرِ والمجاهدونَ في سبيلِ اللّهِ بأموالِهِمْ وأنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ المجاهدينَ على القاعدين أجراً عظيماً ﴾[٨٤] . وقال تعالى داعياً المسلمين للنفير والجهاد بالمال والنفس : ﴿ انفُروا خِفَافَاً وثِقَالاً وجاهدوا بأموالِكُمْ

وانفُسِكُمْ في سبيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾[٨٥] .

وأكد رسول الله ( ﷺ ) على ذلك أيضاً ، فعن أبي سعيد الخدري قال : أتى رجل رسول الله ( ﷺ ) فقال : أي الناس أفضل ؟ قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله[٨٦] . وكان ( ﷺ ) يشجع المسلمين علي دعم الجيش بقوله : « مَنْ جهَّزَ غازياً في سبيل الله فقد غزا »[٨٧] .

وبالرغم من قلة العدة والسلاح من حيث الكم والنوع في بداية صدر الإسلام ، إلا ان السلاح غير المرئي الذي كان يدفعهم لتحقيق النصر الحاسم كان سلاح الإيمان وما هو إلا السلاح المعنوي الذي سيطر على مكنونات أفعالهم وانفعالاتهم تحت تاثير الخالق عز وجل الذي أمرهم بالصبر والعزيمة والشجاعة بغية فوزهم برضوانه . قال تعالى : ﴿ يا أيُها الذين آمنوا هلْ أدلُكُمْ على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ أليم ، تؤمنون بالله ورسولِهِ وتجاهدون في سبيل اللَّهِ باموالِكُمْ وأنفُسِكُمْ ذلِكُمْ خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾[٨٨] . أما السلاح المرئي ، شانه لديهم ، اضافة قوة مادية ملموسة للدفاع عن المبادىء جنباً الى جنب مع الإيمان ، هكذا يكون سلاحان في المعركة ، سلاح معنوي وسلاح مادي . ولاهمية التسليح كمنصر من عناصر العقيدة العسكرية الإسلامية ، نجد ان الرسول ( ﷺ ) كان قد اقترض مالًا ليساهم بالحصول على الأسلحة اللازمة خلال معاركه[٨٩] . ففي معركة حنين ذكر له ( ﷺ ) ان عند صفوان بن أمية أسلحة ودروعاً فارسل إليه لإعارة السلاح ولقاء العدو فيه وإعادته له في اليوم التالي[٩٠] . وكان صلوات الله عليه قبل ذلك قد حصل على أموال من بني النضير التي افتتحها بعد حصار دون قتال في السنة الرابعة للهجرة ، فقسَّمها على المهاجرين الاولين[٩١] ، وما فضل جعلها للكراع والسلاح[٩٢] . أما الاموال التي حصل عليها من فيء بني قريضة بعد معركة الخندق في السنة الخامسة للهجرة فقد أرسل سعد بن زيد الانصاري ببعض من هذه الأموال الى نجد لغرض شراء خيل وسلاح[٩٣] . إذن كان السلاح من العناصر الاساسية للعقيدة العسكرية الإسلامية وتمسك المقاتل بها تمازجاً وتفاعلا ، فزاد من قوة صلابته وإيمانه وروحه المعنوية . فالسيف العربي كان ذا اعتبار عظيم عند الرسول ( ﷺ ) وفي ذلك يقول : « ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف »[٩٤] وقد حذا الخلفاء الراشدين نفس هذا الاتجاه فذكر ان أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ( كان يشتري الخيل ، والسلاح والإبل فتحمل في سبيل الله تعالى )[٩٥] . وعندما قدم عتبة بن غزوان الى البصرة غنم

سلاحاً[٩٦] فعزز به سلاح الجيش . كانت الخيول تمثل أهم الأسلحة الاساسية وقد أكد الله عز وجل هذه الاهمية بقوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل ترهبون به عدوَ اللّهِ وعدوكم ﴾[٩٧] . وقوله تعالى : ﴿ والعاديات صبحاً فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً ، فاثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً ﴾[٩٨] . ولم تكن القدرة القتالية المكتسبة باستخدام الخيل هي وليدة تجربة زمنها بضع سنين ، وإنما هي حصيلة ما توصل إليه العرب الى حقبة سبق عصرهم الزاهر . فالعرب قبل الإسلام كانوا أصحاب الخيل وفروسية الكر والفر بها ، بقدرات قد حرصوا على اكتسابها عن طريق التعليم والممارسة .

وكانت حاجة العربي الى فرسه حاجة ماسة الأمر الذي ولد بينهما علاقة حميمة ، برزت في قيادة الفرسان لخيولهم وسط ظروف القتال ، وهم فوقها على ظهرها يقاتلون بيد وترسهم أو درعهم بيد ويقودون بأرجلهم مسيرها . وبالطبع فان هؤلاء الفرسان والقادة ، كان لهم الدور الأكثر تأثيراً بعد إسلامهم مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم .

وبالرغم من هذه الأهمية البالغة للخيول ، إلا ان حجم قوات الخيالة بقي أقل من حجم قوات المشاة خلال عصر صدر الإسلام بسبب محدودية الإمكانيات المالية . ونجد ذلك واضحاً في زيادة عنصر المشاة على الفرسان في أغلب المعارك[٩٩] . وشجعت الخلافة الراشدة الافراد على اقتناء الخيل ، فكتب الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الى عتبة بن غزوان عام ١٧ هجري في البصرة قائلًا : « أما بعد فإن عبدالله الثقفي ذكر لي انه اقتنى بالبصرة خيلًا حين لا يقتنيها أحد ، فإذا جاءك كتابي هذا فاحسن حوار أبي عبدالله وأعنه على ما استعانك عليه »[١٠٠] . ولغرض معالجة هذا النقص التسليحي ، فقد ابتدع الفكر العربي الإسلامي العسكري قوات الإسناد من الخيالة للتدخل السريع لتامين متطلبات السوق العسكري بين ساحات الحركات[١٠١] ، فقد خصص الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في كل مصر من الامصار أربعة آلاف فرس ، عين عليها مَنْ يعتني بها ، ويرعاها لتكون جاهزة للطوارىء ، ينطلق عليها الفرسان لمواجهة العدو الى ان تستعد بقية القوات ، ومن ناحية أخرى فقد كان لدى الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خيلًا موسومة في أفخاذها ( حبيس في سبيل الله )[١٠٢] .

ولغرض تعزيز الروح المعنوية للفرسان ، فقد كان الفارس الذي يقاتل على أكثر

من فرس فيسهم لفرسين من أفراسه[١٠٣] ، وأدى هذا الى تشجيع المقاتلين على إقتناء الخيول وكان رسول الله ( ﷺ ) قد قسّم غنائم بدر للفارس سهمان وللراجل سهم[١٠٤] . وفي حصار بين قريظة عام خمسة للهجرة قسّم الرسول ( ﷺ ) ألفيء بنسبة ثلاثة أسهم للفارس ، للفرس سهمان ولفارسه سهم[١٠٥] .

ولأهمية الخيول فقد كانت تدرع بدروع من الجلد أو الحديد لتحميها من أسلحة العدو وسهامه يسمى ( التجفاف ) ، ويطلق على الخيول التي تجلل بهذه التجافيف بالمجففة[١٠٦] . وكان عمرو بن العاص ينقص من عطاء المقاتل الذي لا يعتني بفرسه أو يهمل عنايته[١٠٧] . إذن فقد كان للسلاح والخيول أهمية خاصة في الأثر المعنوي في صدر الإسلام[١٠٨] ، ولعلنا نأخذ المثال التالي أُنموذجاً لهذه الاهمية فقد سأل الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عمرو بن معد يكرب عن السلاح فقال له : ما تقول في الترس ؟

قال : هو المجن وعليه الدوائر .

قال : فما تقول في الرمح ؟

قال : أخوك وربما خانك فانفض .

قال : فالنبل ؟

قال : منايا تخطىء وتصيب .

قال : فما تقول في الدرع ؟

قال : مشغلة للراجل مشغلة للفارس وانها لحصن حصين[١٠٩] .

## الهوامش

( ١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٢٢ .

( ٢ ) الراوي ، حازم عبدالقهار ، أضواء معاصرة على معركة ذي قار الخالدة ، المطابع العسكرية ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٢ .

( ٣ ) د. جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ٤ ، ص ٢٨٠ .

( ٤ ) محمد فرج ، الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

( ٥ ) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٥ .

( ٦ ) مديرية التطوير القتالي ، كراسة التدريب للحرب ، المطابع العسكرية ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص ١١ .

( ٧ ) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل الى العقيدة والستراتيجية العسكرية ، ص ٢٣٤ .
( ٨ ) محمود شيت خطاب ، بين العقيدة والقيادة ، ص ٩٤ .
( ٩ ) محمد فؤاد عبدالباقي ، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم .
( ١٠ ) سورة النساء ، الاية (٥٩) .
( ١١ ) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٤٥ .
( ١٢ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٩٠ .
( ١٣ ) د. شحادة الناطور ، د. أحمد عورات ، د. جميل بيضون ، علي عكاشة ، النظم الإسلامية ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الاردن ، أربد ، ١٩٨٨ ، ص ٢٦٩ .
( ١٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٦ .
( ١٥ ) سورة الانفال ، الاية (٦٠) .
( ١٦ ) الشيباني ، شرح كتاب السير الكبير ، جـ ١ ، مصدر سابق ، ص ١١٢ . وانظر : ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب ، الفروسية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١٥ .
( ١٧ ) أحمد عبدالرحمن البنا ، منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالیسي أبي داود ، جـ ١ ، مرجع سابق ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ . وانظر : ابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ص ١٤ .
( ١٨ ) سورة الانفال ، الاية (١٧) .
( ١٩ ) النووي ( رياض الصالحين ) ، ص ٣٨٥ . وانظر : ابن قيم ، الفروسية ، ص ٢١ .
( ٢٠ ) منصور علي ناصف ، تاج الجامع للاصول في حديث الرسول ( ﷺ ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، جـ ٤ ، ١٩٦٣ ، ص ٣٥٧ . وانظر : الامام النووي ، رياض الصالحين ، ص ٣٨٥ .
( ٢١ ) الشيباني ، شرح كتاب السير الكبير ، جـ ١ ، ص ١١٢ .
( ٢٢ ) النويري شهاب الدين أحمد ابن عبدالوهاب ( ت : ٧٣٢هـ ) ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، نهاية الارب في فنون الادب ، دار الكتاب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٣٨ .
( ٢٣ ) ابن قيم ، الفروسية ، ص ١٥ .
( ٢٤ ) م. ن. ، ص ١٧ .
( ٢٥ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٨٧ . وانظر : ابن الكثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨ .
( ٢٦ ) النووي ، رياض الصالحين ، ص ٣٨٤ . وانظر : أحمد عبدالرحمن البنا ، منحة المعبود ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .
( ٢٧ ) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ٩٠ .
( ٢٨ ) م. ن. ، ص ٩٠ .
( ٢٩ ) منصور علي ناصف ، التاج الجامع للاصول ، جـ ٤ ، ص ٣٠٦ .
( ٣٠ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٨ .
( ٣١ ) سورة العاديات ، الاية (١ ـ ٣) .

( ٣٢ ) منصور علي ناصف ، التاج الجامع للاصول ، ص ٣٥٦ .
( ٣٣ ) ابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ص ١٤ .
( ٣٤ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٣١ . وانظر : ابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ص ٩ .
( ٣٥ ) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، دار الكتب المصرية ، جـ ١ ، القاهرة ، ب. ت. ، ص ١٥٥ .
( ٣٦ ) ابن كثير ، الحافظ أبو الفدا ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٦ ، جـ ٣ ، ص ٩١٨ . وانظر : ابن عساكر ، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسين عبدالله الشافعي ، تاريخ دمشق الكبير ، هذبه ورتبه الشيخ عبدالقادر بدران ، بيروت ، دار المسيرة ، بيروت ، جـ ٦ ، ص ١٦٤ .
( ٣٧ ) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ص ٩١٨ . وابن عساكر ، تاريخ دمشق الكبير ، ص ١٦٣ .
( ٣٨ ) د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ٤ ، ص ٢٩٦ .
( ٣٩ ) سورة الانفال ، الاية (١٥) .
( ٤٠ ) سورة الانبياء ، الاية (١٠٧) .
( ٤١ ) سورة الصف ، الاية (٤) .
( ٤٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .
( ٤٣ ) الطبري ، تاريخ ، ص ٢٤٤ . وانظر : ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ٩١٨ . والرازي ، مختار الصحاح ، ص ١٩٠ .
( ٤٤ ) خليفة بن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٧ .
( ٤٥ ) الواقدي ، مغازي رسول الله ( ﷺ ) ، ص ٣٣٠ .
( ٤٦ ) ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الشهاب أبو الفضل الكناني المسقلاني ( ت : ٨٥٢هـ ) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المطبعة المصرية بالأزهر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٩ ، جـ ٧ ، ص ٤٦٧ .
( ٤٧ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ٣١ - ٣٢ .
( ٤٨ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٤ . وانظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ص ٣١١ .
( ٤٩ ) د. فاروق عمر وآخرون ، النظم الإسلامية ، ص ١٤٠ .
( ٥٠ ) الشيباني ، شرح كتاب السير الكبير ، ص ١١٧ .
( ٥١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .
( ٥٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤ . وانظر : ابن خلدون ، تاريخ ، ص ٩١٨ . والرازي : مختار الصحاح ، ص ١٩٠ .
( ٥٣ ) خليفة بن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٧ .
( ٥٤ ) الواقدي ، مغازي رسول الله ( ﷺ ) ، ص ٣٣٠ .
( ٥٥ ) ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ص ٤٦٧ .
( ٥٦ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ٣١ - ٣٢ .

( ٥٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٤ . وانظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣١١ .

( ٥٨ ) د. فاروق عمر وآخرون ، النظم الإسلامية ، ص ١٤٠ .

( ٥٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٥٨ . والراية هي ما يعقد في طرف الرمح وتترك لا لتصفقها الرياح ، أما اللواء فهو ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه . أنظر : محمود أحمد محمد ، الجيش والقتال في صدر الإسلام ، ص ٢٠٣ .

( ٦٠ ) الشيباني ، كتاب السير الكبير ، ص ٧١ .

( ٦١ ) خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ١٣ .

( ٦٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٥٢١ .

( ٦٣ ) م. ن. ، ص ٥٥ . وانظر : اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٤٤ ، وابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ . وابن عبدالبر ، الامر في اختصار المغازي والسير ، ص ١٠٣ .

( ٦٤ ) م. ن. ، ص ٥٥٨ .

( ٦٥ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٦٤ .

( ٦٦ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٥٨ .

( ٦٧ ) الواقدي ، مغازي الرسول ( ﷺ ) ، ص ١٧٣ .

( ٦٨ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١١٥ . أنظر : اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٨٨ . ابن أعثم ، الفتوح ، ص ٤ .

( ٦٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢ . ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ١ ، ص ١٢٠ . وابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، جـ ١ ، ص ٩٣ .

( ٧٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ٤١٥ .

( ٧١ ) م. ن. ، ص ٣٠٧ .

( ٧٢ ) م. ن. ، ص ١١٩ . والاقباض : هي المجموعة العسكرية المسؤولة عن تامين كافة المتطلبات الادارية للقتال .

( ٧٣ ) م. ن. ، ص ١٩٩ . وانظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ .

( ٧٤ ) م. ن. ، ص ٢٤٥ . وانظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣١١ .

( ٧٥ ) الواقدي ، فتح الشام ، جـ ١ ، ص ٢٩ .

( ٧٦ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ٢٤٧ .

( ٧٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ .

( ٧٨ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ١٠٠٠ . وانظر : ابن الاثير ، جـ ١ ، ص ٣١١ .

( ٧٩ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ١٤٢ .

( ٨٠ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧ .

( ٨١ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٧٢ .

( ٨٢ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٣٧ .

( ٨٣ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ .
( ٨٤ ) عبدالرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ، دار المعارف بمصر، ١٩٦١ ، ص ١٢٥ .
( ٨٥ ) سورة النساء ، الآية (٤١) .
( ٨٦ ) سورة التوبة ، الآية (٤١) .
( ٨٧ ) النووي ، رياض الصالحين ، ص ٢٧٦ .
( ٨٨ ) م. ن. ، ص ٢٧٩ .
( ٨٩ ) سورة الصف ، الآيتين (١٠ و ١١) .
( ٩٠ ) الاصبهاني ، أحمد بن عبدالله ( ت : ٤٣٠هـ ) ، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٢٧٥ .
( ٩١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٧ .
( ٩٢ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٠١ .
( ٩٣ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٠ .
( ٩٤ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٣ ، ص ٢٥٦ .
( ٩٥ ) النووي ، رياض الصالحين ، ص ٢٧٩ .
( ٩٦ ) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ١١ .
( ٩٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٩٧ .
( ٩٨ ) سورة الأنفال ، الآية (٦٠) .
( ٩٩ ) سورة العاديات ، الآيات (١ ـ ٥) .
( ١٠٠ ) ابن هشام السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ وما بعدها . الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٢١ وما بعدها . الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ٢ ، ص ٤٥ وما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٨ وما بعدها .
(١٠١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٥ ، جـ ٧ ، ص ٧ .
(١٠٢) فاروق عمر فوزي وآخرون ، النظم الإسلامية ، ص ١٣٤ .
(١٠٣) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ٢١٦ .
(١٠٤) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٥ ، ص ٣٥٢ .
(١٠٥) أبو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ( ت : ١٨٢هـ ) ، المكتبة السلطانية ، ١٣٨٣هـ ، ص ١٨ .
(١٠٦) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٣ ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ . أنظر : اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٥٣ .
(١٠٧) الطبري ، تاريخ ، جـ ٧ ، ص ٢٧٣ .
(١٠٨) أبو يوسف ، الخراج ، ص ٥٧ .
(١٠٩) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ١٠١ .

## المبحث الثاني

# العوامل المؤثرة
# في بلورة العقيدة العسكرية العربية الاسلامية

العقيدة العسكرية هي السياسة العسكرية المعبّرة عن توجهات الدولة السياسية والمتعلقة بالقواعد الاساسية للصراع المسلح ، والمتضمنة لطبيعة الحرب وطرق ادارتها[١] . ولذلك فان العقيدة العسكرية تنبثق من العقيدة السياسية للدولة . وفي مجال العقيدة العسكرية العربية الإسلامية فمن المؤكد أن تكون منبثقة عن العقيدة الدينية التي استندت على الإيمان والجهاد كما ذكرنا في الفصل السابق ، والتي وضحنا بها مفهوم الروح المعنوية في صدر الإسلام . ولما كان الدين الإسلامي الحنيف يدعو الى إعلاء كلمة الله تعالى في ربوع الارض ، وان هذه المسؤولية وقعت على العرب دون سائر الامم بوصفهم مادة الإسلام ورافعي رايته ﴿ وهذا كتابٌ مصدقٌ لساناً عربياً لِيُنْذِرَ الذينَ ظلموا وبُشرى للمحسنين ﴾[٢] . وقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بهِ الروحُ الامين على قلبِكَ لتكونَ من المُنْذِرينَ بلسانٍ عربيٍّ مبين ﴾[٣] . فان أساس العقيدة العسكرية العربية الإسلامية كان يرتكز على على شقي الإيمان والجهاد أيضاً الذي عمل بهما الإسلام على رفع الروح المعنوية للمقاتلين في سبيل الله ، فوعدهم الله بمضاعفة أجرهم وثوابهم[٤] .

هنا سنتناول أهم العوامل التي أسهمت في بلورة العقيدة العسكرية الإسلامية وأثر هذه العوامل في رفع مستوى الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام . وتتمثل هذه العوامل ، بالعوامل السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية والعوامل الجغرافية .

### العوامل السياسية :

كانت جزيرة العرب عند ظهور الرسول محمد ( ﷺ ) تحت خطر الغزو الاجنبي . فكان الاحباش قد استولوا عام ٥٢٥ ميلادية على اليمن التي لم تكن لغير

ملوك العرب قبل هذا التاريخ . وبعد حين تمكن الفرس من طرد الأحباش من اليمن عام ٥٩٧ ميلادية أي قبل ظهور الرسول ( ﷺ ) بقليل ، فاضحى للفرس مرازبة في اليمن وحضرموت وعُمان[٥] .

كانت الظروف السياسية الدولية عند ظهور الإسلام تتمثل بتجدد الحروب بين البيزنطيين والساسانيين ، وبعد حروب متتالية دخل الساسانيون بلاد الشام وفي عام ٦١٤ ميلادية احتل الساسانيون مدينة القدس . ثم أصيبت الامبراطورية البيزنطية بانتكاسة كبيرة أخرى بعد ان استولى الساسانيون على مصر ، وبلوغ جيوشهم الساحل المقابل للقسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية[٦] . ومما يذكر ان مكة في خضم هذه الأحداث كانت تحرص على الحياد ، فلا نجد ما يشير الى انها أدت اتاوة الى أحد ، ولم يتسلط عليها ملك[٧] .

إن هذه الأحداث السياسية بين القوتين الكبيرتين آنذاك كانت قد وقعت ونزلت هذه الهزائم بالروم في الوقت الذي كان فيه أمر الله عز وجل قد نزل على الصادق الأمين الرسول الكريم محمد ( ﷺ ) بلزوم إبلاغ رسالته للناس وهو يدعو أهل مكة الى الإسلام[٨] . ﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين ﴾[٩] . فلما جاء الخبر الى النبي ( ﷺ ) وأصحابه وهم بمكة تالموا ، حيث كانوا يكرهون أن يظهر المجوس الملحدين على أهل الكتاب من الروم . وفرح الكفار وشمتوا فلقوا أصحاب النبي ( ﷺ ) فقالوا : « انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وانكم إن قابلتمونا لنظهرنَّ عليكم »[١٠] . وهنا أنزل الله تعالى الآيات الكريمات : ﴿ الم غُلِبَتْ الروم ، في أدنى الارض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضعِ سنين للّهِ الامرُ من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّهِ ، ينصرُ مَنْ يشاء وهو العزيزُ الرحيم ﴾[١١] .

ويمكن الإستدلال هنا على المستوى العال الذي أراده الله عز وجل لرفع الروح المعنوية للمسلمين في مرحلة انبثاق الرسالة الإسلامية السمحاء وهم يؤلفون القلة في مجتمع وثني قاسٍ . فقد فرح المسلمون بنزول هذه الآيات المعززة للروح المعنوية ، وأيقنوا بها ان النصر آتٍ لا محال ، وانهم سينتصرون حتماً على الكفار من أهل مكة أيضاً بإذن الله وأمر الله تعالى . فبعد نزول هذه الآيات الكريمات خرج أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ الى الكفار قائلا : « أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ولا يقرنَّ الله أعينكم فوالله ليظهرنَّ الروم على فارس ، أخبرنا بذلك

نبينا »[١٢] . هذه الهزائم الكبيرة التي لحقت بالروم كانت قد وقعت في عهد القيصر هرقل الذي كان قبل ذلك بطريقاً قام بتعمير بيت المقدس وبنى الكنائس[١٣] . وحكم امبراطورية الروم لمدة خمسة وعشرين عاماً[١٤] . ولكن بعد بضع سنين فعلًا من هذه الهزائم وكما ورد في القرآن الكريم استطاع هرقل من إستعادة بلاد الشام ومصر الى الامبراطورية البيزنطية في المعارك التي جرت خلال الاعوام (٦٣٣ - ٦٣٨) ميلادية ، وتعزز هذا النصر عندما قُتِلَ كسرى الفرس ابرويز صاحب الانتصارات على الروم[١٥] . وسر المسلمون وهم بالمدينة المنورة بانتصار الروم على الفرس ، وازدادت روحهم المعنوية تاججاً باتجاه الامل في قرب انتصارهم على المشركين . وكان خبر قتل كسرى الفرس قد جاء الى رسول الله ( ﷺ ) يوم الحديبية ففرح ومَنْ معه من الصحابة الكرام[١٦] .

إن وجود القوتين الكبيرتين في ذلك الزمن ، الفرس والروم ، وتهديدهما للدولة العربية الإسلامية حديثة النشأة ، تطلب من العقيدة العسكرية الإسلامية أن تتبنى فكر الامة المقاتلة المستندة الى الجهاد والنفير العام ، وهو بدون شك كان عاملا من عوامل بلورة هذه العقيدة أتاحت للمسلمين لاحقاً تحقيق الانتصارات الكبرى في الوقت نفسه الذي كان فيه عاملا مهماً من عوامل دعم الروح المعنوية ، فالجهاد ، كما أسلفنا في الفصل السابق واحداً من المرتكزات الاساسية لرفع الروح المعنوية[١٧] . فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - سئل رسول الله ( ﷺ ) ، أي الناس أفضل ، فقال : « مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله )[١٨] .

هذا ما يتعلق بالمستوى السياسي الدولي العام آنذاك ، أما على المستوى المحلي في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فقد فرض الرسول ( ﷺ ) نظاماً سياسياً جديداً اعتمد على بعض الاسس ، منها فرض الولاء الديني محل الولاء القبلي الذي كان الاساس السائد في المجتمع العربي قبل الإسلام[١٩] . فقد جمع قبائل العرب تحت لواء الإسلام ، فألَّفَ الإسلام بين قلوبهم ، وقضى على العصبية القبلية ، فزالت الفرقة القديمة ، وخضعوا للنظام السياسي الجديد الذي استند الى أوامر القرآن الكريم[٢٠] . وبذلك قامت في بلاد العرب حكومة مركزية حددت منهجها بالسعي لإعلاء كلمة الله عز وجل ، وجمعت بين السلطتين الدينية والسياسية بيد رئيس الدولة والحث على الحرية والاخاء والمساواة والشورى[٢١] ، مما كان له الاثر البالغ في دعم وإدامة الروح المعنوية من خلال تماسك المجتمع العربي الإسلامي في تلك

الحقبة من الزمن ، فكان منهج الشورى الذي حدد في نظام الحكم السياسي منذ فجر الإسلام ذا انعكاس واضح على العمل العسكري وفي الوقت نفسه حقق تعزيزاً للروح المعنوية . ويتجلى ذلك في المشورة التي قدمها الصحابي الحباب بن المنذر في معركة بدر لاختيار موقع التحشد[22] . وبالطبع فان هذا المنهج جاء تمسكاً والتزاماً بأمر الله عز وجل في قوله : ﴿ وشاورهم في الامر ﴾[23] . وقوله تعالى : ﴿ والذين استجابوا لربِّهِمْ وأقاموا الصلاةَ وأمرهُمْ شُورى بينهم ﴾[24] .

وبعد وفاة الرسول محمد ( ﷺ ) تم مبايعة أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أول خليفة للمسلمين. وحال انتخابه حدد منهج سياسته بادائه منهج الرسول ( ﷺ ) في قوله : « يا أيها الناس إنما أنا مثلكم ، واني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ( ﷺ ) يطيق ، ان الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الافات ، وإنما أنا متبع وليس مبتدع ، فإن استقمت فتابعوني ، وإن زغت فقوموني ، وان رسول الله ( ﷺ ) قبض وليس أحد من هذه الأمة يطالبه بمظلمة ضربة سوط ، فما دونها ، إلا وان لي شيطاناً يعتريني فإن أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في اشعاركم وأبشاركم ، وأنتم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه ، فإن استطعتم أن لا يمضي هذا الاجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله »[25] .

في هذه الخطبة القصيرة ، معانٍ كثيرة للمنهج السياسي ذي الانعكاس الواضح على بلورة العقيدة العسكرية الإسلامية المرتكزة الى الإيمان والجهاد من ناحية وذات التاثير الواضح في رفع الروح المعنوية للمقاتلين المسلمين من الناحية الاخرى . وهكذا الحال لمنهج الخلفاء الراشدين الاخرين ـ رضي الله عنهم ـ والذي كان إمتداداً لمنهج الرسول ( ﷺ ) .

وعموماً فان النظام السياسي الذي اعتمد في العهد الراشدي تمثل بالنظام الجمهوري أساسه الانتخاب ، وسلطة الخليفة مقيدة بالقرآن الكريم والسُنة النبوية الشريفة ، فكان نظاماً ديمقراطياً يسوده مبدأ المساواة التامة بين الجميع[26] .

وبذلك اجتمع في شخص الخليفة الدين والسياسة ، وانعكس ذلك على تماسك المقاتلين ورفع روحهم المعنوية من خلال صهرهم في بوتقة الجهاد والإيمان وتوخي الهدف العام والابتعاد عن الانحياز القبلي ، فكانت استجابتهم لامر الخليفة مطلقة بحكم قوله عز وجل : ﴿ أطيعوا اللّهَ وأطيعوا الرسولَ وأُولي الامرِ منكم ﴾[27] .

وبقيت المؤسسة العسكرية طوال فترة صدر الإسلام مرتكزة على مبدأ الامة المقاتلة . الذي يعد ضرورة مرحلية مهمة في حينها لتحقيق أهداف الدين الحنيف في إعلاء كلمة الله تعالى .

أما فيما يخص المعاهدات والمواثيق السياسية ، فقد التزم العرب المسلمون بها ابتداءً من صلح الحديبية الذي حقق فيه المسلمون اعترافاً صريحاً لقيام دولة المدينة المنورة بعد ان اتفق الرسول ( ﷺ ) مع المشركين على الهدنة عشر سنين يامن فيهن الناس[٢٨] ، قال تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهدَ كان مسؤولا ﴾[٢٩] .

وقد فسح المجال للجيش العربي الإسلامي في مثل هذه الاتفاقيات لتقوية متطلبات الإعداد المادي والمعنوي .

ومن ناحية أخرى فان الحرب في الإسلام لم تكن حرباً من أجل الاعتداء على الغير ، بل كانت حرباً دفاعية للدفاع عن النفس وعن الدين الجديد . قال تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن اللّهَ لا يحبُّ المعتدين ﴾[٣٠] .

فالجهاد بوصفه مرتكزاً أساسياً للعقيدة ، يدخل في معاني الدفاع وليس العدوان . وانعكس ذلك على الجانب المعنوي بشكل واضح ، فغرس في نفوس المقاتلين سبل المعاملة الحسنة للشعوب التي تم تحريرها ، واحترام كرامتها ، وصيانة حياة الإنسان وشرفه وعاداته[٣١] .

## العوامل الاقتصادية :

تعد العوامل الاقتصادية من العوامل المؤثرة في بلورة العقيدة العسكرية[٣٢] . ومن البديهي أن تكون القاعدة الاقتصادية المتينة واحدة من الروافد للروح المعنوية . إذ كانت التجارة حرفة قريش الرئيسة قبل الإسلام[٣٣] . فمكة التي تعتمد على المطر حيث تفتقر الى المياه الجارية[٣٤] . وتفتقر الى الزرع والضرع ﴿ ربَّنا اني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ ﴾[٣٥] . فرض عليها هذا الواقع ممارسة التجارة . وامتد حجم تجارة مكة الى اليمن والحبشة والعراق[٣٦] . وكانت قريش تعتمد في تجارتها على رحلة الصيف الى الشام ورحلة الشتاء الى اليمن[٣٧] . قال تعالى : ﴿ لإيلافِ قريشٍ إيلافِهِمْ رحلةَ الشتاءِ والصيف ، فليعبدوا ربَّ هذا البيتِ الذي أطعَمَهُمْ من جوعٍ وآمنهم من خوف ﴾[٣٨] . وبعد ان أمر رسول الله ( ﷺ ) أصحابه بالهجرة تاركين أموالهم ومساكنهم وتجارتهم الى المدينة المنورة[٣٩] . إذ وجدوا أهل المدينة يحترفون الزراعة[٤٠] . حيث توجد الكثير من الآبار والوديان التي تعتمد على المطر

والتي أفضت كنتيجة طبيعية الى خلق زراعة حسنة الانتاج ومنتظمة[٤١] . وساعدت خصوبة التربة الى منح الزراعة فرصة للنمو والانتظام الامر الذي جعلها من المراكز الزراعية[٤٢] ، فضلا عن كثرة نخيلها[٤٣] . وكان معظم المهاجرين لا يملكون شيئاً ، فقد هاجروا من بلدهم مخلفين وراءهم كل ما يملكون[٤٤] . وكذلك كانت واردات الدولة في عهد الرسول محمد ( ﷺ ) محدودة ، فكانت تعتمد على الصدقات التي فُرضت على الاغنياء أولًا . قال تعالى : ﴿ إنما الصدقاتُ للفقراء والمساكينَ والعاملين عليها والمؤلَّفة قلوبهم وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾[٤٥] . ويؤكد نبينا الاكرم ( ﷺ ) على هذا الامر بقوله : « ان الله فرض على الاغنياء ما يكفي الفقراء فإن جاع الفقراء كان حقيقاً على الله أن يحاسب أغنياءهم ويكبهم في نار جهنم على وجوههم »[٤٦] .

تعد الغنائم مورداً آخر من الموارد الاقتصادية التي يستخدم جزء منها لاغراض الصرف على التسليح وتمويل متطلبات القتال الاخرى . فكان يذهب خُمسها الى بيت المال ، أما أربعة أخماسها فتوزع على المقاتلين . قال تعالى : ﴿ واعلموا إنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى وابن السبيل ﴾[٤٧] . وبهذا فان الإسلام وضع نظاماً واضحاً في توزيع الغنائم يتضمن مبدأ عدم استئثار أحد بشيء من الغنيمة قبل أن تقسّم[٤٨] .

بعد بدء عمليات التحرير العربية الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين أصبح اعتماد الدولة في إدامة متطلبات الجيش على الفيء والغنائم والجزية[٤٩] . لإدامة متطلبات الجيش . وكان لهذا الاجراء دور مهم في تعزيز الروح المعنوية ، حيث ان الفيء والغنيمة كانتا تعطيان للمقاتلين فقط ممن يشتركون فعلا في القتال ، وليس لغيرهم وكان الرسول محمد ( ﷺ ) يؤكد على ذلك بقوله : « ليس لهم في الفيء والغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فمَنْ لم يجاهد مع المسلمين ولم يكُ فقيراً أو شغل بالتجارة ، أو عمل أو غير ذلك ، فلا شيء له من الغنيمة والفيء ، إلا أن تصيبه حاجة فيدخل مع أهل الحاجة »[٥٠] .

وفي هذا المجال يرغب الله عز وجل المقاتلين بتحقيق النفع الذاتي في الدنيا والاخرة من خلال القتال في سبيله بقوله تعالى : ﴿ ومَـنْ يُرد ثوابَ الدنيا نؤته منها ومَـنْ يُرد ثوابَ الاخرةِ نؤته منها ﴾[٥١] . وثواب الدنيا هي الغنيمة أما ثواب الاخرة فهي الجنة ، فجمع الله عز وجل في ترغيبه بين أمرين للمقاتلين[٥٢] . وان أول غنيمة

حصل عليها المسلمون كان خلال سرية عبدالله بن جحش في منطقة نخلة الواقعة بين مكة والطائف وهي إبل لقريش محملة بالتجارة(٥٣) .

وأدت هذه الموارد الى دعم الجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام من خلال تعزيز التسليح والتجهيز ، إضافة الى تأثيرها المعنوي الكبير من خلال الدعم المادي المباشر للمقاتلين الذي يفضي الى دعم الروح المعنوية ، وهو من البديهيات المعروفة ومن ناحية أخرى فان العقيدة الإسلامية ترتكز على اعتبار ان المال هو لله عز وجل وليس هنالك مالك له ، بل ان الإنسان مخول من الله بالتصرف به . قال تعالى : ﴿ وآتوهم مِن مالِ اللَّهِ الذي آتاكم ﴾(٥٤) . وقوله تعالى : ﴿ واللَّهُ يؤتي مُلْكَهُ مَنْ يشاء ﴾(٥٥) .

أما فيما يخص نظام العطاء ، فان المقاتلين المسلمين في زمن الرسول ( ﷺ ) كانوا يجهزون أنفسهم بسلاحهم الشخصي ويتطوعون للقتال وينالون أربعة أخماس الغنائم حيث لم تكن للدولة موازنة خاصة للانفاق كما ذكرنا .

ولكن في العهد الراشدي ، أنشا ديوان الجند سنة عشرين هجرية في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه(٥٦) وصرف العطاء لهم من خراج البلدان المحررة . وقد حقق نظام العطاء في الجيش العربي الإسلامي دعماً لبلورة العقيدة العسكرية الإسلامية في مجال التنظيم من خلال اعتماد المقاتل على الدولة في ضمان مورد ثابت له ولعائلته ، وفي الوقت نفسه الذي أسهم هذا النظام في دعم الروح المعنوية للمقاتل وجعله يفكر دائماً بمقاتلة العدو بعيداً عن التفكير باعاشة عائلته(٥٧) .

**العوامل الاجتماعية :**

كانت العوامل الاجتماعية ذات تأثير واضح في بلورة العقيدة العسكرية العربية الإسلامية وفي الوقت نفسه كانت ذات تأثير كبير في الروح المعنوية ، فالعرب هم مادة الإسلام ، وهم الذين تحملوا نشر هذا الدين بما يحملونه من صفات معروفة كالشجاعة والإقدام والتضحية والكرم وغيرها . وفي هذا المجال ، يصف أحد الكتّاب الغربيين المعاصرين سمات العرب بالقول : « كان إغلاق الباب دون ضيف جاء يسعى وراء المأكل أو المأوى ، أو إيذاؤه بعد استضافته ، جريمة ضد الشرف العربي ، بل كان تناول القهوة مع رب الدار يخول الضيف الحق في الأمان من الهجوم . وبالمثل كان من عادة رؤساء القبائل أن يوفروا فرق حراسة أو يؤمنون المرور للمسافرين الأصدقاء من أهل الصحراء إذا مروا من ديارهم ، وأي عدوان على هذا المسافر موضع

الحماية ، كان يمس شرف القبيلة كلها »[٥٨] . وبعد مجيء الإسلام تعززت العلاقات الاجتماعية والإنسانية بين المسلمين . قال رسول الله ( ﷺ ) : « إنما بُعِثْتُ لاتمم مكارمَ الاخلاق »[٥٩] . وعن أبي عمر – رضي الله عنهما – ان رسول الله ( ﷺ ) قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، مَنْ كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومَنْ فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه بها كربة من كرب القيامة ، ومَنْ ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة »[٦٠] . رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

وللقبيلة قبل الإسلام بوصفها الوحدة الاجتماعية والسياسية دور مهم في تعميق التكافل الاجتماعي[٦١] . وجاء الإسلام ليعمق هذا المبدأ بين جميع المؤمنين فآخى الرسول ( ﷺ ) حال هجرته الى المدينة بين المهاجرين والانصار قائلًا : « تآخوا في الله أخوين أخوين »[٦٢] . وبعد ان حقق هذا التآخي والتماسك الإسلامي أكد فيه ان جميع المسلمين هم حالة وجماعة واحدة ، حيث جاء ما نصه : « انكم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم ، يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف وبالقسط بين المؤمنين »[٦٣] . وبذلك فقد أضاف الرسول ( ﷺ ) عنصراً آخر من عناصر القوة والدعم المعنوي في صفوف المقاتلين العرب المسلمين في صدر الإسلام بعد ان كان واقع المدينة مفككاً ، وهي التي أصبحت بعد الهجرة النبوية ، القاعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية لتأسيس الدولة العربية الإسلامية وانطلاقة معارك الجهاد التي بدأت بمعركة ودان ( الابواء )[٦٤] والتي قادها رسول الله ( ﷺ ) بنفسه . وقبل الهجرة الى المدينة المنورة كان الطابع العام الذي يسود العلاقات بين القبائل المختلفة من أهل المدينة يتصل بالتفكك ، حيث لم يسمح هذا الواقع الاجتماعي بتطوير الحياة فيها لتغدوا كتلة متماسكة من حيث العمران وتماسك السكان . فكانت أشبه بالقرى المتناثرة منها الى المدينة الواحدة[٦٥] . ولذلك سمي أهلها باهل القرى ﴿ ما أفاءَ اللّهُ على رسولهِ من أهل القرى ... ﴾[٦٦] . وبالرغم من ظهور هذه العلاقات الاجتماعية الجديدة ، فان القيادة العربية الإسلامية حافظت على التماسك القبلي واستثمرته في الحرب ، حيث اعتمد مبدأ تنظيم القتال على أساس القبيلة كوحدة عسكرية قتالية متماسكة وفي الوقت نفسه كانت تعد فيه وحدة اجتماعية أساسية . وكان الميل عميقاً لتنظيم القتال على هذا الاساس وغالباً ما كان شيخ القبيلة هو قائدها كما حدث في حركات التحرير العربية ، مثل معركة القادسية[٦٧] . وبالطبع فان

بلورة العقيدة العسكرية العربية الإسلامية وفق هذا النمط من تنظيم القتال كان قد عكس بآثاره الإيجابية على الروح المعنوية للمقاتلين .

ان القبيلة الواحدة عندما تقاتل ضمن قاطع جغرافي واحد وتحت راية قائد منها فان التقاليد القبلية العربية والحياء يفضيان الى ضرورة الصبر والثبات على المقاتل العربي ، فضلا عن الجانب العقائدي والإيماني الذي غرسه الإسلام . وفي هذا المجال يشهد كاتب فرنسي معاصر بأن القوة الوحيدة الكبرى في الجزيرة العربية هي الدين الإسلامي الذي تمكن من توحيد القبائل العربية(٦٨) التي تميزت بالاستقلالية الذاتية والتجزئة الاجتماعية والسياسية العامة .

أما في مجال المرأة ، فقد تم استثمار إمكانياتها لدعم القتال ، فكانت المرأة العربية المسلمة ترافق المقاتل عبر الصحاوى البعيدة ، وتقدم الخدمات الادارية والطبية اللازمة بل تسهم حتى في القتال أحياناً كما هو حال خولة بنت الأزور وخولة بنت ثعلب الانصاري وسلمى بنت هاشم وهند بنت عتبة وغيرهن في معركة اليرموك(٦٩) . وترفد الروح المعنوية بكل الاحوال .

وفي مجال المستوى الثقافي الذي يعد واحداً من المرتكزات الاجتماعية الصلبة بدعم العقيدة العسكرية ، فالعرب قبل الإسلام لم يكونوا مهتمين بالتعليم ، حتى جاء الإسلام ونزلت الآية القرآنية الكريمة الأولى التي تحمل أول كلمة في الدين الإسلامي ﴿ إقرأ ﴾(٧٠) . ولعل أمر الرسل ( ﷺ ) باطلاق سراح الفقراء من أسرى المشركين في معركة بدر بعد تعليمهم أطفال المسلمين القراءة والكتابة خير دليل على تاكيد الرسول ( ﷺ ) هذا المنهج(٧١) . وبالطبع فان التعلم هو أحد أساسيات رفع مستوى الروح المعنوية للمقاتلين بنفس الوقت الذي يعطي للعقيدة العسكرية منهجاً واضحاً ينعكس على تطوير وسائل القتال وفنونه المختلفة . ومن العوامل الاجتماعية المهمة المؤثرة في بلورة العقيدة العسكرية الإسلامية هو ان الإسلام جاء ليكون ديناً عاماً ليس لأمة خاصة ، ولا لزمن خاص(٧٢) فهو ليس للمجتمع العربي فحسب بل لكل المجتمعات في العالم . وانعكس هذا العامل الاجتماعي على جعل العقيدة العسكرية الإسلامية عقيدة تعرضية تحريرية ، فاثمرت نتائجها لاحقاً في حركات التحرير العربية الإسلامية . والعقيدة التعرضية تحتاج الى روح معنوية عالية للمقاتلين كما هو معروف .

## العوامل الجغرافية :

تعد الجغرافية عاملا ملازماً في التاريخ ، وبالرغم من ان المواقع ( الستراتيجية ) تختلف أهميتها بتغير الظروف[٧٣] ، إلا انها تؤشر دلالات واضحة الاهمية في عصر من العصور . وفي مجال عمليات التحرير العربي الإسلامي يقول ( غلوب ) في مقدمة كتابه ( الفتوحات العربية الكبرى ) : « عندما يجد المرء نفسه خائضاً في عمليات عسكرية على نفس هذه الارض فان تلك المعالم الطبيعية ذات الاهمية الاستراتيجية سرعان ما تقفز أمام عينيه ، وعندما يقرأ بعد مروره بهذه التجارب وصفاً للحملات العسكرية القديمة التي دارت على تلك الاراضي ، فانه يدرك على الفور ما كان ينويه القادة العسكريون الاوائل الذين قادوا تلك الحملات العربية الإسلامية »[٧٤] .

وساحة الحركات ( دار الحرب ) تشمل أرض الحجاز فقط في بادىء الامر ، وهي أرض ذات طبيعة طوبوغرافية متشابهة يغلب عليها الطابع الصحراوي . وهذا الطابع وصفه المسعودي بقوله : « هواؤه حرور ، وليله بهور ، ينحف الاجسام ، ويجفف الادمغة ، ويشجع القلوب ، ويبسط الهمم »[٧٥] .

وتوسعت الدولة العربية الإسلامية ، فشملت جزيرة العرب التي تضم أقاليم متباينة تضاريسياً ، منها البوادي والجبال . وتشكل البوادي الجزء الاكبر من مساحة الارض في جزيرة العرب[٧٦] . أما الجبال فتشمل جبال تهامة التي تشكل قطعة من اليمن[٧٧] ، وجبال حضرموت الممتدة من الشمال الى الجنوب[٧٨] الواقعة شرق عدن وهناك جبل السراة الممتد بين اليمن والشام[٧٩] . وقد أثر هذا التباين التضاريسي على بلورة العقيدة العسكرية الإسلامية التي أخذت تستجيب لمواجهة المتطلبات الجغرافية الجديدة سواء على مستوى تنظيم القوات أم على مستوى استخدامها . وبقيت البيئة الصحراوية القاسية التي نشا فيها المقاتلون العرب تؤثر في الروح المعنوية ، حيث أكسبتهم مزيداً من الصبر والشجاعة والإقدام ، بعد ان تحملوا قساوة وحر صيفها ، وشدة برودة شتائها ، وقلة مواردها . ومن حيث حدود جزيرة العرب ، فمن الشمال فلسطين وبادية الشام ، ومن الشرق العراق والخليج العربي ، ومن الجنوب المحيط الهندي وخليج عدن ، ومن الغرب البحر الاحمر . وهذا يعني انها أرض حصينة بالصحراء من الشمال والشرق فضلا على الخليج العربي ، وبالبحر من الغرب والجنوب ، وأسهمت هذه المناعة بحماية العرب من الغزو

الاستعماري أو الغزو الديني ، يضاف الى ذلك ترامي أطرافها وسعة مساحتها وعدم توفر الانهار ومحدودية سقوط الامطار ، ﴿ ربّنا اني أسكنتُ من ذُريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ ﴾[٨٠] .

من ناحية أخرى ، فان بناء المدن والحصون ، وبالرغم من كونها ذات طابع إداري وعسكري إلا ان تاثيراتها في الروح المعنوية كانت كبيرة ، فبعد ان حقق العرب المسلمون الوحدة السياسية في جزيرة العرب ، بدأ التفكير بضرورة إيجاد قواعد لانطلاق القوات في حركاتها المختلفة . وأول هذه القواعد البصرة حيث أشار الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الى عتبة بن غزوان بانتخابه موقع ملائم ستراتيجياً ومعنوياً للمراحل القادمة في العمل السياسي والعسكري في العراق فكتب إليه قائلا : « اجمع أصحابك في موضع واحد ، وليكن قريباً من الماء والمرعى »[٨١] فالتركيز على الماء والمرعى فضلا عن كونه ذا مغزى ستراتيجي مهم إلا انه يحمل الاعتبار المعنوي العال . فتم انتخاب البصرة مركزاً للتموين ولتحشد القوات العربية الإسلامية القادمة من الجزيرة[٨٢] . ويبدو ان الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان يؤكد الأهمية العسكرية لهذا الانتخاب ، لوجود شط العرب شرقي البصرة ، والخليج العربي جنوبها ، والبادية غربها كلها تشكل خطوط دفاعية عن هذه القاعدة العسكرية[٨٣] . وتنطبق هذه الاتجاهات بشكل أو بآخر على انتخاب الكوفة ، ومعروف ان للبصرة والكوفة أهمية متميزة لانهما أول مدينتين أسسهما العرب خارج الجزيرة العربية حينما توجهت الجيوش العربية الإسلامية لتحرير العراق[٨٤] فكانت هذه المدن وغيرها مواقع استقرار وتنظيم ومعيشة أيضاً ، أدت الى رفع مستوى الروح المعنوية للمقاتل العربي المسلم .

## الهوامش

---

( ١ ) محمد جال الدين محفوظ ، المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، ص ٢٣ .

( ٢ ) سورة الاحقاف ، الاية ( ١٢ ) .

( ٣ ) سورة الشعراء ، الاية ( ١٩٥ ) .

( ٤ ) محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، ط ٢ ، منشورات مكتبة الحياة ، ومكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٩٦٠ ، ص ٢٤ .

( ٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٢ . وغوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٩٤ . ود. عبدالعزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٩ .

( ٦ ) د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ١ ، ص ١٧٦ . محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، ط ١٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٦٨ .

( ٧ ) ابن الفقيه ، أبو بكر محمد بن أحمد الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ، ١٣٠٢هـ ، ص ١٨ .

( ٨ ) د. جواد علي ، المفصل بتاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ١ ، ص ١٧٧ .

( ٩ ) سورة الانبياء ، الاية (٨٤) .

( ١٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٠٩ .

( ١١ ) سورة الروم ، الايات (١ ـ ٥) .

( ١٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٤٠٩ .

( ١٣ ) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ .

( ١٤ ) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ١ ، ص ١٩٢ .

( ١٥ ) د. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ١ ، ص ١٧٨ .

( ١٦ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٤١١ .

( ١٧ ) ينظر ، ص ٤٤ .

( ١٨ ) صحيح البخاري ، جـ ٤ ، ص ١٨ .

( ١٩ ) ينظر ، ص ١٩ .

( ٢٠ ) د. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، جـ ١ ، ص ١٩٤ .

( ٢١ ) ناجي معروف ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٠ ، ص ١٢ .

( ٢٢ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٧٢ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٥ .

( ٢٣ ) سورة آل عمران ، الاية (١٥٩) .

( ٢٤ ) سورة الشورى ، الاية (٣٨) .

( ٢٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١١٢ .

( ٢٦ ) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٩٢ .

( ٢٧ ) سورة النساء ، الاية (٥٩) .

( ٢٨ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٣٤ . وانظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

( ٢٩ ) سورة الاسراء ، الآية ( ٣٤ ) .
( ٣٠ ) سورة البقرة ، الآية ( ١٩٠ ) .
( ٣١ ) د. سهيل حسين الفتلاوي ، تطور الدبلوماسية عند العرب ، دار القادسية للطباعة ، بغداد ، ب.ت. ، ص ٨٤ .
( ٣٢ ) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، ص ٢٣ .
( ٣٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٥٧ . وانظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ١٨٨ . والمسعودي ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٣٣ . وابن حبيب بن أمية ، المحبر ، تحقيق د. اليزة لخشن شتير ، المكتب التجاري ، بيروت ، ب.ت. ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .
( ٣٤ ) ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل النصبي ، صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٢٥ .
( ٣٥ ) سورة ابراهيم ، الآية (٣٧) .
( ٣٦ ) البلاذري ، أحمد بن يحيى ، أنساب الأشراف ، تحقيق محمد عبدالله ، جـ ١ ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ص ٥٩ . وانظر : المقدسي محمد بن أحمد ، البدء والتاريخ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٦ ، عن مطبعة باريز ، جـ ٢ ، ص ١١١ .
( ٣٧ ) اليعقوبي ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ .
( ٣٨ ) سورة قريش .
( ٣٩ ) ابن خلدون ، المجلد الثاني ، القسم الرابع ، ص ٧٣٤ .
( ٤٠ ) عبدالرؤوف عون ، الفن الحربي في صدر الإسلام ، ص ٧٣ .
( ٤١ ) السمهوري ، أبو الحسن بن عبدالله ، وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى ، مطبعة الآداب والمؤيد ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ ، جـ ٢ ، ص ١١٩ .
( ٤٢ ) الاصطخري ، أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي ، المعروف بالكرخي ، المسالك والممالك ، تحقيق د. محمد جابر عبدالعال ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٣ف .
( ٤٣ ) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٥ .
( ٤٤ ) جون باجوت غلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، ص ٨٥ .
( ٤٥ ) سورة التوبة ، الآية (٦٠) .
( ٤٦ ) اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٩١ .
( ٤٧ ) سورة الانفال ، الآية (٤١) .
( ٤٨ ) محمود أحمد محمد سليمان ، الجيش والقتال في صدر الإسلام ، ص ٤٤٨ .
( ٤٩ ) الفيء : هو كل مال وصل من المشركين عفواً من غير قتال ( أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الماوردي ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، المطبعة

المحمودية التجارية بمصر ، القاهرة ، ب. ت. ، ص ١٢٦ ) . وكان أول تشريع للفيء جاء بعد فتح النبي ( ﷺ ) أرض بني النضير دونما قتال في السنة الرابعة للهجرة ( ابن هشام ، السيرة ، جـ ٣ ، ص ٢٠١ ) بنزول الآية الكريمة ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله والرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ، وما أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب ﴾ - الحشر /٧ . وأما الغنيمة فهي المال الذي حصل عليه المسلمون عنوة وقهراً . ( الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٣٧ ) . والجزية : هي الضريبة التي يدفعها أهل الكتاب للمسلمين اعترافاً بسيادتهم ولقاء حمايتهم واعفائهم من الخدمة .

( ٥٠ ) القرشي ، يحيى بن آدم القرشي ، الخراج ، تحقيق أحمد محمود شاكر ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ١٩ .

( ٥١ ) سورة آل عمران ، الآية (١٤٥) .

( ٥٢ ) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٤١ .

( ٥٣ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦ . وخليفة بن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٢ .

( ٥٤ ) سورة النور ، الآية (٣٣) .

( ٥٥ ) سورة البقرة ، الآية (٤٧) .

( ٥٦ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ٣٦٦ .

( ٥٧ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق محمد رضوان ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٤٣٥ .

( ٥٨ ) انتوني ننتج ، العرب ، انتصاراتهم وأمجاد الإسلام ، ترجمة الدكتور راشد البراوي ، مكتبة الإنكلوالمصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٧ .

( ٥٩ ) الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، ( ت : ٩٧٥ ) ، كنز العمال في سنن الاقوال والأفعال ، ضبطه الشيخ بكري حياني ، وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوة السقا ، منشورات مكتبة التراث الإسلامي ، حلب ، ط ١ ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ، جـ ٢ ، ص ١٨٦ .

( ٦٠ ) المنذري ، الامام زكي الدين عبدالعظيم ابن عبدالقوي المنذري ، الترغيب والترهيب ، جـ ٣ ، ١٩٨٧ ، ص ٣٨٩ ولا يسلمه : لا يخذله .

( ٦١ ) ينظر : المبحث الثاني من الفصل الاول .

( ٦٢ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ١٥٠ .

( ٦٣ ) م.ن. ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ . وربعتهم : الحال التي جاء الإسلام وهم ، والمعاقل ، الديات أما العاني : فهو الاسير .

( ٦٤ ) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ . وابن عبدالبر ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، ص ١٠٣ .

( ٦٥ ) د. هاشم يحيى الملاح ، الوسيط في السيرة النبوية ، ص ٢٨٥ .

( ٦٦ ) سورة الحشر ، الاية (٧) .

( ٦٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٢ .

( ٦٨ ) جان جاك بيريي ، جزيرة العرب ، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز ، منشورات المكتب التجاري للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٢٣ .

( ٦٩ ) ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، ط ١ ، مطبعة المعارف العثمانية بحيدرآبادر ، الهند ، ١٩٦٨ ، جـ ١ ، ص ٦٥ .

( ٧٠ ) سورة العلق ، الاية (١) .

( ٧١ ) محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، ص ٨٨ .

( ٧٢ ) أحمد أمين ، فيض الخاطر ، جـ ٣ ، ص ١٧٣ .

( ٧٣ ) د. حسن عبدالقادر صالح ، المظهر الجغرافي لقوة الدولة ، الجامعة الاردنية ، عمان ، ١٩٧٦ ، ص ١٢ .

( ٧٤ ) جون باجوت غلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، ص ٤ .

( ٧٥ ) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٦٢ .

( ٧٦ ) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٥ - ٢٦ .

( ٧٧ ) م. ن. ، ص ٤٣ .

( ٧٨ ) ابن سعيد المغربي ، أبو الحسن علي بن موسى ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٠١ .

( ٧٩ ) الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود ، صفة جزيرة العرب ، طبعة ليدن ، ١٩٦٨ ، ص ٦٧ .

( ٨٠ ) سورة ابراهيم ، الاية (٣٧) .

( ٨١ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٢٥ .

( ٨٢ ) شاكر مصطفى ، المدن في الإسلام ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، جـ ١ ، ص ١٩٠ .

( ٨٣ ) د. عبدالقادر سلمان المعاضيدي ، بناء المدن العسكرية ، الجيش والسلاح ونخبة من الباحثين العراقيين ، بغداد ، ١٩٨٧ ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

( ٨٤ ) د. عبدالجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٢٩ .

## المبحث الثالث

# ثوابت العقيدة العسكرية العربية الإسلامية وأثرها المعنوي

العقيدة العسكرية العربية الإسلامية في صدر الإسلام هي العقيدة التي وردت تفاصيلها في القرآن الكريم والسُنة النبوية الشريفة . ففي كنفها جعل الإسلام للقتال هدفاً واضحاً وهو الذي تمثل في الجهاد العربي الإسلامي من أجل حماية العقيدة والدفاع عن الدين الإسلامي[1] ونشره ورد المعتدين عن المسلمين[2] ، وهي مبادىء ومفاهيم طبقها المسلمون الاولون في صدر الإسلام فحققوا بها الانتصارات المتوالية على أعدائهم من العرب المشركين واليهود في الجزيرة العربية ثم من الأمم الأخرى خارج حدود الجزيرة .

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - ان رسول الله ( ﷺ ) قال : « أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عَصِمُوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله »[3] . ولذلك تصبح بلادهم بعد إسلامهم دار الإسلام يجري عليها أحكام الإسلام ويتمتعون بكل ما يتمتع به المسلمون[4] .

والعقيدة المسكرية العربية الإسلامية قبل كل شيء هي عقيدة سلام وليست عقيدة حرب وان المسلمين خاضوا غمار الحروب وهم كارهون ، فرسالة الإسلام تقوم أساساً على تحقيق السلام[5] .

وقد أكدت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة ذلك ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ والله يدعو الى دار السلام ويهدي مَـنْ يشاء الى صراطٍ مستقيم ﴾[6] وقوله تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله مَـنْ اتبع رضوانه سُبُل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراطٍ مستقيم ﴾[7] . وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات

الشيطان انه لكم عدو مبين ﴾[٨] .

لتوضيح علاقة الروح المعنوية بالعقيدة العسكرية الإسلامية ، نشير الى ان هذه العقيدة بوصفها مرتكزة الى القيمة الإيمانية والجهادية ، بكونها تمثل المادة والروح ، أي تجمع بين الاتجاه العسكري الخاص بادارة الصراع المسلح ، وبين الاتجاه المعنوي الخاص باسباب الحرب ومشروعيتها وأهدافها )[٩] . فالجهاد في منظور العقيدة العسكرية الإسلامية يمثل القتال في سبيل الله ، فمَـنْ قُتِلَ في سبيل الله يدخل الجنة ، وهذه العقيدة زودت المقاتلين بروح معنوية عالية[١٠] . قال الخليفة علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ « الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة »[١١] . والمؤمن حقاً يتالق النصر في ذاته ما دام هو في حماية عقيدته فهو لا يستسلم أبداً ، ولا يفكر بالاستسلام ولانه يؤمن بأن انتصار العدو عليه قد يستمر ساعة واحدة ولكنه لا يمكن أن يدوم الى قيام الساعة[١٢] .

هنالك ثوابت محددة للعقيدة العسكرية الإسلامية ، وفي الإشارة إليها سنحاول توضيح طبيعة الارتباط العضوي بينها وبين الروح المعنوية . ومبدئياً يمكن القول ان العقيدة العسكرية الإسلامية في إرتكازها على الإيمان والجهاد وتعتبر منبعاً للروح المعنوية . بل هنالك مَـنْ يرى ان العقيدة هي الروح المعنوية[١٣] .

يعتبر مبدأ النفير العام أو الأمة المقاتلة من ثوابت العقيدة العسكرية العربية المرتكزة على الجهاد إستناداً الى قوله تعالى : ﴿ أنفروا اخفافاً وثقالًا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ﴾[١٤] . وقوله تعالى : ﴿ ما لَكُمْ إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا من الآخرة إلا قليل ﴾[١٥] . وقال رسول الله ( ﷺ ) : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا »[١٦] .

إن النفير هو واحد من المتطلبات الاساسية لخوض الحرب ، وهو يقصد تحقيق النصر في أقل وقت ممكن ، والصمود في الحرب الطويلة الأمد ، والتقليل من الخسائر والمحافظة على مستوى عالٍ من الروح المعنوية[١٧] . وكما هو معروف فان الروح المعنوية ترتفع في منهج النفير من ناحيتين ، الاولى كونه أمراً إلهياً ، الثانية كونه موقفاً جماعياً ، وروح الجماعة تفضي الى زيادة الروح المعنوية . وكان الرسول محمد ( ﷺ ) يحشد المسلمين ويحرضهم على الجهاد ويامرهم بالصبر

والثبات[١٨] . فيعزز روحهم المعنوية . وكان النفير مفروضاً على الجميع دون أي استثناء في بادىء الامر بحكم قوله عز وجل : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾[١٩] أي شباناً وشيوخاً ، من الاغنياء والفقراء[٢٠] . ولكن بعد ان نزلت الاية القرآنية الكريمة : ﴿ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج﴾[٢١]، أي انهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وعجزهم وعدم قدرتهم على اداء هذا الفرض الإلهي . وكان أحد المسلمين ضريراً يدعى ابن أم مكتوم قد أشار على الرسول ( ﷺ ) بأنه غير قادر على الجهاد[٢٢] فنزلت الاية القرآنية الكريمة : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ﴾[٢٣] . وهي معالجة نفسية ومعنوية للمؤمنين غير القادرين على حمل السلاح والقتال ، مع إبقاء الأبواب مفتوحة في مجالات الجهاد الاخرى .

تعد ستراتيجية الردع واحدة من ثوابت العقيدة العسكرية الإسلامية أيضاً امتثالا لقوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل ترهبون به عدوَ الله وعدوكم ﴾[٢٤] . ويهدف الردع أساساً الى منع الخصم من تنفيذ نواياه باتخاذ كافة الاجراءات المطلوبة وبكافة السبل والضغوط النفسية والمعنوية[٢٥] . ولذلك تم التفكير ببناء الجيش العربي الإسلامي جيشاً كبيراً منذ بزوغ فجر الإسلام ، يمتلك كل مقومات القوة المادية والمعنوية . ويقول رسول الله ( ﷺ ) في مجال الردع : « نصرت بالرعب مسيرة شهر »[٢٦] ، وان الدليل التطبيقي لهذه الاستراتيجية نجدها في المعارك التي قادها الرسول ( ﷺ ) ضد الكفار واليهود والتي لم تشهد القتال . فمن بين الثمانية والعشرين حملة ، جرى قتال مواجهة في بعض منها فقط هي بدر ، الخندق ، بنو قريظ ، بنو المصطلق ، خيبر ، حنين والطائف[٢٧] . واعتمدت ستراتيجية الردع في الإسلام على القوة التي جاءت مطابقة لتشمل كل معانيها وأبعادها وعدم اقتصارها على قوة السلاح أو العدد ، فاتسع مفهومها الى المعنى المادي والمعنوي . وكذلك اعتمدت هذه الستراتيجية على الإستعداد الدائم والذي يعد من عناصر الردع الاساسية ، حيث ان التهيؤ المتواصل والإستعداد للعمل الفوري والقدرة الفائقة على العمل السريع لرد العدوان كلها من عناصر القوة اللازمة لدعم ستراتيجية الردع المطلوبة[٢٨] . وتعتمد ستراتيجية الردع الإسلامية أيضا على عنصري الحركة والمباغتة باستخدام قوات الخيالة على الاجنحة والمناورة لمرونتها في الاستخدام[٢٩] ومطاردة العدو وتطويقه . قال تعالى : ﴿ والعاديات صبحاً ۞

فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً ، فاثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً ﴾[٢٩] وهو القسم الإلهي بالخيل إذا أجريت في سبيله صباحاً كما كان الرسول ( ﷺ ) يغير صباحاً[٣٠] . وبمجرد التمعن في هذه الآيات القرآنية الكريمة يمكن تلمس مدى تاثيرها الإيجابي في الروح المعنوية للمقاتلين المسلمين ، ومدى تاثيرها النفسي الإنعكاسي السلبي على الاعداء في مجال ستراتيجية الردع الإسلامية . ففي هذه الايات يوضح الله تعالى ان خيل الجهاد التي يسمع لانفاسها صوت من شدة سرعتها ، ويتطاير الشرر من تحت حوافرها بقدحها للأرض الحجرية ، التي يهجم بها فرسانها المجاهدون على العدو في وقت الصباح لبياغتوه، فتدخل وسط جموعهم وتشتتهم[٣١] ، هي خيل للتعرض من أجل إعلاء كلمة الله ، وفي الوقت نفسه الذي تكون فيه خيل لردع العدو انسجاماً مع قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾[٣٢] . وكِلا الاتجاهين يسهم في رفع مستوى الروح المعنوية فالردع يدعم هذه الروح ، كما ان التعرض لا يمكنه أن يحقق أهدافه إلا بارتكازه الى روح معنوية عالية حيث انه العنصر الحاسم في القتال ، أو عنصر النصر[٣٣] فالنصر هو الغاية الاولى للتعرض الذي يرافقه تفوق معنوي ناجم عن شعور الجيش بانه المهاجم المتقدم المنتصر[٣٤] . ومن ناحية أخرى فان الردع الوارد في كلتا الآيتين الكريمتين ذو صلة بالمباغتة فضلا على الحركة والسرعة الذي يحققها التعرض ، فالمباغتة المعتمدة ( فالمغيرات صبحاً ) تشكل المعيار الاساسي في تحقيق النجاح في المرحلة الاولى من الهجوم[٣٥] ، وهي عامل معزز للروح المعنوية .

ومن ثوابت العقيدة العسكرية الإسلامية أيضاً هو الإستناد الى مبدأ نقل المعركة الى أرض الخصم وعدم قبول المعركة في الداخل . وبنظرة فاحصة الى أكثر المعارك ( الغزوات والسرايا )[٣٦] التي حدثت في صدر الإسلام نجد انها تدور في هذا المنحى ، فمعركة ودان وهي أول معارك الرسول ( ﷺ ) ومعركة بواط ، العشيرة ، سفوان أو بدر الاولى ، ومعركة بدر الكبرى[٣٧] ، ومعركة الكدر ، السويق ، ذي أمر ، بحران ، قينقاع ، معركة أُحد ، ذات الرقاع ، بدر الاخرة ، دومة الجندل ، بني قريظة ، بني لحيان ، ذي قرد ، بني المصطلق ، وبني والحديبية[٣٨] . كلها معارك جرت خارج مركز المدينة المنورة وهكذا الحال للسرايا التي بعث لها الرسول ( ﷺ ) . وبالاتجاه نفسه حذا الخلفاء الراشدون حذو الرسول ( ﷺ ) في حركات التحرير التي جرت في بلاد الروم والفرس ومعروف ان نقل المعركة الى أرض الخصم هو مبدأ يتبنى

العمليات التعرضية التي لا يمكنها ان تحقق مداها المطلوب دون الإستناد الى روح معنوية عالية .

وفي إطار ثوابت العقيدة العسكرية العربية الإسلامية أيضاً نجد منهج الدعوة للقوة واضحاً في قوله تعالى : ﴿ وانزلنا الحديدَ فيه باسٌ شديدٌ ومنافع للناس وليعلم الله مَنْ ينصره ورُسُلَه بالغيب ان الله قوي عزيز ﴾[٣٩] ، فكان رادعاً حقيقياً في الدعوة الواضحة لاستخدام السيوف وضرب العناق[٤٠] . ويمكن توضيح العلاقة هنا بين الروح المعنوية وهذا المنهج ليس من خلال كونه دعوة ربانية للتركيز على التصنيع الحربي من حيث الاعتبار المادي فحسب ، بل هو نو اعتبار ودافع معنوي كبير لمقاتلي الإسلام أيضاً ، فبالسلاح الجيد تزداد الثقة بالنصر ﴿ وليعلم الله مَنْ ينصره ﴾ وترفع هذه الثقة من مستوى الروح المعنوية .

ومن ثوابت العقيدة العسكرية الإسلامية أيضاً الثبات في القتال والصمود عند لقاء العدو وعدم الفرار من المعركة بحكم قوله تعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ﴾[٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ فلا تولوهم الأدبار . ومَنْ يوليهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنمَ وبِئْسَ المصير ﴾[٤٢] ، ويعزز الله الروح المعنوية في الثبات بالقتال في قوله تعالى : ﴿ وليربط على قلوبكم ويثبّت به الإقدام ﴾[٤٣] ، وزرع الله تعالى الثقة وعدم الخوف في نفوس المقاتلين من أجل صمودهم وثباتهم بقوله عز وجل : ﴿ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾[٤٤] وقوله تعالى : ﴿ فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين ﴾[٤٥] .

وكذلك نبينا الأكرم محمد ( ﷺ ) يعزز هذه الروح المرتبطة، بالثبات والصمود فقد قال بهذا الصدد : « يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وأسالوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف »[٤٦] . ويبدو لنا تاكيد مصادر التشريع الأساسية القرآن والسُنة النبوية على العزيمة والشجاعة والثبات في القتال وإزاحة الخوف وعدم قبول الفرار من المعركة إلا لسببين حددهما الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿ومَنْ يولهم يومئذٍ دبره لقتال ، إلا متحرفاً لقتال﴾ أي لأغراض الخدعة والمكيدة ، أي إظهار الخوف أمام العدو وفي الوقت الذي يضمر فيه الهجوم عليه في أو من مكان آخر[٤٧] ، أما السبب الثاني فهو يكمن في الانسحاب ثم الالتحاق بمجموعة أخرى كما جاء في قوله تعالى : ﴿ أو متحيزاً الى فئة ﴾ .

والمخادعة هي واحدة من ثوابت العقيدة العسكرية الإسلامية أيضاً ، فقد جاء عن رسول الله ( ﷺ ) في معركة الخندق ان نعيم بن مسعود بن أنيف عندما أتاه يعلن إسلامه طلب منه ( ﷺ ) كتمان إسلامه وقال : « ان الحرب خدعة »[٤٨] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ان النبي ( ﷺ ) قال : « لا يصلح الكذب إلا في ثلاث : في الصلح بين اثنين ، وفي القتال ، وفي إرضاء الرجل أهله »[٤٩] . وفي هذا الصدد ناخذ مثالًا من معركة الخندق ، حيث تحدث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ مع عمرو بن عبد ود خلال مبازرتهما قائلا : « أليس قد ضمنت لي أن لا تستعين علي بغيرك ؟ فمَنْ هؤلاء الذين دعوتهم ؟ » فالتفت كالمستبعد لذلك ، فضربه على ساقيه ضربة قطع رجليه[٥٠] .

يعد نظام البديلين من الثوابت الاخرى للعقيدة العسكرية الإسلامية . فكان القائد يستخلف بديلا له في ظروف القتال تحسباً لظروف الطوارىء وضماناً لاستمرار القتال باتجاه تحقيق الأهداف . ولذلك فان الرسول ( ﷺ ) عندما كان يقود غزوة يستخلف على المدينة المنورة واحداً من أصحابه . ففي غزوة ودان استخلف سعد بن عبادة وفي غزوة بواط السائب بن عثمان ، وأبا سلمة بن عبدالأسد في غزوة العشيرة ، واستخلف عمرو بن أم مكتوم في غزوة بدر الكبرى ، ثم رد أبو لبابة بشير بن عبدالمنذر من الروحاء وهي موضع على نحو ثلاثين ميلا من المدينة فاستعمله على المدينة ، وفي غزوة بني سليم استخلف سباع بن عرفطة الغفاري ، وفي غزوة السويق استخلف أبا لبابة ، واستخلف عثمان بن عفان في غزوة ذي امرو بن أم مكتوم في غزوة بحران وأبا لبابة في غزوة بني قينقاع[٥١] .

وفي عهد الخلفاء الراشدين اعتمد المنهج نفسه من قبل القادة العسكريين ، فنجد مثلا ان خالد بن الوليد استخلف المثنى بن حارثة الشيباني في حركتة من العراق الى الشام[٥٢] كما ان سعد بن أبي وقاص عين خالد بن عرفطة بديلًا له في معركة القادسية[٥٣] .

ومن الثوابت الاخرى في العقيدة العسكرية العربية الإسلامية التحلي بآداب وأخلاق القتال وتتضمن التركيز على الجانب الاخلاقي والإنساني في التعامل مع معطيات الحرب وظروفها وفي هذا الإطار ينهي نبينا الاكرم ( ﷺ ) عن كل ما يسيء الى قيم الجيش العربي الإسلامي ومُثُله العليا وأخلاقيات الإسلام ، فيأمر المقاتلين بالنهي عن الفساد والغلول ، ويحذرهم من عذاب الله عز وجل[٥٤] .

والله تعالى يقول في كتابه العزيز في منع الطمع في غنائم الحرب : ﴿ وما كان لنبيٍّ أن يغل ومَنْ يغلل يات بما غلّ يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾[٥٥] . وجاء الغل هنا بمعنى الخيانة[٥٦] . ومن آداب القتال التي اعتمدها الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في وصيته الى يزيد بن أبي سفيان في حركته الى الشام قوله : « وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلًا ولا تعقروا بهيمة ، إلا بهيمة الماكول ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم »[٥٧] . ولكن ملاحظة مدى التاثير المعنوي لهذه الآداب على نفوس المقاتلين المسلمين . وفي هذا المجال يقول تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾[٥٨] وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلًا ان الله يعلم ما تفعلون ﴾[٥٩] . كما أمر الله عز وجل بعدم مناصرة حلفاء المسلمين على قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق بقوله تعالى : ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعلمون بصير ﴾[٦٠] . ومن آداب القتال أيضاً ، معاملة الاسرى ، وعدم قتلهم إستناداً الى قوله تعالى : ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وأما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ﴾[٦١] . أي تمنون عليهم باطلاق سراحهم من دون مقابل ، أو تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين[٦٢] . وأكد الرسول ( ﷺ ) على المعاملة الحسنة للاسرى بقوله : « واستوصوا بالاسرى خيراً »[٦٣] .

تعد التعبئة النفسية والمعنوية واحدة من أهم الثوابت الاساسية للروح المعنوية للمقاتلين ، فالتعبئة النفسية والمعنوية هي واحدة من أهم عوامل النصر في أية حرب ، وان الإعداد النفسي يتم بالتحريض المقنع على القتال كما في قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون ﴾[٦٤] . وقوله تعالى : ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومَنْ يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلب سوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾[٦٥] . ويبرز التاكيد على الروح المعنوية في التعبئة النفسية والمعنوية في الاجر والثواب والتكريم الذي يحضى به المقاتلون في سبيل الله بقوله تعالى : ﴿ ولا تقولو لِمَنْ يُقتل في سبيل الله أموات بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون ﴾[٦٦] . وقوله تعالى : ﴿ فقاتل

في سبيل الله لا تُكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف باس الذين كفروا والله أشد باساً وأشد تنكيلا ﴾[٦٧] . وقوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾[٦٨] . ويحذر الله عز وجل المقاتلين من التردد والخوف من القتال في سبيله بقوله تعالى : ﴿ فلما كُتِبَ عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمَنْ اتقى ولا تظلمون فتيلًا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيدة ﴾[٦٩] . وكان الرسول ( ﷺ ) يلجأ الى وسائل متعددة للتعبئة النفسية والمعنوية ومنها عدم إجبار أحد على الخروج للحرب خوفاً من تاثير بعض ممن لا يتحملون عبء القتال على الاخرين بقوله : « لا يخرجنَّ معنا إلا راغب في الجهاد »[٧٠] . ومن جانب آخر فان الله عز وجل يدعم الروح المعنوية للمقاتلين في سبيله ويحرضهم على خوض غمار الحرب لإعلاء كلمته بقوله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألفٍ من الملائكة مردفين ﴾[٧١] . ويشد الله من عزم المؤمنين الصابرين في القتال بقوله تعالى : ﴿ بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن قلوبكم وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾[٧٢] . وقوله تعالى : ﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على مَنْ يشاء والله عليم حكيم ﴾[٧٣] . ومن ناحية أخرى فان العقيدة العسكرية العربية الإسلامية تدعو المقاتلين الى عدم التاثر بالحرب النفسية التي يشنها العدو ضد المسلمين سواء بحشد القوة أو التظاهر بالحشد كما ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ الذين قالوا لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونِعْمَ الوكيل ﴾[٧٤] . وحذر الله عز وجل المؤمنين من الوقوع في شرك الإشاعة التي يبثها الاعداء نوع من أنواع الحرب النفسية بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبإٍ فتبينوا أنْ تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[٧٥] .

وتدعم العقيدة العسكرية الإسلامية الروح المعنوية أيضاً من خلال تبنيها مفهوم الرفق بالمقاتلين خلال مسير التقدم لمواجهة الاعداء ، حيث يقدر على أساس أضعفهم مع الحفاظ على قوة أقواهم ، فلا يضغط عليهم في التقدم بحيث يهلك

الضعيف وتخور قوة القوي[٧٦] . ولذلك نجد تأكيد الخليفة الصديق أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في توجيهاته الى يزيد بن أبي سفيان قبل حركة الجيوش الى الشام بقوله : « إذا سرت فلا تضيق على قومك »[٧٧] .

في ضوء ثوابت العقيدة العسكرية الإسلامية التي تطرقنا لها آنفاً ، فقد طبق المسلمون في صدر الإسلام مبادىء الحرب التي كان لبعض منها أثر كبير على الروح المعنوية ومبادىء الحرب هي مجموعة من الاعتبارات المتوارثة عبر القرون . والتي تساعد الاستراتيجية والتعبئة وضع أسبقيات ومسالك العمل[٧٨] . وهي دليل ثبت نجاحه قديماً ، وتجاهله يعني مخاطرة[٧٩] . وفضلا على ادامة المعنويات والتعرض بوصفهما مبدأن من مبادىء الحرب في الوقت نفسه الذي يعدان فيه من ثوابت العقيدة العسكرية الإسلامية والتي تطرقنا لها فقد طبق المسلمون الأولون في صدر الإسلام مبدأ انتخاب وتوخي الهدف الذي يعبّر عن المهمة والخطة المجملة للحملة[٨٠] وهو مبدأ لكل عمل عسكري[٨١] ، ليس من حق القائد العسكري الميداني تغيير الهدف المحدد إلا باستحصال موافقة المراجع العليا التي حددت له الهدف النهائي للحملة . وإذا استعرضنا السرايا والغزوات التي جرت في عهد الرسول القائد ( ﷺ )[٨٢] ، أو المعارك التي جرت في عهد الخلفاء الراشدين يتوضح أمامنا مدى التمسك باعتماد هذا المبدأ . ولعل ما يذكر في هذا المجال هو تحديد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مقصده الاخير الى سعد بن أبي وقاص في معركة القادسية بتحرير المدائن في رسالته التي بعثها له خير مثال ، حيث جاء فيها ما نصه : « إن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن ، فانه خرابها إن شاء الله »[٨٣] .

ومهما كان الهدف المرحلي في معارك صدر الإسلام ، فانه كان يدخل ضمن الهدف الواضح الأسمى ، وهو إعلاء كلمة الله عز وجل . وهذا يفضي الى ارتفاع بمستوى الروح المعنوية للمقاتل الذي كان مستعداً دوماً للاستشهاد في سبيل الله .

ومن مبادىء الحرب الاخرى التي طبقها المسلمون في صدر الإسلام ذات الصلة بالروح المعنوية مبدأ المباغتة الذي يعد سلاحاً نفسياً فعالا يسبب اضطراباً وشللا في صفوف العدو ويسهم في تدمير تماسك روحه المعنوية[٨٤] . والمباغتة العسكرية تعني خلق موقف مفاجىء لا يتوقعه العدو[٨٥] يؤدي الى إرتباك توازنه وتماسكه[٨٦] . ويعد الكتمان الشديد للخطط العسكرية وجاهزية القوات

واستعداداتها من أهم وسائل المباغتة[٨٧] ولذلك ركز المسلمون على هذا الأمر إستناداً لقوله تعالى : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف إذاعوا به ولوردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾[٨٨] . وقول الرسول الكريم ( ﷺ ) : « استعينوا على قضاء أموركم بالكتمان وعلى قضاء حوائجكم بالاسرار »[٨٩] . وكان الرسول ( ﷺ ) يكتم أمور الحرب أحياناً على أقرب أصحابه فعندما أرسل عبدالله بن جحش في سرية من المهاجرين سلمه كتاباً أشار له بعدم فتح الكتاب إلا بعد يومين من مسيرة وعند وصوله الى منطقة يقال لها نخلة بين مكة والطائف وكان هذا الكتاب يتضمن أوامر الرسول (ﷺ) اللاحقة[٩٠] .

وتعد المخادعة صورة من صور المباغتة[٩١] . وعندما أشار الرسول محمد (ﷺ) الى ان ( الحرب خدعة )[٩٢] في معركة الخندق ، فهو تأكيد واضح على هذا المبدأ .

## الهوامش

( ١ ) محمد أحمد محمد سليمان ، الجيش والقتال في صدر الإسلام ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ، ١٩٨٧ ، ص ٣٢ .

( ٢ ) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل الى العقيدة والستراتيجية العسكرية الإسلامية ، ص ٧٣ . وانظر : ياسين سويد ، الفيء العسكري الإسلامي ، وأصوله ومصادره ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

( ٣ ) الالباني ، مختصر صحيح البخاري ، ص ١١ .

( ٤ ) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ٤٦ .

( ٥ ) محمد فرج ، الاستراتيجية العسكرية الإسلامية . النظرية والتطبيق ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٧٤ .

( ٦ ) سورة يونس ، الآية (٢٥) .

( ٧ ) سورة المائدة ، الآية (١٥) .

( ٨ ) سورة البقرة ، الآية (٢٠٨) .

( ٩ ) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل الى العقيدة والاستراتيجية ، ص ٢٥٥ .

( ١٠ ) د. ابراهيم سلمان الكروي ود. عبدالتواب شرف الدين ، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط ٢ ، ١٩٨٧ ، ص ١٠٢ .

( ١١ ) محمد عبيدة ، منهج البلاغة ، مجموع ، اختاره الشريف الرضي ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، جـ ٢ ، ص ٦٧ .

( ١٢ ) محمود شيت خطاب ، بين العقيدة والقيادة ، ص ١١١ .

( ١٣ ) محمود شيت خطاب ، بين العقيدة والقيادة ، ص ٣٤ .

( ١٤ ) سورة التوبة ، الآية (٤١) .

( ١٥ ) سورة التوبة ، الآية (٣٨) .

( ١٦ ) صحيح البخاري ، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن برزويه البخاري الجعفي ، جـ ٤ ، مطابع الشعب ، ١٣٧٨ هجرية ، ص ٢٨ .

( ١٧ ) جمال الدين محفوظ ، المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ .

( ١٨ ) الجيش والسلاح ، نخبة من أساتذة التاريخ ، جـ ٣ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٧ .

( ١٩ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٣١١ .

( ٢٠ ) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٤ .

( ٢١ ) سورة التوبة ، الآية (٦١) .

( ٢٢ ) ابن كثير ، ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٤٦٤ .

( ٢٣ ) سورة النساء ، الآية (٩٥) .

( ٢٤ ) سورة الأنفال ، الآية (٦٠) .

( ٢٥ ) أحمد عبد ربه مبارك بصوص ، العقيدة القتالية في الإسلام ، ١٩٨٦ ، ص ٧ .

( ٢٧ ) صحيح البخاري ، جـ ٤ ، ص ٦٥ . وابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ص ٢٦ . وكذلك ابن هشام ، جـ ٢ ، ص ٣٣٢ .

( ٢٧ ) ابن عبدالبر ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ، ص ١٠٣ ومابعدها . وعبدالرزاق ابراهيم ، الفكر العسكري ومبادىء الحرب في صدر الإسلام ، مديرية المطابع العسكرية الاردنية ، عمان ، ١٩٨٨ ، ص ٤١ .

( ٢٨ ) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، ص ٩٣ .

( ٢٩ ) ابن سعد ، محمد بن سعد ( ت : ٣٢هـ ) ، الطبقات الكبرى ، دار التحرير ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، جـ ٥ ، ص ٥٣ .

( ٣٠ ) سورة العاديات ، الآيات ( ١ ـ ٥ ) . والعاديات هي : خيل الغزو تعدو نحو العدو . الضبح هو صوت أنفاسها إذا عدت ، الموريات قدحاً : هي المخرجات النار بحك حوافرها الاحجار ،

أما المغيرات صبحاً : تعني المباغتة للعدو وقت الصباح . فاثرن به نقصاً : أي هيجن في الصباح غباراً ، فوسطن به جمعاً : فتوسطن فيه جمعاً من الأعداء . راجع : كلمات القرآن ، تفسير وبيان ، حسنين محمد مخلوف ، ص ٥١١ .

( ٣١ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ٤٧٣ .

( ٣٢ ) محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية .

( ٣٣ ) سورة الأنفال ، الآية ( ٦٠ ) .

( ٣٤ ) منير شفيق ، علم الحرب ، ص ٩٦ .

( ٣٥ ) الجنرال ج. ف. فولر ، إدارة الحرب ، تعريب وتعليق أكرم ديري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

( ٣٦ ) كنعان خورشيد عبدالوهاب ، الهجوم المباغت ، كتاب مترجم ، إصدارات مديرية التطوير القتالي لوزارة الدفاع العراقية ، بغداد . ١٩٨٥ ، ص ٩ .

( ٣٧ ) الغزوة هي التي كان يقودها رسول الله ( ﷺ ) شخصياً . أما السرية فهي التي كان يبعثها صلوات الله عليه وسلم ، وكانت تتألف من عدد لا يقل عن أربعمائة مقاتل ، فعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال رسول الله ( ﷺ ) : خير الأصحاب أربعة ، وخير السرايا أربع مئة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن يغلبانا عشر ألفاً من قلة إذا كانت كلمتهم واحدة ، راجع الرخسي ، شرح كتاب السير الكبير ، لمحمد بن الحسن الشيباني ، مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ٦٧ .

( ٣٨ ) ابن هشام ، السيرة النبوية . وعبدالحفيظ الشلبي ، دار القلم ، بيروت ، ب. ت. ، ص ٢٤١ وما بعدها .

( ٣٩ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٤٦ وما بعدها .

( ٤٠ ) سورة الحديد ، الآية ( ٢٥ ) .

( ٤١ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٢٧٦ .

( ٤٢ ) سورة الأنفال ، الآية ( ٤٥ ) .

( ٤٣ ) سورة الانفال ، الآية ( ١٦ ) .

( ٤٤ ) سورة الأنفال ، الآية ( ١١ ) .

( ٤٥ ) سورة التوبة ، الآية ( ١٣ ) .

( ٤٦ ) سورة آل عمران ، الآية ( ١٧٥ ) .

( ٤٧ ) البخاري ، صحيح ، جـ ٤ ، ص ١٨ .

( ٤٨ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٢٧٤ .

( ٤٩ ) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٤٢ ، وانظر تفسير الجلالين ، ص ٢٢٩ . وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ .

( ٥٠ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٤٠ . وانظر : ابن عبدالبر ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، ص ١٨٦ .

( ٥١ ) الشيباني ، كتاب السير الكبير ، جـ ١ ، ص ١١٩ .

( ٥٢ ) م. ن. ، ص ١٢٠ .

( ٥٣ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ وما بعدها ، جـ ٣ ، ص ٤٦ وما بعدها، وابن عبدالبر ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، ص ١٠٣ وما بعدها .

( ٥٤ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ ، وانظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ .

( ٥٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ .

( ٥٦ ) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٤١ .

( ٥٧ ) سورة آل عمران ، الآية (١٦١) .

( ٥٨ ) السيوطي ، تفسير الجلالين ، ونزلت هذه الآية في معركة أُحد حيث فُقِدَتْ قطيفة حمراء فقال بعض الناس ، لعل النبي أخذها ، ص ٨٨ .

( ٥٩ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ٤ .

( ٦٠ ) سورة المائدة ، الآية (١) .

( ٦١ ) سورة النحل ، الآية (٩١) .

( ٦٢ ) سورة الانفال ، الآية (٧٢) .

( ٦٣ ) سورة محمد ، الآية (٤) .

( ٦٤ ) السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص ٦٧٣ .

( ٦٥ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .

( ٦٦ ) سورة الانفال ، الآية (٦٥) .

( ٦٧ ) سورة النساء ، الآية (٧٤) .

( ٦٨ ) سورة البقرة ، الآية (١٥٤) .

( ٦٩ ) سورة النساء ، الآية (٥٤) .

( ٧٠ ) سورة النساء ، الآية (٧٦) .

( ٧١ ) سورة النساء ، الآيات (٧٧ - ٧٨) .

( ٧٢ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ص ٢٧ .

( ٧٣ ) سورة الانفال ، الآية (٩) .

( ٧٤ ) سورة آل عمران ، الآية (١٩٢ - ١٢٦) .

( ٧٥ ) سورة التوبة ، الآية (١٤) .

( ٧٦ ) سورة آل عمران ، الآية (٥٩) .

( ٧٧ ) سورة الحجرات ، الآية (٦) .

( ٧٨ ) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٣٢ .

( ٧٩ ) الواقدي ، فتوح الشام ، ص ٤ .

( ٨٠ ) حارث لطفي الوفي ، مبادىء الحرب ( دراسة مقارنة ) ، إصدارات مديرية التطوير القتالي ، وزارة الدفاع ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٣١ ( عن قاموس الأمن والدفاع ) .

( ٨١ ) كراسة استخدام القوة الرقم ٣٩٣ ، وزارة الدفاع ، بغداد ، ص ١٦ .

( ٨٢ ) علاء الدين حسين مكي خماس ، أفكار حول الحرب ، صص ٨٢ ـ ٨٣ .

( ٨٣ ) حارث لطفي الوفي ، مبادىء الحرب ، ص ١٠٥ .

( ٨٤ ) أنظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ وما بعدها للاطلاع على الأهداف المحددة في معارك الرسول ( ﷺ ) ، ودان ، وبواط ، العشيرة ، سفوان ( بدر الأولى ) ، وبدر الكبرى ، والأهداف المحددة لسرايا عبيدة بن الحارث ، حمزة بن عبدالمطلب ، سعد بن أبي وقاص ، وعبدالله بن جحش . وانظر : الجزء الثالث من السيرة النبوية للاطلاع على معارك بني سليم ، السويق ، ذي أمر ، بحران ، بني قينقاع ، أُحد ، ذات الرقاع ، بدر الآخرة ، دومة الجندل ، الخندق ، بني لحيان ، ذي قرد ، وبني المصطلق .

( ٨٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ .

( ٨٦ ) علاء الدين حسين مكي ، أفكار حول الحرب ، ص ٨٤ .

( ٨٧ ) محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، ص ٤١٨ .

( ٨٨ ) منير شفيق ، علم الحرب ، ص ١٠٣ .

( ٨٩ ) محمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، ص ٤٥١ .

( ٩٠ ) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٠٣ .

( ٩١ ) الطبري ، تاريخ ، ج ٢ ، صص ٥٢٢ ـ ٥٢٣ . وانظر : ابن هشام السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المجلد الثاني ، ص ٧١ .

( ٩٢ ) علاء الدين حسين مكي خماس ، أفكار حول الحرب ، ص ٨٥ .
ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٤٠ .

# الفصل الثالث

# الروح المعنوية
# في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

## المبحث الاول
## شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم

## المبحث الثاني
## الروح المعنوية في معركة تعرضية
## ( نموذج معركة بحر )

## المبحث الثالث
## الروح المعنوية في معركة دفاعية
## ( نموذج معركة الخندق )

## المبحث الاول

# شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وأثرها في الروح المعنوية

كان رسول الله ( ﷺ ) قد تحمل أعباء المسؤولية التي أوكلها الله عز وجل له في نشر الدين الإسلامي الحنيف . وبالرغم من جسامة هذه المسؤولية والالتزام الروحي أمام الخالق عز وجل بوصفه نبياً مرسلًا للناس ﴿ يا أيُّها النبي إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً ونذيراً ﴾[1] ، إلا انه كان في الوقت نفسه قائداً للدولة في أمور السلم والحرب ، ويوجه شؤون المجتمع بالاتجاه الصحيح وكان مثالا رفيعاً لقائد المجتمع يدعو الله عز وجل بالقول « اللهم حسن خلقي وخلقي »[2] . إنه كان في الوقت نفسه ، نبياً ورسولًا ، وقائد دولة ، فلم يجعل لنفسه منزلة خاصة في المجتمع ، سواء أكانت في الحياة العامة في العيش وأنماطه أم في مطالب دنيوية أخرى . وكان مثالا فذاً للتواضع والكرم والصدق والوفاء والعدل والنبل والحكمة والعفة فوصفه الله عز وجل في كتابه الكريم بقوله تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلقٍ عظيم ﴾[3] .ناهيك عن هيبة طلعته ( ﷺ ) . ووصفه الخليفة علي بن أبي طالب ـ كرَّم الله وجهه ـ بالقول : « كان أجود الناس كفاً ، وأوسع الناس صدراً ، وأحدث الناس لهجة ، وأوقاهم ذمة وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة ، مَنْ رآه هابه ، ومَنْ خالطه أحبه »[4] . ولشخصيته البارعة ( ﷺ ) ، فقد تأثر أعداء الأمة العربية الإسلامية من المستشرقين وغيرهم بالرسول ( ﷺ ) ومنهم غوستاف لوبون الذي وصفه بالقول : « كان صبوراً قادراً على احتمال المشاق ثابتاً لين الطبع وديعاً . وكان مقاتلا ماهراً لا يهرب أمام المخاطر ، ولا يلقي بيديه الى التهلكة ، وكان يعمل ما في طاقته لإنماء خلق الشجاعة والإقدام في بني قومه »[5] . أما توماس كارليل فيقول : « كان مليء النفس بالرحمة والحنان والخير والبر والحكمة »[6] .

تمتع الرسول القائد ( ﷺ ) بصفات خلقية جميلة ، وسمات خلقية عظيمة كان لها الاثر البالغ في تكوين شخصيته القيادية المؤثرة في الروح المعنوية لاصحابه

ـ رضوان الله تعالى عنهم ـ ، ناهيك عن تاييده من الله عز وجل نبياً مرسلا لهذه الامة وللعالم أجمع . فكان ( ﷺ ) الاسوة الحسنة لاصحابه في حياته المباركة وبقي الاسوة الحسنة لاتباعه بعد وفاته ، ولا يزال وسيبقى الاسوة الحسنة للمسلمين كافة حتى يوم الدين[٧] . قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة لمَنْ كان يرجو الله واليوم الآخر وذَكَرَ الله كثيراً ﴾[٨] .

كانت صفاته الخلقية ( ﷺ ) مدعاة فخر لجمالية خلق الله عز وجل للبشر ، فلم يكن بالطويل ولا بالقصير ، بل كان وسطاً بين ذلك ، غليظ الكفين والقدمين ضخم ألواح الكتف[٩] ، شديد سواد العينين ، سبط الشعر ، سهل الخدين[١٠] ، أزهر اللون ، مشوباً بحمرة ، ليس بشديد البياض ( الامهق )، ولا الاسمر ( الادم ) كان وجهه القمر ليلة البدر ، حسن الانف ، واسع الجبين ، سواء البطن والصدر[١١] ، حسن الصوت ، لا يضحك إلا تبسماً ، إذا غضب أعرض ، وإذا فرح غض طرفه[١٢] ، كث اللحية ، ليس في شعر رأسه ولحيته أكثر من عشرين شعرة بيضاء حتى وفاته ، عنقه كانه ابريق فضة ، إذا مشى فانه يمشي بقوة وثبات كانما ينحدر الى أمام من مرتفع ، وإذا التفت التفت جميعاً ، كان العرق في وجهه كانه لؤلؤة ، ولريح عرقه أطيب من المسك[١٣] . كما كان صلوات الله عليه وسيماً ، عريض الصدر والكتف[١٤] ، ومن هذه الصفات الخلقية الجميلة ، اضافة للنور المحمدي الذي كان يسطع في وجه كل مَنْ ينظر إليه ، نستنتج مدى التاثير المعنوي البالغ في نفوس المسلمين ممن عاصروه صلوات الله عز وجل عليه في صدر الإسلام .

لقد أثبتت البحوث المعاصرة ان الإنسان القوي هو الذي يتميز جسمه وأطرافه بتناسق النمو ، عريض الكتفين ، كبير اليدين والقدمين[١٥] . وهكذا كان ( ﷺ ) .

أما سماته الخلقية ( ﷺ ) ، فكان الصدق والامانة من الشمائل التي رافقته منذ طفولته ، فاسهمت في تكوين الشخصية القيادية الجذابة قبل نبوءته ، فكان لها الاثر الواضح في تعزيز الروح المعنوية للمسلمين ، بشكل عام والمقاتلين بشكل خاص منذ فجر الرسالة الإسلامية ، يستلهمون منه الخلق الرفيع ، ويصدقون ما نزل عليه من الله عز وجل . ولعل تسمية قريش له بالامين[١٦] . في ريعان شبابه واحدة من هذه الدلائل ، فقد سمّاه رفاقه بالامين ، رجل الصدق والوفاء ، لما كان يحمل من خصال ، فلم تخرج كلمة واحدة من فيه إلا وكانت تعبّر عن الصدق والحكمة البالغة[١٧] . وكان لموقفه ( ﷺ ) في فض النزاع الذي كاد أن يحدث بين قبائل مكة

حول وضع ركن البيت بعد ان هدموا الكعبة وأعادوا بناءها بالغ التاثير في نفوس أبناء مكة من قبل نبوته . فبعد ان انتهوا من إعادة بناء الكعبة اختلفوا في وضع ركنها ، وكانت كل قبيلة تشعر باحقيتها في ذلك ، حتى هموا بالقتال ، وقربت بنو عبدالدار جفنة ماء مملوءة بالدم ، ثم تعاقدوا وبنو عدي بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم الذي في الجفنة . ثم اتفقوا بعد ذلك على أن يجعلوا بينهم أول مَنْ يدخل في باب شيبة ليقضي بينهم .

كان رسول الله ( ﷺ ) أول مَنْ دخل من هذه الباب ، فلما رأوه ، قالوا : هذا الامين محمد ، قد رضينا بما يقضي بيننا ، ثم أخبروه الخبر ، فوضع ( ﷺ ) رداءه ، وبسطه في الأرض ، ثم وضع الركن فيه ، وقال : لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه ( ﷺ ) بيده الطاهرة ، ثم بنوا عليه[18] . وبهذه الحكمة البالغة تمكن من حقن الدماء وفض النزاع .

كانت شهرة الرسول ( ﷺ ) بالصدق والامانة منتشرة بين أهل مكة ، حتى ان خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ ، الامرأة الحازمة الجلدة الشريفة التي كانت تمتاز بالكرامة والخير وشرف النسب وكثرة المال[19] . لما بلغها ، عن رسول الله ( ﷺ ) صدق الحديث ، وعظم الامانة ، أرسلت إليه ليخرج في مالها الى الشام تاجراً وتعطيه أفضل مما كانت تعطي غيره مع غلامها ميسرة . ولهذه الشمائل الطيبة تزوجت خديجة بنت خويلد من رسول الله ( ﷺ )[20] ، بالرغم من ان كل واحد من قومها كان حريصاً على الزواج بها[21] .

إن هذه الشمائل التي نشأ عليها الرسول محمد ( ﷺ ) منحته سمات الصدق والامانة والحكمة ، فكان لها التأثير المباشر بعد نبوته على الروح المعنوية للمقاتلين المسلمين الذين أخذوا ينهلون من معين شخصيته هذه السمات ، فيشعرون بالسمو والكرامة ، وتتأجج في جوانحهم العزائم الواثبة لتتقد الروح المعنوية عندهم .

كانت الشجاعة واحدة من سماته القيادية المميزة صلوات الله عليه وسلم ، الامر الذي كان له الوقع التاثيري الإيجابي في نفوس المقاتلين المسلمين في الجيش العربي الإسلامي في صدر الإسلام وبرزت شجاعته ( ﷺ ) في المعارك التي قادها شخصياً والتي بلغت ثمان وعشرين معركة[22] . وشهدت بعض هذه المعارك القتال الفعلي ، ومنها معركة بدر الكبرى التي جرت في شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة[23] ، ومعركة أحد في شوال في السنة الثالثة[24] ، ومعركة الخندق في ذي

القعدة للسنة الخامسة[٢٥] ، ومعركة خيبر في جمادى الاولى للسنة السابعة[٢٦] ، ومعركة حنين في شوال في السنة الثامنة[٢٧] .

في كل هذه المعارك وغيرها ، كان صلوات الله عليه مثالًا للقائد الشجاع في الفعل والقرار . فعلى المستوى الفردي كان أشجع الناس ، وفي هذا قال الخليفة علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ : « كنا إذا حمى الباس ولقيَ القوم القوم ألقينا برسول الله ( ﷺ ) »[٢٨] .

كان صلوات الله عليه إذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس باساً ، والشجاع من أصحابه كان هو الذي يقرب منه في الحرب لقرب رسول ( ﷺ ) من العدو . وكان أول مَنْ يضرب عند لقاء العدو[٢٩] . كما كان يتعوذ من الجبن ، ويؤكد على ان المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف[٣٠] . حيث يذكر أصحابه بقول الله عز وجل : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾[٣١] . لتعزيز سمة الشجاعة ودعم وإيقاد وهج العزائم عندهم وإذكاء الروح المعنوية فيهم . ومن مواقفه الشجاعة انه كان في معركة أحد ، وبعد ان ارجف المرجفون ، وأذاعوا كذباً وخديعة ، أمر قتله ( ﷺ ) أدركه أبيّ بن خلف وهو يقول : أي محمد ، لانجوي ان نجوت فلما دنا ، تناول ( ﷺ ) الحربة من الحارث بن الصمة ، وانتفض انتفاضة تطاير عنه القوم القريبون ، فطعنه الرسول ( ﷺ ) في عنقه .طعنة تدأدأ منها عن فرسه[٣٢] .

ومن مواقفه الشجاعة أيضاً ، انه كان قد أصاب أهل المدينة المنورة فزع من صوت غريب ، فانطلق أهل المدينة نحو الصوت فإذا هم تلقوا رسول الله ( ﷺ ) على فرس عري بن طلحة ، ما عليه سرج وعليه السيف ، حيث كان سبقهم الى الصوت فجعل يقول : أيها الناس لن تراعوا ، لن تراعوا ، ثم قال : يا أبا طلحة وجدناه بحراً ، وكان الفرس يبطيء ، فما سبقه فرس بعد ذلك[٣٣] .

كان ( ﷺ ) يغرس الشجاعة في نفوس المقاتلين عملياً . ففي معركة أحد أعطى سيفه الى أبي دجانة ( سماك بن خرشة ) وطلب إليه ضرب العدو حتى ينحني ، فلما أخذه من يد رسول الله ( ﷺ ) ، أخرج عصابته الحمراء ، فعصب بها رأسه ، ثم أخذ يتبختر بين الصفين ، فقال رسول الله ( ﷺ ) حين رآه : « انها لمشية يبغضها الله عز وجل إلا في مثل هذا الموطن »[٣٤] . وجعل أبو دجانة لا يلقى أحداً إلا قتله حتى وصل الى نسوة في سفح جبل ، معهن دفوف ، فرفع السيف

ليضرب إحداهن كانت تلقي الشعر الحماسي للكفار ولكنه كف عنها ، لأن أكرم سيف رسول الله ( ﷺ ) أن يضرب به امرأة[٣٥] .

وسماته القيادية الأخرى صلوات الله عليه المؤثرة في الروح المعنوية ، كانت تتمثل بتواضعه الشديد ، فكان رسول الله ( ﷺ ) أكثر الناس تواضعاً ، يخصف نعله ، ويرقع الثوب ويخيطه ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع اللحم معهن ويجيب دعوة السائل ، ويقبل الهدايا ويكافيء عليها[٣٦] . وهو القائل : « ما زاد الله عبداً يعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »[٣٧] . وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم . ومن أمثلة تواضعه الشديد ، كان رجل قد شعر بالخوف من هيبته عند لقائه فقال له ( ﷺ ) : « هون عليك فلست بملكٍ إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد »[٣٨] .

كان صلوات الله عليه ينظر الى الأرض أكثر من نظره الى السماء من شدة تواضعه ويأكل على الأرض وإذا دعاه رجل فقال : يا رسول الله ، أجابه : لبيك[٣٩] ، ويقتنع بتوبة[٤٠] ، وفي معركة الخندق كان ( ﷺ ) يحفر بنفسه[٤١] . وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ان رسول الله ( ﷺ ) قال : « مَنْ تواضع لأخيه المسلم رفعه الله ، ومَنْ ارتفع عليه وضعه الله »[٤٢] .

إن هذه السمات الخلقية الرفيعة تلقي في نفوس المقاتلين مزيداً من عناصر الدعم للروح المعنوية ، لأن التواضع يجذب المحبة والثقة ، والمقاتل الذي يحب قائده ويثق به ، لا بد أن يندفع في وطيس القتال بروح معنوية عالية وصمود لا يلين ومن السمات الخلقية الجليلة للرسول القائد ( ﷺ ) العفو عند المقدرة ، فكان حليماً رحيماً رقيق القلب ، وقد جاء في المصادر انه ( ﷺ ) كان قد جاءه رجل وقام على رأسه الشريف بالسيف فقال : مَنْ يمنعك مني ؟ فقال ( ﷺ ) : الله ، فسقط السيف من يده ، وأخذه رسول ( ﷺ ) وقال : مَنْ يمنعك مني ؟ فقال : كن خيراً خذ قال : قل اشهد أن لاإله إلا الله واني رسول الله ، فقال : لا ، غير اني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله ، فجاء أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس[٤٣] . وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ان رسول الله ( ﷺ ) قال : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[٤٤] .

حيث كان صلوات الله عليه يوصي في المعارك بالأسرى خيراً[٤٥] . وكان يتفقد أصحابه ويسأل الناس عن أمورهم[٤٦] . قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمةً

للعالمين ﴾[47] ، وتصل رحمته درجة انه كان يضع الاناء للهرة فما يرفعه حتى ترتوي رحمة لها[48] . وأدت هذه السمة تاثيرها الواضح في مجال حب المقاتلين للرسول ( ﷺ ) وحبه لهم ، وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[49] . أما على مستوى حبهم له ، فنجد ذلك واضحاً في معركة أُحد عندما انحنى أبو دجانة على رسول الله ( ﷺ ) يرد النبل في ظهره حتى كثر فيه النبل ، كما رمى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - دون الرسول ( ﷺ ) ، كذلك قاتل مصعب بن عمير دون الرسول ( ﷺ ) وكان يحمل اللواء فاستشهد حتى ان الذي قتله ابن قمئة الليثي كان يظن انه رسول الله ( ﷺ ) فرجع الى قريش فقال : قتلت محمداً[50] .

ومن دلائل حب أصحابه له أيضاً ، كان عروة بن مسعود الثقفي مبعوثاً لقريش للتفاوض مع المسلمين في الحديبية رأى حب أصحاب الرسول ( ﷺ ) له والتفافهم حوله ، فلا يتوضأ إلا ابتدرو وضوءه ، ولا يسقط من شعره إلا أخذوه ، فرجع الى قريش واصفاً شخصية الرسول القائد( ﷺ ) قائلا : « يا معشر قريش ، اني قد جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، وأي والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً »[51] .

حيث كان رسول الله ( ﷺ ) يتسم بالحياء ، فكان أشد الناس حياءً لا يثبت بصره في وجه أحد[52] . ويعد الحياء من الإيمان ويحث المسلمين للتحلي بهذا الخلق ، فعن سالم بن عبدالله عن أبيه ان الرسول ( ﷺ ) مرَّ على رجل من الأنصار وهو يعاقب أخاه في الحياء ، فيقول له : انك لتستحي حتى كأنه يقول قد أضر بك ، فقال رسول الله ( ﷺ ) : « دعه ، فان الحياء من الإيمان »[53] . وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله ( ﷺ ) أشد حياءً من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه[54] . قال تعالى : ﴿ ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم ﴾[55] .

إن هذه السمة الخلقية ، تفضي الى زيادة في حب المقاتلين لقائدهم ، وبالطبع فان هذا الحب يسهم في رفع مستوى الروح المعنوية في نفوسهم . ومن أخلاقه صلوات الله عليه ، انه كان أعف الناس ، فلم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه[56] ، بل انه لم يقرب من اثم قبل وبعد نبوته ، فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ( ﷺ ) يقول :

« ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله عز وجل برسالته فاني قد قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب ، فقال : افعل فخرجت أريد ذلك حتى إذا جئت أول دار من دور مكة ، سمعت عزفاً بالدفوف والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا فلان بن فلان تزوج بفلانة بنت فلان ، فجلست أنظر إليهم فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس »[٥٧] .

وفضلا على ما تقدم من صفات حميدة كان يتمتع بها رسول الله ( ﷺ ) فقد كان ( ﷺ ) أسخى الناس وأكرمهم ، لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل شيء ولم يجد مَنْ يعطيه وفاجأه الليل ، لم يأو الى منزله حتى يعطيه الى مَنْ يحتاجه ولا يأخذ ما أعطاه الله عز وجل إلا قوت عامه فقط[٥٨] . وكان ( ﷺ ) يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم[٥٩] ، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم[٦٠] . وكان صلوات الله عليه يشجع على الكرم والسخاء فيقول : « انفق يا ابن آدم ينفق عليك »[٦١] . وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ انهم ذبحوا شاة فقال النبي ( ﷺ ) : « ما بقي منها ؟ قالت : ما بقي منها إلا كتفها ، قال : بقي كلها غير كتفها »[٦٢] . وجاء في حديثه ( ﷺ ) : « السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار . والبخيل بعيد عن الله ، بعيد عن الناس ، بعيد عن الجنة ، قريب من النار ، ولجاهل سخي أحب الى الله تعالى من عابد بخيل » رواه الترمذي[٦٣] . قال ( ﷺ ) : « ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ، فلا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ، ألا فزينوا دينكم بهما »[٦٤] .

أليست هذه السمات الأخلاقية الرفيعة ذات قدرة تأثيرية كبيرة في رفع مستوى الروح المعنوية في نفوس المقاتلين المسلمين ، فتراهم يجزلون العطاء والسخاء فيقدمون أرواحهم فداءً لله عز وجل من أجل إعلاء كلمته ، فينالوا الثواب في الآخرة ، ويحظوا بالجنة جزاءً لهم .

كانت الروح المعنوية في شخصية الرسول محمد ( ﷺ ) تدخل في كل ميادين الحياة واتجاهاتها ، ولعل الميدان العسكري أهمها ، وكان صلوات الله عليه يفجر الطاقات الكامنة في نفوس المقاتلين لتوظيفها باتجاه نشر الدين الإسلامي وتكوين المجتمع العربي الإسلامي الجديد ، الهدف الأسمى من رسالته الخالدة ، كان يؤكد

قول الله تعالى : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾[٦٥] ، وقوله تعالى : ﴿ ومَنْ يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ﴾[٦٦] ، مبشِّراً إياهم دائماً بالنصر والغلبة ، معززاً روحهم المعنوية ، ويؤكد لهم انهم الفائزون حتى إذا استشهدوا .

أما عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال ، سمعت رسول الله ( ﷺ ) يقول : « الشهداء أربعة . فمؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله فقاتل حتى قُتِل فذلك الذي يرفع الناس إليه أعناقهم يوم القيامة فهذا في الدرجة الأولى . ورجل مؤمن جيد الإيمان إذا لقيَ العدو كأنما يضرب جلده بشوك الطلح من الجبن ، أتاه سهم غرب فقتله فهذا من الدرجة الثانية . ورجل مؤمن جيد الإيمان خلط عملا صالحاً وعملا سيئاً لقيَ العدو فصده فقتل فهذا من الدرجة الثالثة . ورجل مؤمن أسرف على نفسه فلقي العدو فقاتل حتى قتل فهذا من الدرجة الرابعة »[٦٧] .

حيث كان صلوات الله عليه يستثمر كل شيء من أجل تأجيج هذه الروح ، فأطلق مثلا مسميات على أسيافه ، تدلل على معاني القوة والثبات والشجاعة . وكان له تسعة أسياف ، مأثور ، وهو أول سيف ملكه ، ورثه عن أبيه ، والغضب ، الذي قاتل به في بدر ، حيث قدم الى المدينة بسيفين ، وسيف ذو الفقار ، الذي غنمه من معركة بدر . وكان له الرسوب ، المخذم ، والقضيب ، كما كان له ( ﷺ ) ثلاثة سيوف حصل عليها من سلاح بني قينقاع وهي القلعة ، والبتار ، والحتف[٦٨] .

إن من السمات العسكرية التي تمتع الرسول القائد ( ﷺ ) بُعد النظر ، ففي الحديبية ، وافق على قبول شرط الهدنة ، بالرغم من اعتراض بعض من أصحابه مثل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في بادىء الأمر ، لأن رسول الله ( ﷺ ) قدر ان قبوله هذه الشروط هو نصر للمسلمين ، حيث تتاح الفرصة الموآتية لزيادة حجم الجيش العربي الإسلامي . وبالفعل فقد ارتفع العدد من ألف وأربعمائة مقاتل في غزوة الحديبية[٦٩] . الى عشرة آلاف مقاتل في غزوة مكة بعد سنتين[٧٠] .

أما سمة الصبر في شخصية الرسول ( ﷺ ) ، فكان لها تأثير بالغ في الروح المعنوية للمقاتلين المسلمين . فالصبر نصف الإيمان[٧١] . حيث ان للإيمان ركنين ، أولهما اليقين والثاني هو الصبر ، فإذا كان اليقين يمثل الإطار النظري للإيمان الممثل بالمعرفة المطلقة بهداية الله عز وجل لعبده ، فان الصبر هو الجانب التطبيقي العملي لهذا اليقين ولعل معركة حنين سنة ثمانية للهجرة خير شاهد على

ثبات وصبر الرسول القائد ( ﷺ ) حيث صمد وصبر وثبت في اللحظات التي ارتبكت فيها الصفوف وانتشر فيها الفزع بعد مباداة هوازن بمحاصرة المسلمين والرمي عليهم . وكان صلوات لله يحث الصحابة على الثبات في المعركة قائلا : « أنا النبي لا كذِب .. أنا بن عبدالمطلب »(٧٢) . مفصحاً عن روحه المعنوية العالية ، ومؤججاً إياها في نفوس المقاتلين .

فالصبر تعبير عن الارادة والعزيمة والشجاعة البالغة ، وهو منبع حقيقي للطاقة الكامنة في النفس البشرية المولِّدة للعوامل المادية ذات الفعل التأثيري الكبير ، والتي أطلقنا عليها مصطلح الروح المعنوية فيما سبق .

وفضلا على ما تقدم فقد كانت خطب ووصايا الرسول ( ﷺ ) ذات تأثير واضح على الروح المعنوية للصحابة الكرام ، لما تمتاز به من بلاغة في التعبير ، وقدرة فائقة في التأثير والاستجابة .

كان صلوات الله عليه يحرص على اللقاء مع المسلمين والتحدث معهم ، وتوجيههم الوجهة المطلوبة في شتى المجالات ومختلف الميادين لرفع روحهم المعنوية من أجل إعلاء كلمة الله ونشر الدين الإسلامي الجديد . وكان يخطب وهو متوكيء على قومه إشارة الى تعزيز هذه الروح(٧٣) . ففي خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة المنورة أكد رسول الله ( ﷺ ) على التقوى حيث جاء فيها : « أوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصي به المسلم المسلم ، أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة وان تقوى الله لمَنْ عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة .. ومَنْ يتق الله فاز فوزاً عظيماً »(٧٥) . ويبدو لنا من هذا الجزء من الخطبة أهمية التقوى . فالتقوى تبنى على أساس الإيمان وتزكى في نفس المؤمن منهج الجهاد لإعلاء كلمة الله عز وجل ، وكلاهما الإيمان والجهاد مرتكزان أساسيان للروح المعنوية .

وأما في خطبة حجة الوداع ، فقد أكد رسول الله ( ﷺ ) على العديد من الأمور ومنها الأمانة ، التآخي ، والتقوى بقوله : « أيها الناس : ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت اللهم اشهد . فمَنْ كانت عنده أمانة ، فليؤدها الى الذي ائتمنه عليها » ، وقوله ( ﷺ ) : « إنما المؤمنون اخوة ، فلا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب

نفسه . ألا هل بلغت . اللهم اشهد . فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض » . وقوله صلوات الله عليه : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم »[٧٥] .

ومن أخلاقه الكريمة كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومَنْ معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : « أغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا مَنْ كفر بالله أغزوا ، ولا تخلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً »[٧٦] .

ان من سماته القيادية الاخرى صلوات الله عليه انه كان يتمتع بقابلية بدنية عالية وهي إحدى السمات المهمة للقائد العسكري الناجح ، وان مشاركته مع المقاتلين في مسيراتهم الراجلة الطويلة والشاقة في مختلف فصول السنة عند الغزوات خير دليل على هذه القابلية[٧٧] . وكذلك ، فقد كان ( ﷺ ) يدعو أصحابه الى الخشونة والتدريب على قوة الجسم والصبر على الحر والبرد والتعب والمشاق[٧٨] . وهي جميعها مقومات للروح المعنوية . ومن سماته القيادية أيضاً تحليه ( ﷺ ) بالفراسة العقلية الاستخبارية ، وهي من السمات المهمة لأي قائد عسكري ، فبدونها لا شخصية مميزة للقائد عن مقاتليه ، وبالتالي فان تحليه بها يعزز من ثقة المقاتلين به ويرفع من روحهم المعنوية ، وهكذا كان صلوات الله عليه . فعندما رأى أصحابه في معركة بدر يضربون اثنين من عبيد قريش ، أحدهما غلام بني الحجاج والآخر غلام بني العاص بن سعيد ، ظناً من أصحاب الرسول ( ﷺ ) : انهما عبيد لأبي سفيان ، وكانا يقولان الحق ولكن الضرب المبرح جعلهما يقولان انهما لأبي سفيان فتركوهما وكان الرسول ( ﷺ ) يصلي ، فلما فرغ من الصلاة ، أشار لأصحابه بأنهما يصدقان القول . فقال لهما ( ﷺ ) : كم القوم ؟ قالا : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندري ، قال : كم ينحرون كل يوم ، قالا : يوماً تسعاً ، يوماً عشراً ، فقال رسول الله ( ﷺ ) : القوم فيها بين التسعمائة والألف[٧٩] .

حيث كان رسول الله ( ﷺ ) إذن يتمتع بقدرة تاثيرية بالغة على المسلمين من أصحابه ومقاتليه . ولم تقتصر هذه القدرة في التاثير على المسلمين حسب ، بل تعدى ذلك الى الحكام والملوك الذين أرسل صلوات الله عليه رسائل لهم يدعوهم الى الإسلام . ومن هذه الرسائل تلك التي وجهها الى النجاشي امبراطور الحبشة والتي قال فيها : « سلام عليك : فاني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم الطيبة البتول الحصينة ، فحملت بعيسى مخلقة من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، واني

أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، تتبعني وتؤمن بالذي جاءني ، فاني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفر ومعه نفر من المسلمين فإن جاروك فأقرهم واني أدعوك وجنودك الى الله فلقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على مَنْ اتبع الهدى »[٨٠] .

كانت شدة تأثير هذه الرسالة عالية في نفس النجاشي ، حيث أجاب يقول : « الى محمد رسول الله . من النجاشي . سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته أحمد الله الذي لا إله إلا هو الذي هدانا للسلام ، أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله . فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض ان عيسى ما يزيد بالرأي على ما ذكرت انه كما قلت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد انك رسول الله صادقاً مصدقاً فقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت لله رب العالمين »[٨١] .

مما تقدم ، نستنتج ان الرسول ( ﷺ ) كان قائداً ناجحاً في التأثير على المقاتلين المسلمين من خلال دقة تصرفاته ، وسلوكه الشخصي المعبّر عن حسن الخلق ، وكذلك من خلال اتسام هذه السلوكية باليقظة والنشاط ، واهتمامه صلوات الله عليه بالقيم الأخلاقية الرفيعة . وان طبيعة وأسلوب كلامه مع أصحابه كانت تترك أثراً بالغاً في نفوسهم فلا يزجر أحداً ، ولا يعبّر عن الغضب الشديد ، بل اتسم كلامه بانتقاء العبارات الدقيقة والبسيطة والإيجابية والمباشرة . حيث كان للعلاقات الإنسانية التي أقامها مع أصحابه ، وتفقده لهم واعتنائه بهم ، الأثر الكبير في كسب ثقتهم واحترامهم والتزامهم بما يمليه عليهم من آداب الحديث ، في مجال غرس مفاهيم الدين الإسلامي الحنيف وبالتالي تعزيز روحهم المعنوية بحيث أصبحوا طاقة كبيرة من العوامل المادية والمعنوية القادرة على الفعل الجهادي المبدع في مجال نشر الدين الإسلامي الجديد . تلك الطاقة المرتكزة على القناعة والطاعة والتعاون المخلص والثقة المطلقة برسول الهدى محمد ( ﷺ ) وما جاء به من الرسالة الإسلامية السمحاء .

## الهوامش

( ١ ) سورة الاحزاب ، الآية ( ٤٥ ) .

( ٢ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٣٢٩ .

( ٣ ) سورة القلم ، الآية ( ٤ ) .

( ٤ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٣٤٨ .

( ٥ ) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ١١١ .

( ٦ ) توماس كارليل ، الأبطال ، تعريب محمد السباعي ، دار الرائد العربي ، ط ٤ ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٦٩ .

( ٧ ) محمود شيت خطاب ، ومضات من نور المصطفى ( ﷺ ) ، مكتبة النهضة ، ط ١٢ ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٥٥ .

( ٨ ) سورة الأحزاب ، الآية ( ٢١ ) .

( ٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٩٠ .

( ١٠ ) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ص ٢٠٧ .

( ١١ ) الكناني ، عز الدين بن محمد بن ابراهيم جماعة الكناني ( ت : ٧٦٧هـ ) ، المختصر الكبير في سيرة رسول الله ( ﷺ ) ، دراسة وتحقيق آسيا لكيبان علي الزهير ، مراجعة د. عبدالقهار العاني ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٨٢ .

( ١٢ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ق ٢ ، صص ١٢٧ - ١٢٩ .

( ١٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٩٠ .

( ١٤ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١١٦ .

( ١٥ ) جيلفورد ، ميادين علم النفس ( النظرية والتطبيقية ) ، جـ ٢ ، أشرف على الترجمة د. يوسف مراد ، ط ٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، صص ٥٦٠ - ٥٦١ .

( ١٦ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

( ١٧ ) توماس كارليل ، الأبطال ، ص ٦٧ .

( ١٨ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٦٢ . واليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩ . وابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ١ ، ص ٢٠٩ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٩ .

( ١٩ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٨٣ . وأحمد محمد عساف ، خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر ، ص ٢٧ .

( ٢٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٥٧ . وابن الاثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٤ .

( ٢١ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٨٣ . وعلي ابراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام ، ص ١٧١ .

( ٢٢ ) وهناك مَنْ يقول سبع وعشرون معركة . أنظر : اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٤٥ وما بعدها . والطبري ، جـ ٢ ، ص ٥١٤ وما بعدها . وسيرة ابن هشام ، جـ ٢ ، وجـ ٣ ، ص ٢٤١ وما بعدها . وتاريخ خليفة بن خياط ، جـ ١ ، ص ١٣ وما بعدها . وأحمد محمد العساف ، خلاصة الأثر ، ص ١١١ وما بعدها .

( ٢٣ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٧ ، الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨ .

( ٢٤ ) ينظر : تاريخ الطبري ، جـ ٢ ، ص ٥٦٧ .

( ٢٥ ) ينظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ ، والطبري ، جـ ٢ ، ص ٥٩٩ .
( ٢٦ ) ينظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٦ ، والطبري ، جـ ٣ ، ص ٥٠ .
( ٢٧ ) ينظر : ابن هشام ، السيرة ، جـ ٤ ، ص ٨٠ . واليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٢ .
( ٢٨ ) الكناني ، المختصر الكبير ، ص ٨٤ .
( ٢٩ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٣٤٩ .
( ٣٠ ) ابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ص ٧٤ .
( ٣١ ) سورة الفتح ، الآية (٢٩) .
( ٣٢ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٨٩ . وابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ص ٢٤ .
( ٣٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٩١ . وابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ص ٢٦ .
( ٣٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٧٣ .
( ٣٥ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٧١ . وانظر : محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي ، أيام العرب في الإسلام ، منشورات المكتبة العصرية ، جـ ٤ ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٣٨ .
( ٣٦ ) الكناني ، المختصر الكبير ، ص ٨٤ .
( ٣٧ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٣ ، ص ٣١٩ .
( ٣٨ ) م. ن. ، جـ ٢ ، ص ٣٥٠ .
( ٣٩ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١١٦ .
( ٤٠ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٧١ .
( ٤١ ) أنظر : اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٥٠ . والطيري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ .
( ٤٢ ) المنذري ، الترغيب والترهيب ، جـ ٣ ، ص ٤٢٠ .
( ٤٣ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، صص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .
( ٤٤ ) المنذري ، الترغيب والترهيب ، جـ ٣ ، ص ٤٢٠ .
( ٤٥ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩ .
( ٤٦ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٣٠ .
( ٤٧ ) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٧) .
( ٤٨ ) الكناني ، المختصر الكبير ، ص ٨٥ .
( ٤٩ ) سورة التوبة ، (٩) والآية (١٢٨) .
( ٥٠ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٧٧ .
( ٥١ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٣٢٨ .
( ٥٢ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٣٣١ .
( ٥٣ ) الالباني ، مختصر صحيح البخاري ، جـ ١ ، ص ١٠ .
( ٥٤ ) النووي ، رياض الصالحين ، ص ٢٤٢ .

( ٥٥ ) سورة الأحزاب ، الآية (٥٣) .
( ٥٦ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٣٣١ .
( ٥٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٤٥٧ .
( ٥٨ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٣٣١ .
( ٥٩ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٥٤ .
( ٦٠ ) الكناني ، المختصر الكبير ، ص ٨٥ .
( ٦١ ) النووي ، رياض الصالحين ، ص ٢٠٧ .
( ٦٢ ) م. ن. ، ٢٠٩ (ومعناه تصدقوا بها إلا كتفها) .
( ٦٣ ) المنذري ، الترغيب والترهيب ، جـ ٢ ، ص ٣٨١ .
( ٦٤ ) م. ن. ، ص ٣٨٣ .
( ٦٥ ) سورة آل عمران ، الآية (١٣٩) .
( ٦٦ ) سورة المائدة ، الآية (٥٦) .
( ٦٧ ) أحمد عبدالرحمن البناء ، منحة المعبود ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ .
( ٦٨ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٨٩ . وابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٧١ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ص ٢١٥ . والكناني ، المختصر الكبير ، صص ١١٨ - ١١٩ . وسمي ( ذو الفقار ) لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر . و ( الرسوب ) من رسب في الماء إذا أسفل و ( المخذم ) وهو القاطع أصبها بهما صنم كان لطي . و ( القضيب ) من قضب الشيء إذا قطعه و ( البتار ) بمعنى القاطع . أما ( الحتف ) فهو الموت .
( ٦٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، صص ٦٢٨ - ٦٣٠ . وانظر ابن هشام ، السيرة ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢ . وابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ١٣٥ . وأحمد محمد عساف ، خلاصة الأثر ، صص ٢٤٧ - ٢٤٨ . ومحمود شيت خطاب ، الرسول القائد ، ١٩٦٠ ، ص ١٧٨ .
( ٧٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٧ .
( ٧١ ) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ٦٥ .
( ٧٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٣٨ . ومنصور علي ناصف ، التاج الجامع ، جـ ٤ ، ص ٣٧٠ .
( ٧٣ ) ابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ص ٢٢ .
( ٧٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٥١ .
( ٧٥ ) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٣ ، صص ٢٣٧ - ٢٣٨ .
( ٧٦ ) صحيح مسلم ، بشرح النووي ، المجلد السادس ، جـ ١٢ ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، ص ٣٧ . وسنن الدارمي ، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي ( ت : ٢٥٥هـ ) ، جـ ١ ، مطبعة الاعتدال ، دمشق ، ١٣٤٩هـ ، ص ٢١٦ . والعسقلاني ، بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، ص ١٦١ .

( ٧٧ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٣ ، ص ٤٦ وما بعدها . والطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥١٤ وما بعدها .

( ٧٨ ) ابن قيم الجوزية ، الفروسية ، ص ١٧ .

( ٧٩ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٦٩ . الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٢٩ .

( ٨٠ ) ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ٧٩٠ .

( ٨١ ) م. ن. ، جـ ٤ ، ص ٧٩١ .

## المبحث الثاني

# الروح المعنوية في معركة تعرضية
# ( نموذج معركة بدر )

إن اختيار معركة بدر في هذا البحث أنموذجاً تطبيقياً لنمط الروح المعنوية التي كانت سائدة في صفوف المقاتلين العرب المسلمين في صدر الإسلام جاء لاسباب عديدة ، أولها انها أول معركة حاسمة يقودها الرسول ( ﷺ ) شخصياً ضد كفار قريش والجيش العربي الإسلامي في بداية تكوينه التنظيمي والتسليحي وتتكلل بالنصر المؤزر ، أما السبب الثاني فكونها المعركة التعرضية الاولى في التاريخ العربي الإسلامي التي حقق بها الجيش العربي الإسلامي زمام المبادأة واحتفظ بها طيلة مدة المعركة ، أما السبب الآخر فيتمثل بكونها أول معركة جهاد مد بها الله عز وجل نفوس المقاتلين بروح معنوية عالية من خلال إشراك الملائكة الكرام للقتال الى جانبهم . لذلك كله وقع اختيارنا على تناول هذه المعركة التاريخية التي تعد بحق معركة معنوية فتحت الابواب للمسلمين لإرساء قواعد الدولة العربية الإسلامية ونشر الدين الجديد ، تلك المعركة التي وقعت يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة من شهر رمضان[1] في السنة الثانية للهجرة . كان كل شيء في بدر ذا دلالة معنوية كبيرة ، فمنذ ان اتخذ رسول الله ( ﷺ ) القرار بالخروج للتعرض على قافلة قريش التجارية بقيادة أبي سفيان بن حرب القادمة من الشام الى مكة . كان اندفاع المقاتلين للقاء الكفار كبيراً ، حيث استجابوا وسارعوا الدعوة لرسول الله ( ﷺ )[2] ، والتي أكد فيها صلوات الله عليه وسلم لهم بان هذه القافلة تشكل غنيمة لهم[3] ، وعوضاً عما أصابهم من ترك أموالهم ومساكنهم وتجارتهم عند الهجرة من مكة الى المدينة المنورة .

خرج رسول الله ( ﷺ ) بثلثمائة وبضعة عشر رجلاً[4] ، في شهر رمضان ، ودفع اللواء الى مصعب بن عمير ، ووضع أمامه رايتين سوداوين إحداهما مع علي بن

أبي طالب - رضي الله عنه - وهي راية العقاب ، أما الثانية فهي راية الأنصار مع سعد بن معاذ[٥] . وبالطبع فان للواء والرايات دلالات معنوية كبيرة كانت وما زالت تؤثر إيجابياً في نفوس المقاتلين . كانت قوات المسلمين تتجه نحو بدر ، وعند وصولها وادي ( ذفران ) قبل بدر أتى رسول الله ( ﷺ ) الخبر عن تحشد قريش ومسيرهم للحرب[٦] . فاخبر قومه واستشارهم ، مشيراً صلوات الله عليه بأن ( لا يستوي القاعدون من المؤمنين عند بدر والخارجون الى بدر )[٧] .

فتحدث أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - فاحسنا الحديث[٨] . أما المقداد بن عمرو ، فاخذ يثير الحمية ويرفع الروح المعنوية في صفوف المسلمين ، ممتدحاً الرسول ( ﷺ ) ومؤكداً وقوفهم خلفه في مسعاه قائلًا : يا رسول الله امضِ لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذهب أنت وربُّكَ فقاتلا إنَّا هاهنا قاعدون ﴾[٩] ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغمار لجالدنا معك دونك حتى نبلغه[١٠] . وفي اشارة الى الأنصار طلب رسول الله (ﷺ) الرأي منهم ، حيث كان صلوات الله عليه يظن ان الأنصار لا تنصره إلا في الدار ( داخل المدينة ) وذلك لانهم اشترطوا عليه ذلك[١١] .

فقام سعد بن معاذ دافعاً كل احتمال جانباً ، موضحاً حب الأنصار لرسول الهدى ( ﷺ ) ، ومؤججاً الطاقة الخفية الكامنة في نفوس قومه ، قائلًا : « لكانك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامضِ يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلَّف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنَّا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله »[١٢] .

في خطبة سعد بن معاذ هذه ، نتذكر ما عرضناه في المبحث الأول من الفصل الاول من بحثنا هذا ، حيث أشرنا الى ان الروح المعنوية تنبعث من الذات البشرية للفرد ، لتؤثر بالمجموع ، كذلك الحال عندما يكون الإنبعاث من المجموع فيؤثر بالفرد . فتتبلور أهمية الروح المعنوية عملياً عندما يتأثر المقاتل بعد قناعته بالقتال ، والقناعة ليست أمراً سهلًا ، بل هو قرار يتولد من نفس المقاتل ، قبل بدء

القتال ، وحين تتولد القناعة بتاثير الروح المعنوية يتولد الدافع والرغبة لخوض الصعاب والمخاطر .

وهكذا كان تاثير خطبة سعد بن معاذ ، فقد رفعت من الروح المعنوية للمقاتلين بنفس الوقت الذي رفعت من معنويات الرسول القائد ( ﷺ ) ، فسرَّ بقوله ونشطه حديثه ثم قال صلوات الله عليه مبشراً المسلمين بالنصر وداعماً لروحه المعنوية : « سيروا على بركة الله وابشروا ، فان الله قد وعدني إحدى طائفتين والله لكاني أنظر الى مصارع القوم »[١٣] . وبذلك تتاكد العلاقة التاثيرية بين القائد ومقاتليه في تعزيز الروح المعنوية كل باتجاه الآخر . فتحرك ذلك الجيش الصغير بعدده وعدته . الكبير بإيمانه وجهاده وروحه المعنوية ، من وادي ذفران الى موقع المعركة في ماء بدر ، ثلثمائة رجل من المؤمنين يقابلون تسعمائة آلاف من الكافرين[١٤] .

وقبل حركتهم أنعم الله عز وجل على المقاتلين بالامان قبل المعركة من خلال إلقائه عليهم النعاس ليخلصهم من رهبة عدوهم وقلة عددهم وفي الوقت نفسه طهَّرهم بالماء ، حيث أمطر الله عز وجل مطراً شديداً فشرب المسلمون وتطهروا ، وثبت الرمل حين أصابه المطر فمشوا عليه ودوابهم باتجاه الكفار لقتلهم[١٥] ، وفي ذلك قال تعالى : ﴿ إذ يغشيكم النعاس امنةمنه وننزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان ويربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ﴾[١٦] .

كانت هيئة المقاتلين العرب المسلمين تؤكد إصرارهم على القتال والنصر ، وتفصح عن الروح المعنوية العالية التي كانوا يتمتعون بها ، فالنصر حُسِمَ في قلوبهم بمجرد مسيرهم الى موقع المعركة وقبل نشوبها ، ويؤكد ذلك عمير بن وهب الذي بعثت به قريش ليستطلع قوات المسلمين فوصفهم بعد ان أشار لقومه بأن عددهم بحدود ثلثمائة رجل قائلًا : « رأيت يا معشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى ان يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلًا منكم ، فإذا أصابوا منكم أعداءهم فما خير العيش بعد ذلك . فروا رأيكم »[١٧] . فكانت الحرب النفسية التي تبناها عمير هذا ضد قومه دون أية دراية بتاثيرها السلبي ، ذات الامر الواضح على خفض الروح المعنوية لكفار قريش .

أشار الله عز وجل الى المقاتلين بعد إنتهاء المعركة ، بانه تعالى هو الذي حدد موعد معركة بدر ليقضي لهم أمر النصر المؤزر على المشركين ، وجاء ذلك في قوله

تعالى : ﴿ إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولًا ليهلك مَنْ هلك عن بيِّنةٍ ويحيي مَنْ حيّ عن بيِّنةٍ وان الله لسميع عليم ﴾[١٨] وكانت هذه الإشارة ذات تأثير إنعكاسي معنوي للمقاتلين العرب المسلمين بتعزيز ثقتهم بالنصر في المعارك اللاحقة .

كان لموقف حمزة بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ في مبارزة كل من شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قبيل بدء المعركة أثر واضح على الروح المعنوية للمقاتلين المسلمين فلم يمهلا خصميهما حتى قتلاهما أما عبيدة بن الحارث والذي بارز عتبة بن ربيعة ، فجرح كل منهما الاخر ، ثم وثب الحمزة وعلي فقتلا عتبة[١٩] . وكان لشعر حمزة بن عبدالمطلب ـ رضي الله عنه ـ في وصف يوم بدر الاثر الكبير في رفد الروح المعنوية للمقاتلين بعد ماثرة المبارزة فقال :

ألَمْ تَـرَ أمراً كـان مِنْ عَجَبِ الدهـرِ
وللحَيْنِ أسبـابٌ مُبَيَّنـة الامـرِ

ومـا ذاكَ إلا ان قـومـاً أفـادهم
فحـانـوا تـواصي بـالعقـوقِ والكفـرِ

عشيَّـة راحـوا نحـو بـدرٍ بجمعهم
فكـانـوا رهـونـاً للـركيـة مِنْ بـدرِ

وكنـا طَلَبنا العِيـرَ لم نَبغِ غيـرهـا
فسـاروا إلينـا ، فـالتقينا على قـدرِ

فلمـا التقينـا لم تكن مثنـويـةٍ
لنـا غيـر طعنٍ بـالمثقفـة السُّمـرِ

وضـربٍ ببيضٍ يختلي الهـامَ حَـدُّهـا
مشهَّـرة الالـوان بينـة الاثـرِ[٢٠]

ونحن تـركنـا عُتبـةَ ثـاويـاً
وشيبـة في القتلى تجرهم من الجفَـرِ

وعمـرو ثوى فيمَنْ ثـوى من حمـاتهم
فشقت جيـوب النـائحـاتِ على عمـرو

جيــوب نســـاء من لـــؤي بن غـــالبِ

كـــرامٌ تفـــرَّعن الـــذوائب مِنْ فهـــرِ

أولئـــك قـــومٌ قُتلـــوا في ضَـــلالِهم

وخلّـــو ، لـواء غيـــر مُحتضـــر النصـــرِ

ثم تزاحف الطرفان ودنا بعضهم من بعض فامر رسول الله ( ﷺ ) أصحابه بان لا يحملوا حتى يامرهم ثم قام يعدل الصفوف وفي يده سهم ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص ﴾[٢١] . وكان صلوات الله عليه وسلم يعدل الصفوف بالسهم ، فمر بسواد بن غزية من الانصار وهو متقدم من الصف فطعن في بطنه بالسهم وقال : استو يا سواد . فقال : يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل ، وطلب من الرسول ( ﷺ ) أن يقتص له من نفسه فكشف رسول الله ( ﷺ ) عن بطنه وقال : استعد[٢٢] ،فقبّل سواد بطن رسول الله ( ﷺ ) قائلًا : يا رسول الله ، أردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك[٢٣] . ويبرز مستوى الروح المعنوية من حديث سواد الذي هيأ نفسه للفداء والاستشهاد دون أي اكتراث .

وفي هذه الاثناء وبعد ان قام رسول الله ( ﷺ ) بتنظيم الصفوف ، عاد الى خيمته يناشد الله عز وجل بعد ان قارن بالعدد بين المسلمين والكافرين ، فاستقبل القبلة وعليه رداؤه وازاره قائلًا : اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الارض أبداً . واستمر يستغيث ربه عز وجل ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فأخذ رادءه ثم التزمه من ورائه فقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك ، فانه سينجز لك ما وعدك[٢٤] .

فانزل الله عز وجل : ﴿ إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالفٍ من الملائكة مردفين ﴾[٢٥] . فخرج رسول الله ( ﷺ ) الى المقاتلين مستبشراً بالنصر قائلًا : « والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلًا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة »[٢٦] . فكان هذا الحديث الشريف ذا تاثير معنوي كبير على المقاتلين حتى ان عمير بن الحمام كان في يده تمرات ياكلهن ، ما إن سمع هذا الحديث حتى قال : بخ بخ ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى أُستشهد وهو يرتجز قائلًا :

ركضـــــاً الى اللّـــــهِ بغيـــــر زادِ

إلا التقى وعمـــــــل المعـــــادِ

والصبـــــر في اللّـــــهِ على الجهـــادِ

وكـــــل زادٍ عـــــرضـــــة النفـــاد

غيـــــر التقى والبِـــرِ والـــرشـــادِ[٢٧]

أليس هذا الحدث يمثل أعلى مستويات ارتفاع الروح المعنوية في صدر الإسلام ؟ انها الروح المستندة الى مرتكزي الإيمان والجهاد اللذين كان لهما الاثر البالغ في تحديد مفهوم الروح المعنوية وفي بلورة العقيدة العسكرية الإسلامية .

وكان رسول الله ( ﷺ ) أخذ حفنة من التراب والحصى ، فاستقبل بها قريشاً ثم قال : شاهت الوجوه ، ثم نفحهم بها وحرّض أصحابه قائلًا لهم شدوا[٢٨] ، فاندفع المقاتلون المسلمون بروح معنوية عالية وبإرادة قوية لا تلين وصبر عالٍ . وفي هذا أنزل الله عز وجل الآية الكريمة : ﴿ فلم تقتلوهم ولكنَّ اللّهَ قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكنَّ اللّهَ رمى وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً ان الله سميع عليم ، ذلك وان الله موهن كيد الكافرين ﴾[٢٩] . حيث ان قبضة التراب والحصى التي رماها رسول الله ( ﷺ ) في وجوه الكافرين ، دفعها الله عز وجل عليهم ، بحيث لم يبقَ مشرك إلا دخل في عينيه منها ، ثم ابتدرهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم[٣٠] .

حدد رسول الله ( ﷺ ) شعاراً خاصاً للمسلمين يوم بدر ، وكان ( أحدٌ أحدٌ )[٣١] . وبالطبع فان هذا الشعار كان ذا مدلولات مادية ومعنوية مهمة . فعلى مستوى المدلول المادي ، كان يعني التعارف بين المقاتلين المسلمين خلال خضم وطيس القتال وتقديم النجدة لمَنْ يحتاجها منهم ، لعدم توفر الزي الموحد للجميع دلالة للتعارف . أما من حيث المدلولات المعنوية ، فان هذا الشعار يعني التوحيد والإيمان من ناحية ، ويرفع مستوى الروح المعنوية عند سماعه لتأكيد التماسك بين المقاتلين ، وكان لاشارة الله عز وجل في تعزيز المسلمين الاثر المعنوي الكبير ،فقد جاء جبريل ـ عليه السلام ـ الى النبي ( ﷺ ) فقال ( ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال من أفضل المسلمين ، قال وكذلك مَنْ شهد بدراً من الملائكة )[٣٢] .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ان النبي ( ﷺ ) قال يوم بدر : « هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب »[٣٣] .

جاءت الكثير من إشارات المقاتلين المادية التي تؤكد اشتراك الملائكة في هذه المعركة الخالدة . فعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ انه قال : « كانت سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيضاء قد أرخوها على ظهورهم »[٣٤] . وعن ابن اسحاق قال أعلن رجل من بني مازن بن النجار وكان شهد معركة بدر : « اني لاتبع رجلًا من المشركين يوم بدر لاضربه ، إلا وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت انه قد قتله غيري »[٣٥] . وعن ابن عباس قال : « ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الايام ، وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عدداً ومدداً لا يضربون »[٣٦] . وعن ابن اسيد مالك بن ربيعة الذي شهد بدراً أيضاً قال بعد ان ذهب بصره : « لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشُعب الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك فيها ولا أتمارى »[٣٧] . وعن ابن عباس أيضاً : « حدَّثني رجل من بني غفار ، قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا من جبل يشرف على بدر ، ونحن مشركان ، ننتظر الوقعة على مَنْ تكون الدائرة ، فننهب مع مَنْ ينتهب وقال : فبقينا في الجبل ، إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلًا يقول : أقْدم حيزوم ، فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثم تماسكت »[٣٨] .

وعن عبدالرحمن بن عوف قوله : « رأيت يوم بدر رجلين عند النبي ( ﷺ ) أحدهما عن يمينه وعن يساره أحدهما ، يقاتلان أشد القتال ، ثم تلثهما ثالث من خلفه ثم ربعهما رابع أمامه »[٣٩] .

وفيما يخص أسر العباس بن عبدالمطلب في هذه المعركة ، فكان الذي أسره أبو اليسر كعب بن عمرو ، وكان أبو اليسر رجلا مجموعاً ، وكان العباس رجلا جسيماً ، فقال رسول الله ( ﷺ ) لابي يسر : « كيف أسرت العباس يا أبا اليسر ؟ فقال : يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا . قال رسول الله ( ﷺ ) : لقد أعانك عليه ملك كريم »[٤٠] .

يبدو لنا من الاحاديث الواردة آنفاً ، انها عبّرت عن موقف معنوي مرتفع للمقاتلين المسلمين كان لها التاثير البالغ في نفوسهم كما انها عززت من الثقة بالنصر في المعارك اللاحقة التي خاضها المسلمون بعد معركة بدر . وفضلا على ما تقدم فان من ثمرات الصبر والثبات في معركة بدر الكبرى أيضاً هو الوعد بالجنة وقناعة المقاتلين المسلمين المطلقة بهذا الثواب وهذه النتيجة ، ولذلك تعززت روحهم المعنوية بمزيد من الطاقة الكامنة في نفوسهم . ومن نماذج هذا الوعد ان حارثة

أصيب يوم بدر وهو غلام ، فجاءت أمه الى النبي ( ﷺ ) فقالت : « يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب وإن تك الاخرى ترى ما أصنع . فقال صلوات الله عليه : ويحك أوَهبلت أو جنة واحدة هي انها جنان كثيرة ، فانه في جنة الفردوس »[41] .

نزلت سورة الانفال بعد معركة بدر ، وفيها تصوير بارع لتلك المعركة العظيمة الخالدة حيث قصت السورة الكريمة حديث القتال وأشارت الى آفاق النصر فيه ، مع بيان أسباب دحر المشركين للموازنة بين نصر الإيمان وخذلان الشرك ، لذلك كانت هذه السورة المباركة مصدراً عظيماً من مصادر الروح المعنوية للمسلمين في كل زمان ومكان ، وفي كل موقف جهادي يتعرضون إليه . وكنا قد أشرنا لبعض هذه الآيات الكريمات في متن البحث . في مجال تعزيز المقاتلين بالملائكة ، قال تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربَّكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألفٍ من الملائكة مردفين ﴾[42] والتي نزلت بعد دعاء الرسول ( ﷺ ) قبيل نشوب القتال واختلف الرأي حول عدد الملائكة ففي مجال تفسير كلمة ( المردفين ) بمعنى التعاقب أي في كل وجبة ألف من الملائكة ، كما أشار لذلك علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنه ـ في قوله : « نزل جبريل في ألف من الملائكة عن ميمنة النبي ( ﷺ ) وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميسرة الرسول ( ﷺ ) وأنا الميسرة »[43] . وفي مجال آخر جاءت كلمة ( المردفين ) بمعنى الدعم فعن ابن عباس ـ رضيَ الله عنه ـ قال : « أمد الله نبيه ( ﷺ ) والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة »[44] .

وفي كل الاحوال ، فان الأساس في هذه الآية الكريمة هو إشارة الله عز وجل بدعم المسلمين في القتال بالملائكة وما له من تاثير بالغ في نفوسهم وتاجيج كبير لروحهم المعنوية وعزز الله عز وجل هذا المنهج في الآية اللاحقة بقوله تعالى : ﴿ وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله ان الله عزيز حكيم ﴾[45] .

يتجلى الدعم المعنوي فيها ، حيث وعد الله عز وجل المؤمنين بالنصر الحاسم وبشرهم به ، فانجز وعده ويستمر تاكيد الله تعالى دور الملائكة في هذه المعركة فنجد نعمة أخرى تجلت في إيحاء الله عز وجل الى الملائكة الذين أنزلهم لنصر الرسول ( ﷺ ) والدين الإسلامي الحنيف والمقاتلين المسلمين[46] . بقوله تعالى :

﴿ إذ يوحي ربُّكَ الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾[٤٧] . وبالفعل حصلت مشاهدات حية لهذا التوجيه الإلهي ، فعن ابن عباس قال : « بينما رجل من المسلمين يشتد في اثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم ، إذ نظر الى المشرك أمامه فخر مستلقياً ، قال : فنظر إليه فإذا هو قد حطم وشق وجهه فضربه السوط ، فجاء الانصاري ، فحدث ذلك رسول الله ( ﷺ ) قال : صدقت ذاك من مدد السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين[٤٨] . وفي ذات المجال يؤكد الله عز وجل ان الشيطان قد زين للمشركين قوتهم وعددهم وأشار لهم بأنهم هم الغالبون قبل نشوب المعركة ولكنه ما إن رأى الملائكة ينزلون امداداً للمسلمين حتى تخلى عنهم وتراجع مدبراً وفي ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني برىء منكم واني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾[٤٩] .

ومن الدلائل القرآنية الاخرى على فعل الملائكة بالمعركة قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾[٥٠] . وعن هذه الآية الكريمة قال ابن عباس : إذا أقبل المشركون بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف وإذا ولوا أدركتهم الملائكة يضربون أدبارهم ، وعن الحسن البصري قال : قال رجل يا رسول الله : اني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشوك ، قال : ذاك ضرب الملائكة[٥١] .

وجاءت آيات سورة الانفال لتعزيز الروح المعنوية في مجالات أخرى شتى ، فقد جاء الأمر الإلهي بقوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فان الله بما يعملون بصير ، وإن تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير ﴾[٥٢] . وهنا يدعو الله عز وجل المؤمنين الى القتال لتوحيد الله خالصاً دون شرك ، والعمل على ذلك واستذكار نعمة الله عز وجل الذي أعزهم ونصرهم في يوم بدر بالرغم من قلة عددهم فهو نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير[٥٣] . ويعزز المولى تعالى روحهم المعنوية لتحمل الصبر والثبات في القتال بقوله تعالى : ﴿ يا أيُها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلَّكم تفلحون ﴾[٥٤] . كما حرض الله عز وجل المسلمين على خوض غمار القتال مبشِّراً إياهم بالنصر حتى إذا كانوا قلة في قوله

تعالى : ﴿ يا أيُها النبيُّ حرِّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾[٥٥] .

هكذا وصف القرآن الكريم في سورة الانفال هذه المعركة الخالدة وأشارت سورة آل عمران الى هذا الوصف أيضاً في قوله تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلَّكم تشكرون ﴾[٥٦] .

أما الشعر الذي تغنّى به حسان بن ثابت شاعر الرسول محمد ( ﷺ ) في هذه المعركة فقد أعطاها وصفاً دقيقاً معبّراً عن الشجاعة التي تحلى بها المقاتلون المسلمون ، فضلا على كونه أضحى وسيلة حماسية لرفد هذه الروح في المعارك الاخرى التي تلت معركة بدر .

ومن شعره هذا قوله :

قتلنا سراة القوم عند مجالنا
فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهرِ

قتلنا أبا جهلٍ وعتبة قبله
وشيبة يكبو لليدين وللنحرِ

قتلنا سويداً ثم عتبة بعده
وطعمة أيضاً عند ثائرة القترِ

تركناهم للعاويات ينبنهم
ويصلون ناراً بعد حامية القعرِ[٥٧]

وقوله أيضاً :

سمونا يوم بدر بالعوالي
سراعاً ما تضعضعنا الحتوفُ

فلم ترَ عصبة في الناس أنكى
لمَنْ عادوا إذا لقحت كشوفُ

ولكنّا توكلنا وقلنا
مآثرنا ومعقلنا السيوفُ

لقينـــــاهم بهـــا لمـــا سمـــونـــا
ونحن عصـــابـــــة وهم ألــــوفُ[٥٨]

## الهوامش

( ١ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٥ . وهناك آراء أخرى حول يوم المعركة .
( ٢ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، صص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ . وابن سيد الناس ، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الشافعي ( ت : ٧٣٤هـ ) ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ب.ت. ، ص ١٦ .
( ٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٢٨ .
( ٤ ) م. ن ، ص ٥٣٣ . وانظر : البخاري ، صحيح ، جـ ٥ ، ص ٩٤ .
( ٥ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢٦٤ .
( ٦ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٢٤ .
( ٧ ) البخاري ، صحيح ، جـ ٥ ، ص ٧٧ .
( ٨ ) م. ن ، جـ ٢ ، ص ٥٢٤ . وانظر : ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦ . وعيون الأثر ، ابن سيد الناس ، جـ ١ ، ص ٢٤٧ . ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، أيام العرب في الإسلام ، ص ١٣ .
( ٩ ) سورة المائدة ، الآية ( ٢٤ ) .
( ١٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٢٤ و ( برك الغمار ) : هو الحبشة . وانظر : ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦ و ( برك الغمار ) جاء يعني موقع في اليمن . وانظر : عيون الأثر ، جـ ١ ، ص ٢٤٧ ، وخلاصة الأثر ، ص ١٢٧ .
( ١١ ) الواقدي ، مغازي رسول الله ( ﷺ ) ، ص ٣٤ . وابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٦٧ .
( ١٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٧٥ .
( ١٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٣٥ . وابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ٢٦٢ . وابن خلدون : جـ ٢ ، ص ٧٤٩ .
( ١٤ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦٩ .
( ١٥ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، صص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .
( ١٦ ) سورة الأنفال ، الآية ( ١١ ) .

( ١٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٣٨ . وابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ص ٢٥٣ . و ( البلايا ) : جمع بلية وهي الناقة التي ابلاها السفر . ( نواضح ) : هي الإبل التي يسقى عليها الماء . وأحمد محمد عساف ، خلاصة الأثر ، ص ١٣٤ .

( ١٨ ) سورة الأنفال ، الآية ( ٤٢ ) .

( ١٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٤٠ . وابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٧ .

( ٢٠ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٣ ، صص ٨ ـ ٩ . الحين : الهلاك ، أفانهم : أهلكهم ، نواصي : من الوصية ، الركية : البئر غير المطوية ، مثنوية : الرجوع والإنصراف ، المثقفة : الرماح المقومة ، يختلي : يقطع ، الهام : الرؤوس ، الأُثر ـ بضم الهمزة ـ : وشي السيف ، ثاوياً : مقيماً ، تجرهم : تسقط ، الجفر : البئر الواسعة غير المطوية ، تفرعن : علون ، النوائب : الاعالي . وانظر : ابن دريد ، جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ( ت : ٣٢١هـ ) ، تحقيق د. رمزي منير بعلبكي ، جـ ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ٤٦٢ .

( ٢١ ) سورة الصف ، الآية ( ٤ ) .

( ٢٢ ) استقد : اقتص . ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ .

( ٢٣ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، صص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

( ٢٤ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ . الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٤١ . وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ .

( ٢٥ ) سورة الأنفال، الآية ( ٤ ) .

( ٢٦ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ .

( ٢٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٤١ . وانظر : ابن الأثير ، الكامل في التأريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٨ . وانظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ٢٧٧ .

( ٢٨ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٠ .

( ٢٩ ) سورة الأنفال ، الآية (١٧ ـ ١٨) .

( ٣٠ ) حسين محمد مخلوف ، صفوة البيان لمعاني القرآن ، ط ٣ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م ، ص ٢٣٦ .

( ٣١ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧ .

( ٣٢ ) البخاري ، صحيح ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ .

( ٣٣ ) م. ن ، جـ ٥ ، ص ١٠٣ .

( ٣٤ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .

( ٣٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٤٤ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .

( ٣٦ ) الواقدي ، مغازي الرسول ( ﷺ ) . ص ٥٧ . ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .

( ٣٧ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ٢٨١ .

( ٣٨ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٤٤ . ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥ .

( ٣٩ ) الواقدي ، مغازي الرسول ( ﷺ ) ، ص ٥٧ .
( ٤٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٤٩ .
( ٤١ ) البخاري ، صحيح ، جـ ٥ ، صص ٩٨ ـ ٩٩ . والحارثة : هو ابن سراقة بن الحارث . أنظر : ابن هشام ، جـ ٢ ، ص ٣٦٥ .
( ٤٢ ) سورة الأنفال ، الآية (٩) .
( ٤٣ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ .
( ٤٤ ) م. ن، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ .
( ٤٥ ) سورة الانفال ، الآية (١٠) .
( ٤٦ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٢٥٤ .
( ٤٧ ) سورة الانفال ، الآية (١٢) .
( ٤٨ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ . منصور علي ناصف ، التاج الجامع للاصول ، جـ ٤ ، ص ٤٠٩ .
( ٤٩ ) سورة الانفال ، الآية (٤٨) .
( ٥٠ ) سورة الانفال ، الآية (٥٠) .
( ٥١ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٢٥ .
( ٥٢ ) سورة الأنفال ، الآيات (٣٩ ، ٤٠) .
( ٥٣ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٣٢٧ .
( ٥٤ ) سورة الأنفال ، الآية (٤٥) .
( ٥٥ ) سورة الأنفال ، الآية (٦٥) .
( ٥٦ ) سورة آل عمران ، الآية (١٢٣) .
( ٥٧ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٢ . و ( سراة القوم ) : ساداتهم وأخيارهم ، يكبو : يسقط وثائرة القتر : ما ثار من الغبار وارتفع ، العاويات : الذئاب والسباع . م. ن ، جـ ٣ ، ص ٢٢ .
( ٥٨ ) م. ن جـ ٣ ، ص ٢٣ . وما تضعضعنا : ما تنلنا أو تنقص من شجاعتنا و ( لقحت ) : حملت ، و ( الكَشوف ) ـ بفتح الكاف : هي الناقة التي يضربها في الوقت الذي لا يشتهي فيه الضراب . و ( المعقل ) : المستنقع الذي يلجأ إليه . و م. ن ، صص ٢٣ ـ ٢٤ .

المبحث الثالث

# الروح المعنوية في معركة دفاعية ( انموذج معركة الخندق )

تعد معركة الخندق واحدة من المعارك الدفاعية النموذجية الناجحة في تاريخ الإسلام ، تميزت باستنادها الى مانع صناعي ، وبقلة عدد المدافعين المسلمين نسبة الى قوات المشركين واليهود ، فضلا على المدد الإلهي الذي دعم الله عز وجل به المؤمنين ، فحققوا الانتصار الكبير . حدثت معركة الخندق في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة[١] ، بين المسلمين من جهة بقيادة الرسول محمد ( ﷺ ) ، وتحالف المشركين مع يهود بني النضير من جهة أخرى[٢] . حيث قام يهود بني النضير بعد ان أمر رسول الله ( ﷺ ) بطردهم من المدينة المنورة[٣] . بتحريض زعماء قريش في مكة على مقاتلة المسلمين ، وتحركوا أيضاً على كل من زعماء بني غطفان وأشجع وبني أسد وبني سليم وفزارة[٤] .

فتشكل هذا الحلف الذي هم يهود بني قريظة الذين كانوا يقطنون جنوب المدينة المنورة بالقرب من مواقع المسلمين بعد ان نقضوا عهدهم مع المسلمين[٥] . ولذلك سميت هذه الحركة أيضاً بمعركة الاحزاب . ولهذا الحجم الكبير من الاعداء وبعد تقدير موقف دقيق لطبيعة الارض وحجم قوات الطرفين ، اتخذ الرسول القائد محمد ( ﷺ ) قراره بتبني العمل الدفاعي من خلال التحصن في المدينة المنورة والدفاع عنها بحفر الخندق حول المدينة[٦] .

كان قرار انتخاب موقع الخندق موفقاً من الناحية العسكرية ، حتى في النظرة المعاصرة ، فالمدينة المنورة محاطة من جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والجنوبية بمرتفعات تسمى الحرات ، وهي حرة واقم في الشرق وحرة الوبرة في الغرب الحرة الجنوبية ، وتشكل هذه الحرات مانعاً طبيعياً تجاه المشاة والخيالة ، وهي الاسلحة الرئيسة في ذلك الوقت . ومن ناحية أخرى فان الجزء الجنوبي والجنوب

الشرقي والجنوب الغربي من المدينة المنورة عبارة عن دور متصلة وبساتين ممتدة ومتصلة بعضها ببعض ، فشكلت سوراً منيعاً تجاه قوات المشركين[٧] . وتضمنت خطة المسلمين أيضاً وضع النساء والشيوخ والاطفال في حصن ( بني حارثة ) داخل المدينة لحمايتهم[٨] . الأمر الذي له الاثر الكبير في دعم الروح المعنوية للمقاتلين من خلال الاطمئنان على عوائلهم خلال الحصار والقتال . ولم يقتصر وضع النساء والشيوخ في حصن بني حارثة لحمايتهم فحسب ، بل أوكلت لهم على ما يبدو مهمة المراقبة والحماية للجناح الذي هم فيه . فلما أرسل بنو قريظة شخصاً منهم للاستطلاع ومعرفة المسلمين في المدينة المنورة ، وعند تقربه من الحصن ، نزلت إليه صفية بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ( ﷺ ) بعمود ، فضربته به حتى قتلته[٩] .

كان عدد المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل[١٠] . بينما بلغ عدد قوات المشركين أكثر من عشرة آلاف رجل[١١] .

ومن هنا يمكن أن تتجلى لنا أهمية الروح المعنوية كعامل مضاف لعامل القوة العددية الإسلامية من أجل تحقيق التفوق على المشركين .

باشر المسلمون بحفر الخندق وعمل رسول الله ( ﷺ ) معهم في الحفر ترغيباً للمسلمين في الاجر ، وتعزيزاً لروحهم المعنوية[١٢] .

حيث كان صلوات الله عليه يرفع من الروح المعنوية للمقاتلين خلال مرحلة حفر الخندق بسبل متعددة أهمها تفقده المستمر للمقاتلين ، ومنها في يوم خرج الى الخندق ، فإذا المهاجرين والانصار يحفرون في غداة باردة ، وكانوا يشعرون بالجوع والبرد الشديدين ، فقال رسول الله ( ﷺ ) : اللهم ان العيش عيش الاخرة ، فاغفر للانصار والمهاجرة ، فقالوا له مجيئين

نحن الـــــذين بـــــايعـــوا محمـــــدا

على الجهـــــاد مـــــا بقينـــــا أبـــــدا[١٣]

وكان رسول الله ( ﷺ ) ينقل التراب يوم الخندق حتى وارى عنه الغبار جلدة بطنه ، معززاً معنويات مقاتليه . فضلا على ما تقدم فقد ظهرت خلال مرحلة حفر الخندق كثيراً من المآثر والمواقف الرافدة للروح المعنوية للمقاتلين ، فكان العون الاكيد لتذليل الصعاب المحيطة . وحقاً برزت تلك الطاقة الكامنة الخفية المولّدة للعوامل المادية في تجاوز المخاطر والصعاب الممثلة بالخوف والبرد والجوع والتعب الذي أصابهم في معركة الخندق[١٤] والتي لولا تلك الطاقة ، لتعذر على المسلمين الصمود والثبات

تجاه هذه الظروف الصعبة . فتم حفر الخندق الذي خصص وصمم ونفذ لمجابهة قوة عددية كبرى نسبة الى قوات المسلمين .

ولما قام المقاتلون بحفر الخندق ، كان عمر بن عوف وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في حفر أربعين ذراعاً من الخندق ، حيث كان رسول الله ( ﷺ ) قد جعل حفر أربعين ذراعاً لكل عشرة مقاتلين[١٥] . وفي هذا الجزء من الخندق ظهرت صخور بيضاء كسرت حديد المعاول ، وصعب على كل مَنْ يليها من المقاتلين ، فلما رآها رسول الله ( ﷺ ) ، نزل فاخذ المعول من يد سلمان الفارسي ، فضرب به الصخرة ضربة صدعها ، ولمعت منها برقة[١٦] . كأنها مصباح من جوف بيت مظلم ، فكبَّرَ رسول الله ( ﷺ ) وكبَّرَ المسلمون . ثم ضربها ثانية فصدعها ، ولمع منها برقة أخرى مماثلة ، فكبَّر رسول الله ( ﷺ ) وكبَّر المسلمون . ثم ضربها ضربها الثالثة فكسرها ، ولمع منها برقة أخرى مماثلة ، فكبَّر رسول الله ( ﷺ ) وكبَّر المسلمون[١٧] . فقال سلمان : بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط . فما هذا الذي رأيت لمع وأنت تضرب[١٨] . فالتفت رسول الله ( ﷺ ) الى القوم فقال : وهل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله بابينا أنت وأمنا لقد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج فرأيناك تكبِّر فنكبِّر ولا نرى شيئاً غير ذلك . قال : « صدقتم ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، فاخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، فاخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها . ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق منها الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، فاخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها فابشروا يبلغهم النصر ، وابشروا يبلغهم النصر ، وابشروا يبلغهم النصر »[١٩] . فاستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعد صادق بار وعدنا النصر بعد الحصر ، فطلعت الأحزاب فقال المؤمنون : « هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً »[٢٠] . وقال المنافقون : ألا تعجبون يحدثكم ويمنّكم ويعدكم الباطل ، يخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وانها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا[٢١] . وأنزل الله عز وجل : ﴿ وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾[٢٢] .

كان لهذه المآثر المعنوية العظيمة الاثر البالغ في رفع الروح المعنوية للمقاتلين وزيادة درجة إستعدادهم لخوض غمار المعركة بانتصار حسم في صدورهم سلفاً . وقد ظهر النفاق والمنافقون في هذه المعركة وتخاذلوا خلال حفر الخندق ، حيث تسلل قسم منهم الى أهلهم بغير علم من رسول ( ﷺ ) ، بينما بقي المسلمون المؤمنون يستاذنون رسول الله ( ﷺ ) عندما تكون لهم حاجة ، فإذا قضيت حاجتهم عادوا الى ما كانوا فيه من عملهم ، رغبة الخير ، واحتساباً له[٢٢] . فانزل الله تعالى في أولئك المؤمنين : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ، ان الذين استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمَنْ شئت منهم ، واستغفر لهم الله ، ان الله غفور رحيم ﴾[٢٣]. أما المنافقون الذين كانوا يتسللون في العمل فقال فيهم تعالى : ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾[٢٤] .

ويبين لنا ذلك ان انضباط المؤمنين والتزامهم برغم التعب والبرد والمصاعب نتجت عن ذلك الروح المعنوية العالية التي تحلوا بها . ومن المواقف الصعبة التي ظهرت في حفر الخندق أيضاً هو اعتراض كدية ( قطعة أرض صلبة ) للمقاتلين خلال حفرهم ، واشتدت عليهم ، فشكوها الى رسول الله ( ﷺ ) فدعا بإناء من ماء ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ، فيقول مَنْ حفرها : فوالذي بعثه بالحق نبياً ، لانهالت حتى عادت كالكثيب ، لا ترد فأسـ ولا مسحاة[٢٥] .

مما تجدر الإشارة إليه في هذا البحث ان هناك ماثرة معنوية أخرى برزت في مرحلة حفر الخندق تمثلت في ان ابنة لبشير بن سعد قالت : دعتني أمي عمرة بنت رواحة ، فاعطتني حفنة من تمر في ثوبي ، ثم قالت : أي بنية ، اذهبي الى أبيك وخالك عبدالله بن رواحة بغدائهما قالت : فاخذتها ، فانطلقت بها فمررت برسول الله ( ﷺ ) وأنا التمس أبي وخالي ، فقال : تعالي يا بنية ما هذا معك ؟ قالت : فقلت : يا رسول الله ، هذا تمر ، بعثتني به أمي الى أبي بشير بن سعد ، وخالي عبدالله بن رواحة يتغديانه ، قال : هاتيه ، قالت : فصببته في كفي رسول الله ( ﷺ ) ، فما ملاتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لرجل عنده : اصرخ في أهل الخندق . أن هلمُ الى الغداء . فاجتمع أهل

الخندق عليه ، فجعلوا ياكلون منه ، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه ، وانه ليسقط من أطراف الثوب[٢٦] .

ومن المآثر الاخرى ان جابر بن عبدالله كان يعمل في حفر الخندق ، وكانت لديه شاة ضعيفة ، فامر زوجته بطحن شيء من الشعير بعد ان ذبح الشاة وتقديمها الى رسول الله ( ﷺ ) ، فقاما بشيها وعمل الخبز . وفي المساء وعندما أراد رسول الله ( ﷺ ) الإنصراف عن الخندق ، دعاه الى البيت بعد ان أشار له بطبيعة الدعوة قائلا : يا رسول الله اني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير ، فاحب أن تنصرف معي الى منزلي . وإنما أراد أن ينصرف معه رسول الله ( ﷺ ) وحده . فوافق الرسول ( ﷺ ) ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله الى بيت جابر بن عبدالله . فاقبل رسول ( ﷺ ) ، وأقبل الناس معه ، فجلس فاخرجوها له ، فبرك وسمَّى الله ، ثم أكل وتواردها الناس ، وكلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها[٢٧] .

حدد رسول الله ( ﷺ ) شعاراً للمعركة يتعارف به أصحابه وينهلون منه معاني الدعم لروحهم المعنوية . وكان هذا الشعار ( حم ، لا ينصرون )[٢٨] . وكان صلوات الله عليه يدعو الله عز وجل على الاحزاب بقوله : « اللهم مُنْزِل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم »[٢٩] . وكان لهذا الشعار والدعاء أثر كبير في نفوس المقاتلين ، فتعززت عزيمتهم وارتفعت روحهم المعنوية ، وأعطتهم دافعاً مهماً لمجابهة الاعداء الذين ظلوا يحاصرون المسلمين عبر الخندق قرابة شهر[٣٠] . ولم يكن بينهم إلا الرمي بالنبل ، واشتد البلاء على المسلمين كما قال تعالى : ﴿ هنالك ابتليَ المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديداً ﴾[٣١] .

فلما طال الامر على الناس أراد الرسول ( ﷺ ) أن يستخدم الإجراءات السياسية زيادة على الإجراءات العسكرية أيضاً لحسم الموقف مع الاعداء فبعث الى كل من عيينة بن حصن والحارث بن عوف بن أبي حارثة وهما قائدا غطفان ، فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمَنْ معهما عن رسول الله ( ﷺ ) وأصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب[٣٢] .

ولكن الرسول ( ﷺ ) بعث الى كل من سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يستشيرهما ، فقالا له : يا رسول الله ، أمراً تحبه تصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه ، والله ما أصنع

نلك إلا لانني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمرٍ ما فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرىً أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطهم أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله ( ﷺ ) : فانت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا[٢٢] .

وتبرز أمامنا في هذا الحدث الإيماني الجهادي عمق الروح المعنوية التي تحلّى بها أبناء الإسلام برغم تلك الظروف الصعبة التي كانوا يمرون بها ، فكان مقاتلة الكفار عندهم أكثر قبولًا من الراحة عن التعب والامان عن الخوف ، والطعام عن الجوع ، والدفء عن البرد ، ما دامت تلك المقاتلة تحقق إعلاء كلمة الله عز وجل .

لم يجرِ قتال مباشر بين المسلمين والمشركين في معركة الخندق ، ولكن وقعت بعض الاشتباكات التي أفصحت أيضاً عن روح معنوية عالية للمقاتلين المسلمين ، أسهمت في دعم قوة الصبر والثبات لدى الآخرين ومن هذه المواقف ان بعض من رجال المشركين قرروا عبور الخندق ومقاتلة المسلمين ، ومنهم عمرو بن عبد ود وابن أبي قيس ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ، ونوفل بن عبدالله ، وضرار بن الخطاب بن مرداس ، ولما وصلوا حافة الخندق ، فتشوا عن ثغرة فيه فاقتحموا منها ، فخرج أليهم علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنه ـ في نفر من المقاتلين المسلمين ، وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أُحداً ، فلما وقف هو وخيله ، قال له علي بن أبي طالب : يا عمرو انك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين ألا أخذت منه إحداهما قال : أجل قال له علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنه ـ : فاني أدعوك الى الله عز وجل والى رسوله والى الإسلام ، قال : لا حاجة لي بذلك قال : فاني أدعوك الى النزال ، قال : ولِـمَ يا ابن أخي ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال علي : ولكني والله أحب أن أقتلك ، قال : فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره عقرة أوضرت وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجادلا فقتله علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنه ـ وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت الخندق هاربة ، وقتل عمرو رجلان هما منبه بن عثمان ابن عبيد بن السباق بن عبدالدار أصابه سهم فمات بمكة ، ومن بني مخزوم نوفل بن

عبدالله بن مغيرة ، وكان اقتحم الخندق فسقط فيه ورموه بالحجارة فقال : يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه ، فنزل عليه علي فقتله[٣٤] .

وكان لهذا الموقف تأثير إنعكاسي سلبي على الروح المعنوية للمشركين ، في الوقت الذي عزز من معنويات المسلمين . وهناك إشارة الى ان علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنه ـ قال في هذا الموقف :

نَصــرَ الحِجَــارة مِنْ سفــاهــةِ رأيــهُ
ونَصَــــرتَ ربَّ محمَّـــــد بصـــوابيْ
فَصــــدَدْتُ حين تــــركتــــه متجــدلًا
كـــــالجـــذع بين دكـــادكٍ ورواب
لا تحسبنَّ اللّـــــــهَ خـــاذِل دينـــه
ونبيـــــه يـــــا معشـــــر الاحـــزابِ[٣٥]

أما حسان بن ثابت فقد ألقى أبياتاً شعرية على عكرمة بن أبي جهل الذي ألقى رمحه يومئذ وهو منهزم في قوله :

فَـــــرَّ وألقى لنـــــا رمحُـــــهُ
لعلَّــــكَ عكـــــرم لم تَفعــــلِ
ووَليتَ تعـــــدو كعـــــدو الظليمِ
مـــــا ان تجـــور عن العـــدلِ
ولم تلقَ ظهـــــرك مستـــــانســـــاً
كـــان قفـــاك قِفـــا فـــزعـــلِ[٣٦]

وبعد تلك الاحداث لم ينشب قتال ، بين الطرفين حتى انتهاء المعركة التي انتهت بنصر الله ودعمه ، ففي ليلة عاصفة هوجاء شديدة البرد جعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم[٣٧] . أرسل رسول الله ( ﷺ )حذيفة بن اليمان ليلًا لتقصي أخبار قريش فرأى أبا سفيان بن حرب يدعو القوم للارتحال ، ثم سبق قومه عائداً الى حيث جاء[٣٨] . وفي ذلك قال تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾[٣٩] . فكانت شدة هذه الريح من القوة بحيث لم يبق لهم خيمة ولا شيء ، ولا توقد لهم نار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين[٤٠] .

وصف الله عز وجل معركة الاحزاب وما رافقها من ظروف عصيبة على المسلمين من برد شديد وطول حصار ، وجوع ، وخوف ، وسبل دعم الروح المعنوية ليتمسكوا بالصبر والثبات في سورة الاحزاب . يصف حال المسلمين في بداية المعركة بقوله تعالى : ﴿ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ﴾[41] . أي حشود المشركين في شمال المدينة ويهود بني قريظة جنوبها ، والتي سببت في بادىء الامر الفزع والخوف وظهور النفاق عند بعض الناس الذين أصيبوا بالإحباط والقنوط فظنوا انهم الخاسرون في هذه المعركة[42] . ويصور الله عز وجل هذا الأمر بقوله تعالى : ﴿ هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديداً وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ، وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويإذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون إلا فراراً ﴾[43] . مؤكداً سبحانه عز وجل حالة الياس التي دبت في صفوف المسلمين حتى قام الرسول ( ﷺ ) باتخاذ الإجراءات التي عرضنا لها آنفاً لرفع الروح المعنوية وتعزيز سبل النصر في المعركة . وأمر الله عز وجل والمسلمين في معركة الخندق بالثبات وحذرهم من الفرار مهما كانت الظروف ، ويتجلى ذلك واضحاً في قوله تعالى : ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا ، قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلًا ، قل مَنْ ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سواءاً ، أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ونصيراً ﴾[44] . ويعزز الله عز وجل من الروح المعنوية للمقاتلين في توجيه لهم باعتماد رسول الله ( ﷺ ) الانموذج في الإقتداء به يوم الاحزاب في قوله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمَنْ كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾[45] ، فالرسول ( ﷺ ) كان في يوم الخندق مثالًا للصبر والمصابرة والمرابطة والمجاهدة وانتظار الفرج من ربه عز وجل ، ولذلك أكد الله تعالى على المسلمين الذين تضجروا واضطربوا في أمرهم يوم الخندق في الإقتداء به صلوات الله عليه[46] . ويشير الله تعالى الى المؤمنين الذين اقتدوا بالرسول ( ﷺ ) في هذه المعركة بقوله تعالى : ﴿ ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾[47] . ويصفهم تعالى بالصدق في وعدهم وعهدهم فيرفع من روحهم المعنوية بقوله عز وجل : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

فمنهم مَنْ قضى نحبه ومنهم مَنْ ينتظر وما بدّلوا تبديلا ﴾[٤٨] . ويعدهم بالثواب والخير ويميزهم عن المنافقين بقوله تعالى : ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً ﴾[٤٩] . وبسبب صبر المؤمنين وثباتهم وارتفاع روحهم المعنوية وإصرارهم على المنازلة وعلى إعلاء كلمة الله عز وجل قد استجاب الله سبحانه وتعالى الى دعاء الرسول ( ﷺ ) حينما قال : « اللهم مُنْزِل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم »[٥٠] . فقال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفا الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾[٥١] . ولهذا قال رسول الله ( ﷺ ) : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الاحزاب وحده ، فلا شيء بعده »[٥٢] .

يتبين مما أوجز من الاحداث والمواقف المختلفة في معركة الخندق ان هناك عدداً من الدروس التي برزت خلالها ذات الصلة بالروح المعنوية .

تعد وحدة القيادة واحدة من هذه الدروس ، فالقيادة العربية الإسلامية كانت وحدة يرأسها الرسول القائد محمد ( ﷺ ) وبالرغم من وجود قبائل مثل الاوس والخزرج والمهاجرين ضمن قوات المسلمين ، وكان صلوات الله عليه مركزياً في القيادة الى أبعد الحدود في بعض الامور لان المجال لم يكن يتسع للاخطاء ، فكل خطأ في مثل تلك الظروف يمكن أن يكون ذا تاثير سلبي خطير على نتيجة المعركة ، خاصة وان معركة ( أُحد ) السابقة شهدت خطأً قاتلًا كان ينبغي أن لا يُكرر[٥٣] . ومن ناحية أخرى كان رسول الله ( ﷺ ) يصغي الى مشورة الصحابة ويتأملها ويعتمدها عندما تكون المشورة صحيحة وهادفة ، كما هو الحال في مشورة سعد بن معاذ في إلغاء الاتفاق مع غطفان[٥٤] .

وكان رسول الله ( ﷺ ) يمثل القائد بكل سماته القيادية المؤثرة في الروح المعنوية للمقاتلين على العكس من قوات الاحزاب التي تمثلت بقيادات متعددة ، فكان أبو سفيان على قريش وعيينة بن حصن والحارث بن عوف على غطفان وغيرهم ، الامر الذي أثر سلباً على مستوى التماسك والعمل بروح الفريق الواحد .

من الدروس الاخرى التي برزت في هذه المعركة ، تحقيق المباغتة بالاسلوب وبالمكان من خلال حفر الخندق شمال المدينة المنورة بعد تقدير موقف سليم لطبيعة الارض وقوات المشركين ، فادى ذلك الى زيادة فرص النجاح مبكراً من خلال رفع الروح

المعنوية للمقاتلين من ناحية ، ومن خلال تحييد قوات المشركين بعدم قدرتها على عبور الخندق . أما الدرس الاخر ، فكان يتمثل باستثمار ظروف الطقس البارد ، فكان عاملا مؤثراً في الانتصار في هذه المعركة الخالدة . فتحصن المسلمون خلف الخندق ، وبقي المشركون تحت تأثير ظروف الطقس القاسية ، حتى أنزل الله عز وجل غضبه عليهم بالريح العاصف : ﴿ فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ﴾(٥٥) . فانتهت المعركة بنصر المسلمين وخذلان المشركين وفتحت آفاق جديدة رحبة في تعزيز الروح المعنوية للمقاتلين في المعارك اللاحقة .

## الهوامش

( ١ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ .

( ٢ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٠ .

( ٣ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٠١ .

( ٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٠ . وأحمد عساف ، خلاصة الاثر ، ص ١٩٢ .

( ٥ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ . ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٢٣ .

( ٦ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٠ . انظر : ابن خلدون ، المجد الثاني ، ق ٤ ، ص ٧٧٤ .

( ٧ ) د. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ص ١١٧ .

( ٨ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، صص ٦٠٢ - ٦٠٣ .

( ٩ ) م. ن. ، جـ ٢ ، ص ٦٠٦ .

( ١٠ ) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ . وانظر : ابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، ص ٧٧٤ .

( ١١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ . وانظر : محمد أبو الفضل ابراهيم ، أيام العرب في الإسلام ، ص ٦٣ .

( ١٢ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٢٦ . وانظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٠ .

( ١٣ ) البخاري ، صحيح ، جـ ٥ ، صص ١٣٧ - ١٣٨ .

( ١٤ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٣٣ . وصحيح البخاري ، جـ ٥ ، ص ١٣٨ .

( ١٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠١ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ١٢٢ .

( ١٦ ) الواقدي ، مغازي رسول الله ( ﷺ ) ، ص ٢٩٠ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٢٢ .
( ١٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ .
( ١٨ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٣٣ .
( ١٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ .
( ٢٠ ) سورة الأحزاب ، الآية (٢٢) .
( ٢١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ .
( ٢٢ ) سورة الأحزاب ، الآية (١٢) .
( ٢٣ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٢٧ .
( ٢٣آ ) سورة النور ، الآية (٦٢) .
( ٢٤ ) سورة النور ، الآية (٦٣) ، واللواذ : هو الاستتار بالشيء عند الهرب .
( ٢٥ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨ . انظر : منصور علي ناصف ، التاج الجامع للأصول ، ص ٤١٧ . و ( انهالت ) : تفتت . و ( الكثيب ) : الرمل .
( ٢٦ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩ .
( ٢٧ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩ .
( ٢٨ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٣٧ .
( ٢٩ ) البخاري ، صحيح ، جـ ٥ ، ص ١٤٣ .
( ٣٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٣ .
( ٣١ ) سورة الأحزاب ، الآية (١١) .
( ٣٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، صص ٦٠٢ - ٦٠٤ .
( ٣٣ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ . و ( كالبوكم ) : اشتدوا عليكم ، و ( القرى ) : ما يصنع للضيف من الطعام .
( ٣٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٤.
( ٣٥ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ ، و ( الحجارة ) : يقصد بها الأصنام التي كانوا يعبدونها ، و ( متجدلًا ) : لاصقاً بالأرض ، و ( الجذع ) : فرع النخلة ) ، ( الدكادك ) : الرمل اللين ، و ( المقطر ) : الذي ألقي على أحد جنبيه ، و ( بزني ) : سلبني وجردني .
( ٣٦ ) م. ن. ، ص ٢٣٧ .
( ٣٧ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٢٦ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ١ ، ص ١٢٦ .
( ٣٨ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٧ . وابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .
( ٣٩ ) سورة الأحزاب ، الآية (٩) .
( ٤٠ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٤٠٢ .

( ٤١ ) سورة الأحزاب ، الآية ( ١٠ ) .
( ٤٢ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٤٠٤ .
( ٤٣ ) سورة الأحزاب ، الآيات ( ١١ ، ١٢ ، ١٣ ) .
( ٤٤ ) سورة الأحزاب ، الآيات ( ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ) .
( ٤٥ ) سورة الأحزاب ، الآية ( ٢١ ) .
( ٤٦ ) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٤٠٦ .
( ٤٧ ) سورة الأحزاب ، الآية ( ٢٢ ) .
( ٤٨ ) سورة الأحزاب ، الآية ( ٢٣ ) .
( ٤٩ ) سورة الأحزاب ، الآية ( ٢٤ ) .
( ٥٠ ) البخاري ، صحيح ، جـ ٥ ، ص ١٤٣ .
( ٥١ ) سورة الأحزاب ، الآية ( ٢٥ ) .
( ٥٢ ) البخاري ، صحيح ، جـ ٥ ، ص ١٤٣ . وانظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٤٠٤ .
( ٥٣ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٨٢ .
( ٥٤ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ .
( ٥٥ ) سورة الأحزاب ، الآية ( ٩ ) .

# الفصل الرابع

# الروح المعنوية
# في عهد الخلفاء الراشدين

## المبحث الاول

## الشخصية القيادية للخلفاء الراشدين

## المبحث الثاني

## حركات تحرير الشام
## ( انموذج معركة اليرموك )

## المبحث الثالث

## حركات تحرير العراق
## ( انموذج معركة القادسية )

## المبحث الاول

# الشخصية القيادية للخلفاء الراشدين

تمتع الخلفاء الراشدون ـ رضوان الله عنهم ـ بسمات قيادية عديدة ، وسوف لن نسهب في البحث عنها ، إنما نشير إليها لمحاً ، لانها مشهورة معروفة ذات تأثير كبير على الروح المعنوية للمقاتلين العرب المسلمين في صدر الإسلام ، موضوع البحث ، كان أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ ذا شخصية قيادية تفيض بالروح المعنوية العالية ، وذات تأثير بالغ في نفوس العرب المسلمين وزاد في ذلك كونه أول مَنْ أسلم[1] من الرجال . وبرزت الشخصية القيادية له من خلال النظر الى كونه الخليفة الاول للمسلمين بعد ان هيمنت شخصية الرسول القائد ( ﷺ ) الفذة على شخصيات كل القادة المعاصرين له ، فبرزت شخصية أبي بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ كقائد أعلى للمجتمع والجيش بعد انتقال الرسول ( ﷺ ) الى الرفيق الأعلى .

ففي الوقت الذي ارتبك فيه المسلمون ، وأخذهم الروع بوفاة الرسول ( ﷺ ) ، قام أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه وخطب فيهم قائلًا : « أيها الناس مَنْ كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومَنْ كان يعبد الله ، فان الله حيٌّ لا يموت »[2] . ثم تلا الآية القرآنية الكريمة : ﴿ وما محمد إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرُسُل ، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومَنْ ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾[3] . وبذلك أعاد للمسلمين توازنهم ، وعزز من تماسكهم ، وهما صورتان من صور الروح المعنوية .

وبعد انتخابه في سقيفة بني ساعدة[4] خليفة لرسول الله ( ﷺ ) خطب في المسلمين محدداً بإيجاز شديد مجمل سياسته القيادية الداخلية والخارجية للدولة العربية الإسلامية ورافعاً لروح العرب المسلمين من خلال طرحه مبادىء المساواة والعدل ، والصدق والامانة ، وسبيل القيادة المعتمدة قائلًا : « أيها الناس ، اني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فاعينوني ، وإن أسات فقوموني . الصدق

أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى ارجع عليه حقه والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم »[٥] .

ويمكن أن تتجلى لنا بوضوح سمات هذه الشخصية القيادية وأثرها على الروح المعنوية للعرب والمسلمين ، حيث اعتمد كتاب الله عز وجل وسُنة نبيه ( ﷺ ) سبيلًا أساسياً لمنهج قيادته . وموضحاً في سياسته الموجزة هذه انه رجل متواضع ، يتحلى بالزهد وقدوته رسول الله ( ﷺ ) . ويكفي القول انه لُقِبَ بالصديق لتصديقه لرسول الله ( ﷺ ) حال نبوءته[٦] .

ومن المآثر التاريخية للخليفة أبي بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ ، إصراره على إرسال جيش أسامة بن زيد الى الشام[٧] ، والذي سبق وان أمر به رسول الله ( ﷺ ) ، إلا ان وفاته حالت دون ذلك[٨] . وبالرغم من كل المحاولات التي قام بها الصحابة لتأجيل إرسال أسامة بسبب الظروف التي استجدت بعد وفاة الرسول ( ﷺ ) وظهور بدايات الردة[٩] التي تتطلب المعالجة العسكرية السريعة فضلا عن ان خروج جيش أسامة من المدينة المنورة وترك النساء والأطفال والشيوخ فيها يعرضها لاحتمالات الغزو ، إلا ان أبا بكر ـ رضيَ الله عنه ـ أمر أسامة للحركة من معسكره في الجرف[١٠] . الى واجبه في الشام للإغارة على أهل ابنى[١١] وهي المنطقة نفسها التي جرت فيها معركة مؤتة حيث استشهد فيها الصحابة الكرام زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة[١٢] ، وأمر مناديه بانتداب الناس وان لا يتخلف عن أسامة كل مَنْ كان انتدب معه في حياة الرسول ( ﷺ ) ، وفي ذلك قال أبو بكر ـ رضيَ الله عنه ـ عنه : « والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت ان السباع أكلتني بهذه القرية لنفذ هذا البعث الذي أمر رسول الله ( ﷺ ) بانفاذه »[١٣] . وبالفعل تحرك أسامة بن زيد بجيشه الى مهمته الموكلة له في الشام وهنا لا بد من الإشارة الى ان الخليفة أبا بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ حقق ردعاً لكل من المرتدين وقوات الروم بحركة أسامة ، حيث تصوروا ان حجم القوات العربية الإسلامية كبيرة وتشكل قوات أسامة جزءاً يسيراً منها من ناحية ، كما حقق دعماً معنوياً كبيراً لقوات أسامة ذاتها في حركتها التعرضية من خلال وصيته التي جاء فيها : « يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشرٍ فاحفوظها عني ، لا تخونوا ، وتغلّوا ،

وتغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلًا صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلًا ، ولا تحرقوا ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية من ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله أقناكم الله بالطعن والطاعون »[١٤] .

كان الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ أثبت الشجاعة والثبات في جميع مواقفه وتحمل مسؤولية استمرار نشر الدعوة الإسلامية ، وتوحيد كلمة العرب بعد ان تصدعت بإرتداد بعض القبائل بعد وفاة رسول الله ( ﷺ ) ، فقرر قيادة العمليات العسكرية شخصياً ضد المرتدين ، ولم يزل كذلك حتى ناشده الصحابة العودة الى المدينة المنورة ، فعهد بالمسؤولية الى خالد بن الوليد[١٥] . فكان لهذه المواقف القيادية والشجاعة تاثير واضح على الروح المعنوية للمقاتلين .

أما فيما يخص تحرير الشام ، فقد حشّد القوات الإسلامية ، وأمر بحركتها . وكان على رأس تلك القوات : عمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة[١٦] . ولعل توجيهاته الى القائد العربي ، يزيد بن أبي سفيان كانت تؤكد المنحى المعنوي الذي اعتمده ـ رضيَ الله عنه ـ . فقد وقف في ثنية الوداع مودعاً القوات وموجهاً القادة بالقول : « إذا سرت فلا تضيق على نفسك ولا على أصحابك في مسيرك ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك وشاورهم في الامر واستعمل العدل وباعد عنك الظلم والجور ، فانه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم وإذا لقيتم القوم فلا تولوهم الادبار ومَنْ يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلا ولا تعقروا بهيمة إلا بهيمة الماكول ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم »[١٧] .

ويبدو لنا خلال هذه التوجيهات القيادية ان الخليفة أبا بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ كان يؤكد على قادة القوات العربية الإسلامية بضرورة رفع الروح المعنوية وترسيخ مبدأ العلاقات الإنسانية بين القادة والمقاتلين بوصفها إحدى المرتكزات

المهمة لإحراز النصر ، كما أكد على الاحتفاظ بمستوى عالٍ من الإستعداد القتالي واللياقة البدنية لخوض المعركة دون إعياء القوات خلال تقدمهم ، مع الاعتماد كذلك على مبدأ الشورى باعتباره واحداً من اتجاهات رفع الروح المعنوية ، فضلا على ترسيخ صفة العدل في شخصية القائد بوصفها السمة الأساسية التي تجعل المقاتلين يندفعون بروح معنوية عالية وباصرار باسل تجاه أهدافهم عندما يشعرون ان قائدهم عادلا وبعيداً عن الظلم والجور مع الاعتماد على مبدأ العمليات التعرضية الذي يستند على الروح المعنوية وعدم التفكير بالانسحاب والفرار من المعركة مهما كان الثمن .

أما الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب فقد كان ذا شخصية قيادية قوية مؤثرة منذ قبل إسلامه . وهو أول مَنْ هاجر جهراً لشجاعته ، وأول مَنْ دعي باmير المؤمنين ، وأول مَنْ كتب التاريخ الهجري للمسلمين ، وأول مَنْ عس في عمله ، وفتح الفتوح ، ووضع الخراج ، ومصّرَ الامصار ، واستقضى القضاة ، ودوّن الديوان ، وفرض العطاء ، وهو الذي قال فيه رسول الله ( ﷺ ) : « انه سراج أهل الجنة »(١٨) . وكان عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ ذا هيبة بحيث كان الناس يهابونه(١٩) . وكان إسلامه قوة للإسلام . فعن عبدالله بن مسعود قوله : « ان إسلام عمر كان فتحاً وان هجرته كانت نصراً وان إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه »(٢٠) .

وحدد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ سياسته حال توليه الخلافة في خطبته الاولى والتي أشار فيها الى تواضعه وعدله بقوله : « لن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله ، وإنما العظمة لله ، ليس للعباد منها شيء فلا يقولن أحد منكم ان عمر بن الخطاب تغير لما وليّ أمر المسلمين ، فمَنْ ظلمته مظلمة فاني أعطيه الحق من نفسي وأتقدم عليكم وأبين لكم أمري ، أيما رجل كانت له حاجة الى أمير المؤمنين أو ظلم بظلمة أو عتب علينا في حق فليؤذني ، فإنما أنا امرؤ منكم ولم يحملني سلطاني الذي أنا عليه أن أتعظم عليكم ، وأغلق بابي دونكم »(٢١) .

وكان الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ يتابع شؤون مسؤوليته المطلقة على كل رعيته ، الأمر الذي أجج في نفوسهم مزيداً من دعم الروح المعنوية ، ففي إحدى خطبه قال : « والذي بعث محمداً بالحق لو ان جملًا هلك ضياعاً بشط

العرب ، خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب »[٢٢] . ومن الأمثلة المشهودة في هذا المجال ان عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ خرج في سواد الليل فرآه طلحة ، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر . فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت ، فإذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها : « ما بال هذا الرجل يأتيك ، قالت : انه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى »[٢٣] . ومما يؤثر عنه ـ رضيَ الله عنه ـ انه كان يتفقد الرعية ليلا فعثر على امرأة تضع قدراً فيه ماء على النار أمام أولادها الجياع في إحدى ليالي الشتاء الباردة . فعندما سألها عن ما في القدر ، أشارت له بوجود الماء لغرض إسكاتهم حتى يناموا . فرّق قلب الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ ، وسعى ليحمل كيس دقيق بنفسه لهم . ولم يزل عندهم حتى أكل الصبية وشبعوا[٢٤] .

وكان ـ رضوان الله عليه ـ يعتمد مبدأ التكريم والحوافز أساساً لرفع الروح المعنوية والتكريم في منظوره يستند على أساس درجة الاداء والإيمان . وفي إحدى خطبه وضع هذه السياسة بقوله :« أيها الناس مَنْ أراد أن يسأل عن القرآن فليأتِ أُبي بن كعب ، ومَنْ أراد أن يسأل عن الفرائض فليأتِ زيد بن ثابت ، ومَنْ أراد أن يسأل عن الفقه ، فليأتِ معاذ بن جبل ، ومَنْ أراد أن يسأل عن المال ، فليأتني فان الله جعلني خازناً وقاسماً ، واني بادىء بأزواج الرسول ( ﷺ ) فمعطيهن ، ثم المهاجرين الاولين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابي ، ثم بالانصار الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم مَنْ أسرع الى الهجرة أسرع إليه العطاء ومَنْ أبطأ عن الهجرة ابطأ عنه العطاء »[٢٥] .

وكان الخليفة الفاروق ـ رضيَ الله عنه ـ يحث المؤمنين على الجهاد والإنفاق في سبيل الله ويؤكد لهم بان لهم ثواباً في الدنيا والآخرة فعن الحسن قال : « جاء رجل الى عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ يخطب فقال : يا خير الناس . فقال له عمر : أدن إليّ ، لست بخير الناس . ألا أنبئك بخير الناس ؟ فقال : مَنْ هو يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر ـ رضيَ الله عنه ـ : هو رجل من أهل البادية صاحب صرمة إبل أو غنم ، قدم بإبله أو غنمه الى مصر من الامصار فباعها ثم أنفقها في سبيل الله ، فذاك خير الناس »[٢٦] . ولعل قرار الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ في الحركة من المدينة المنورة الى فلسطين لفتح بيت المقدس بعد ان طلب إليه أبو عبيدة عامر بن الجراح ذلك خير مثال على أنموذج الشخصية القيادية ذات التاثير البالغ في

الروح المعنوية للمقاتلين ، فبعد ان قاتل العرب المسلمون بقيادة أبو عبيدة عامر بن الجراح أهل بيت المقدس لتحريرها تحت وطاة تاثيرات البرد الشديد عشرة أيام متواصلة ، كان أهل بيت المقدس يقاتلون بضراوة ، حتى أعلن أحد بطارقتهم ان فتح بيت المقدس يكون على يد « الرجل الأسمر الاحور المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد »[٢٧] .

وذكر بأن ذلك معروف بين علمائهم الاولين .. وكان البطريك واثقاً من معرفته لاوصاف عمر – رضيَ الله عنه – بدقة ، حتى ان المسلمين أرسلوا له خالد بن الوليد مشيرين له بأنه هو المعني وكان ذا شبه باوصاف الخليفة الفاروق ، فاشار البطريك بانه شبيهه وليس هو ولذلك أرسل أبو عبيدة عامر بن الجراح برسالة الى الخليفة عمر بن الخطاب – رضيَ الله عنه – يشعره بما حدث ، وما إن وصلت الرسالة حتى جهز نفسه للسفر وتابع مسيرته الشاقة في تلك الظروف الجوية القاسية حتى وصل الى القوات العربية الإسلامية التي تحاصر بيت المقدس بعد ان استخلف على المدينة عثمان بن عفان[٢٨] . وطلب من بلال أن يؤذن للصلاة لاول مرة بعد وفاة رسول الله ( ﷺ ) وما ان قال الله أكبر حتى خشعت قلوب المقاتلين واقشعرت أبدانهم فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله بكى المقاتلون بكاءً شديداً حتى كادت قلوبهم أن تتصدع عند ذكر الله ورسوله[٢٩] ، فارتفعت روحهم المعنوية بقدوم الخليفة وبأذان بلال ، ثم خطب الخليفة في صفوف المقاتلين مشيداً بصبرهم وثباتهم وجهادهم في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل ، وعزف عن إرتداء الملابس الفخمة التي هيأها له أبو عبيدة عامر بن الجراح بعد وصوله ، وأصر على مواجهة البطريك في ملابسه التي كانت عليه فما إن شاهده بطريك أهل بيت المقدس حتى صرخ في قومه قائلا : « هذا والله الذي نجد صفته ونعته في كتبنا ، ومَنْ يكون فتح بلادنا على يديه بلا محالة ، انزلوا إليه واستقدموا معه الأمان والذمة ، هذا والله صاحب محمد بن عبدالله »[٣٠] .

فكان لهذا الموقف أثر معنوي كبير في نفوس المقاتلين العرب المسلمين .

أما في جبهة الشرق ، فما إن أفضت الخلافة إليه حتى قام خطيباً في المسلمين بعد ان سار إليه المثنى بن حارثة الشيباني وطلب منه قوات عربية وإسلامية لقتال الفرس ، وكان في خطبته هذه التذكرة باستبشار رسول الله ( ﷺ ) يوم الخندق لفتح قصور كسرى بقوله : « أيها الناس انكم قد أصبحتم في غير دار

مقامة بالحجاز ، وقد وعدكم الله على لسان نبيكم كنوز كسرى وقيصر ، فسيروا الى أرض فارس »[٣١] . وكانت خطبته هذه ذات تاثير معنوي بالغ في نفوس العرب المسلمين ، فقام أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي فقال : أنا أول مَنْ ينتدب ، فانتدب الناس بعدهم ، فأمّره عليهم وساروا الى العراق مع المثنى بن حارثة[٣٢] .

أما في معركة نهاوند ( فتح الفتوح ) والتي اجتمعت فيها قوات كبيرة من الفرس فقد قرر الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ الخروج بنفسه إلا ان علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ أشار عليه بالبقاء في المدينة المنورة[٣٣] . وقد أفضى موقف الخليفة هذا الى دعم الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي واندفاعه للقتال ببسالة وعزم .

أما الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ فقد استخلف سنة أربع وعشرين للهجرة[٣٤] . وكان من المسلمين الاوائل حيث أسلم وهو بعمر اثنتي عشر سنة أو ثماني سنوات مع علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه ـ[٣٥] ، سمي بذي النورين لزواجه من بنتي رسول الله ( ﷺ )[٣٦] ، ودوّنَ القرآن بعد ان بلغه ان هناك نسخاً قد دونت من قبل بعض الصحابة وان هناك اختلافاً في قراءة هذه النسخ[٣٧] ، وهو أول مَنْ هاجر الى الحبشة من المسلمين[٣٨] .

اتسمت شخصيته ـ رضوان الله عليه ـ بسمات حسنة ، فكان غاية في الجود والكرم والسماحة[٣٩] . فكان سخياً ومنفقاً لامواله في سبيل الله[٤٠] . وكان مجاملا للناس حتى انه حضر وليمة عرس وهو صائم[٤١] . ليشارك الناس أفراحهم ، وبلغ كرمه درجة انه كان يطعم الناس طعام الإمارة في الوقت الذي يدخل بيته فياكل الخل والزيت[٤٢] . وكان محبوباً لدى الصحابة[٤٣] .

ومن صفاته انه كان شديد الحياء[٤٤] . حتى ان رسول الله ( ﷺ ) قال فيه : « ألا أستحي من رجل والله ان الملائكة لتستحي منه » وجاء قول النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا في مجلس كان ـ صلوات الله عليه ـ جالساً كاشفاً عن فخذه ، فاستاذن أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ فاذن له وهو على حاله ، ثم استاذن عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ فاذن له وهو على حاله ، وعندما استاذن عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ ، أرخى رسول الله ( ﷺ ) ثيابه ، فعندما سالته عائشة عن السبب أجاب بذلك[٤٥] . وكان الخليفة عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ مهتماً بأمور الرعية ، متتبعاً لاخبارهم وظروف معيشتهم وحياتهم ، ورافعاً لروحهم

المعنوية ، فمن موسى بن طلحة قوله :« رأيت عثمان على المنبر يوم الجمعة والمؤذنون يؤذنون وهو محدث الناس ويستخبرهم عن أشعارهم وأخبارهم ومرضاهم »[٤٦] .

ووسع عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ مسجد المدينة من ماله الخاص كما شارك بتجهيز نصف الجيش العربي الإسلامي فيما سميَ بجيش العسرة ( تبوك )[٤٧] . وكان من كتّاب الوحي[٤٨] ووُصِفَ بانه كاتب سر الرسول ( ﷺ )[٤٩] وخير ما نختتم به سمات الخليفة عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ انه من العشرة المبشرة بالجنة[٥٠] .

ومن هذه السمات التي تمتع بها الخليفة عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ ومنزلته من الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يمكننا أن ندرك أهمية مثل هذه الشخصية في الروح المعنوية للعرب والمسلمين .

وعلى الرغم من كل ما تحدثت عنه بعض المصادر عن استخلاف عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ وانه سبب اختلافاً في الرأي ، وأدى هذا الاختلاف الى بوادر إنقسامات كانت ذات إنعكاس سلبي على الوضع السياسي والاجتماعي ، وبالتالي فانها أثرت على مستوى الروح المعنوية للمجتمع بشكل عام والجيش العربي الإسلامي بشكل خاص ، إلا ان واقع الحال كان يؤكد عكس ذلك ، وكانت المصادر تستند في ذلك الى اختلاف الصحابة في مبايعة عثمان بن عفان أو علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنهما ـ بعد استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ ، حيث قال عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، إن أردتم أن لا تختلف قريش فولوها عثمان ، أما عمار بن ياسر فقال ، إن أردتم أن لا يختلف الناس فولوها علياً[٥١] .

ويذكر ان عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ كان قد قال قبل وفاته : « ما أظن أن يلي إلا أحد هذين الرجلين : علي وعثمان »[٥٢] .

والدلائل على اثر شخصية الخليفة عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ في رفد الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي عديدة ، لعل رسائله الى القادة والمقاتلين وتوجيهاته لهم تثبت ذلك وكان أول كتاب بعثه تضمن التوجيهات الاتية : « أما بعد فان الله أمر الائمة أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وان صور هذه الامة خلقوا رعاة ، لم يخلقوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة ، فإن عادوا كذلك انقطع الحياء والامانة والوفاء ، إلا وان أعدل السيرة أن

تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتاخذوهم بما عليهم ، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتاخذوهم بالذي عليهم ، ثم العدو الذي تنتابون ، ستفتحوا عليهم بالوفاء »(٥٣) .

أما أول كتاب بعث به الى المقاتلين لتعزيز روحهم المعنوية فجاء فيه : « أما بعد فانكم حماة المسلمين وقادتهم ، وقد وضع لكم عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ ما لم يغب عنا بل كان عن ملائمنا ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويتسبدل بكم غيركم فانظروا كيف تكونون فاني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه »(٥٤) .

وفي هذه التوجيهات للمقاتلين في الجيش العربي الإسلامي نجد ان عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ اختط سبيله على منهج الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ، وليس كما جاء في بعض المصادر التي تشير الى عكس ذلك .

وكان ـ رضيَ الله عنه ـ يدعو الى الجهاد ويحرض المقاتلين على الثبات والصبر في سبيل الله ، ويقول الشيباني بهذا الصدد : ان الخليفة عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ استنفر أهل المدينة المنورة للجهاد بقوله : « يا أهل المدينة ، خذوا حظكم في سبيل الله . ألا ترون الى إخوانكم من أهل الشام وأهل مصر وأهل العراق ؟ فوالله ليوم يعمله أحدكم في سبيل الله تعالى خير له من ألف يومٍ يعمله في بيته صائماً قائماً لا يفطر ولا يفتر »(٥٥) .

وفضلا عما تقدم فقد كان للخليفة عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ دور مهم في حركات التحرير العربية في كل جبهة المشرق وجبهة الشام وجبهة أفريقيا(٥٦) والتي كانت إمتداداً لسياسة الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ فيما يتعلق بحركات التحرير العربية هناك ، فكانت مواقفه حاسمة من مسألة إعادة الاقاليم والمدن التي تمردت في المشرق الى نفوذ الدولة العربية الإسلامية من ناحية والامر بحركات التحرير على الجبهات الاخرى من ناحية أخرى(٥٧) . وما كان من تاثير الفتنة التي قامت في زمن الخليفة عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ(٥٨) ، فان الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي بقيت عالية ، وإلا لما تمكن هذا الجيش من تحقيق الانتصارات الكبيرة والمتتالية في حركات التحرير العربية في جبهة المشرق وجبهة الشام والثغور وأرمينية وحركات التحرير في جبهة أفريقية . فعلى جبهة المشرق كان الفرس قد نقضوا اتفاقاتهم مع العرب بعد إستشهاد الخليفة عمر بن

الخطاب - رضيَ الله عنه - سنة ٢٣هـ على يد أبي لؤلؤة فيروز الفارسي[٥٩] ، ولجأوا الى حركات التمرد والتي قادها ملك الفرس يزدجرد الثالث وكبار رجال دولته وكل مَنْ فقدَ موقعه وامتيازاته[٦٠] . ولذلك أمر الخليفة عثمان بن عفان - رضيَ الله عنه - كل القادة العرب في المشرق لقتال المتمردين هناك ، فقد ذكرت المصادر انه أمر أمير البحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي بالتوجه الى تلك الجبهة ، فسار عثمان الى مدينة ( سابور ) فحررها بعد تقدم حاكمها بطلب الصلح[٦١] . ولما علم عثمان بتمرد أهل ( اصطخر ) وكانوا بقيادة الملك شهرك بن ماهك وكان ذلك بأمر من ملك الفرس يزدجرد الثالث[٦٢] ، أمر عثمان بن أبي العاص التوجه الى اصطخر لاعادتها الى نفوذ الدولة العربية الإسلامية وأمره بمقاتلة من أهل البصرة كانوا تحت قيادة عبيدالله بن معمر وشبل بن معبد البجلي ، وعندما وصل الجيش العربي الإسلامي دارت معركة ضارية قرب مدينة ( ريشهر ) هزم فيها الفرس وقتل قائدهم شهرك وتم تحرير ( اصطخر )[٦٣] معبّراً هذا الجيش عن مستوى عالٍ من الروح المعنوية .

وكان أمير البصرة عبدالله بن قيس قد أعاد سابور الى نفوذ الدولة العربية الإسلامية بعد نقض أهلها معاهدة الصلح وكان أمير البحرين عثمان بن أبي العاص على مقدمة جيشه[٦٤] . أما أذربيجان وأرمينية ، فقد أمر الخليفة عثمان بن عفان - رضيَ الله عنه - الوليد بن عقبة قيادة الجيش لتحريرها[٦٥] ، فدعا سلمان بن أبي ربيعة الباهلي فجعله مقدمة له حتى دخل أذربيجان[٦٦] ، فبعث عبدالله بن شبيل بن عوف فاغار على أهل موقان والبير والطليان فحررها[٦٧] . ثم بعث سلمان بن ربيعة الباهلي الى أرمينية في إثني عشر ألف مقاتل فحررها[٦٨] .

أما في جبهة الشام ، فان أهم ما يذكر هو تأسيس أول أسطول عربي في زمن عثمان بن عفان - رضيَ الله عنه - والمعارك التي خاضها الجيش العربي الإسلامي مع الروم في البحر المتوسط والسيطرة على جزيرة قبرص[٦٩] . وكان - رضوان الله عليه - فقد أذن بإنشاء الاسطول والسيطرة على جزيرة قبرص مؤكداً على عدم فرض القتال بالبحر على أحد ليسهم في رفع الروح المعنوية في نفوس المقاتلين طوعاً فكتب الى معاوية بن أبي سفيان أمير الشام : « لا تنتخب الناس ، ولا تقرع بينهم ، خيرهم فمَنْ اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه »[٧٠] . وفي جبهة أفريقيا حركات الجيش العربي الإسلامي تحرير العديد من المناطق في في زمن الخليفة عثمان بن عفان - رضيَ الله عنه - . فقد حرر عمرو بن العاص برقة[٧١] وطرابلس[٧٢] وانتصر

على قوات الروم في الاسكندرية بمعركة حامية أبلى فيها الجيش العربي الإسلامي بلاءً حسناً[٧٣] . وكان الخليفة ـ رضيَ الله عنه ـ قد هيأ كل أسباب النصر لهذا الجيش في أفريقيا[٧٤] . فاصبح عدد الجيش حوالي عشرين ألف مقاتل[٧٥] .

أما الخليفة علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنه ـ الذي استخلف سنة ست وثلاثين هجرية[٧٦] فكان يتمتع ـ رضوان الله عليه ـ بشخصية فذة ذات سمات مؤثرة في الروح المعنوية للرعية بشكل كبير ، فقد اشتهر بالفروسية والإقدام[٧٧] والشجاعة[٧٨] . وكان قد أسلم وهو ابن عشر سنين[٧٩] .

وكان يحمل اللواء بيده في أكثر المعارك[٨٠] . وكان محبباً الى الله ورسوله والصحابة .

فقد قال عنه رسول ( ﷺ ) يوم خيبر : « لاعطين هذه الراية غداً رجلًا يفتح الله عليه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . » فياتي الناس يذكرون أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدو على رسول الله ( ﷺ ) يرجو أن يعطها فقال : أين علي بن أبي طالب ، فقيل يا رسول الله يشتكي عينه ، قال : فارسلوا إليه فاتى به فبصق رسول الله ( ﷺ ) في عينيه ودعا له فبرىء فاعطاه الراية »[٨١] . وهو أول مَنْ صلى مع رسول الله ( ﷺ )[٨٢] . ولشجاعته البالغة ، كان رسول الله ( ﷺ ) قد خلفه في مكة عند هجرته وأمر أن يؤدي عنه أماناته ، فاضطجع على فراشه يوم هاجر الرسول ( ﷺ )[٨٣] . وفي ذلك نزلت الآية القرآنية الكريمة : ﴿ ومِنَ الناس مَنْ يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾[٨٤] . وهو الذي قال رسول الله ( ﷺ ) « مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ مَنْ والاه ، وعاد مَنْ عاداه »[٨٥] .

وكان الرسول ( ﷺ ) قد أهدى طيراً ، فقال : « اللهم ألتني باحب خلقك إليك ياكل معي من هذا الطير » فجاء علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنه ـ[٨٦] .

كان أول خليفة من أبويين هاشميين[٨٧] وتولى الخلافة بعد إستشهاد الخليفة عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ حيث كبار الصحابة طلبوا إليه أن يتولى الخلافة فقبلها بعد تردد[٨٨] . وهذا دليل على أن الخليفة علي ـ رضيَ الله عنه ـ كان زاهداً في هذا المنصب لا كما يرى أعداء الامة العربية الذين أرادوا أن يظهروا كانه محب للسلطة ( الخلافة ) . وسار على منهج الخلفاء الراشدين الذين سبقوه ، ولشدة حبه لهم سمى بعض أولاده على أسمائهم ، فكان له أبو بكر من أسماء بنت عيسى ، وعمر من الصهباء بنت ربيعة وعثمان بن أم البنين الكلابية[٨٩] وعند خلافته امتدحه كثير

من الناس ، ووصفوا شخصيته الفذة .

وعن سعيد بن عمر بن سعيد بن العاص بقوله : « ان علياً كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم ، وكان له البسط في العشيرة ، والقدم في الإسلام ، والصهر لرسول الله ( ﷺ ) ، والفقه في السُنة ، والنجدة في الحرب ، والجود بالماعون »[٩٠] .

أما ضرار بن ضمرة فوصفه بالقول : « كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلًا ويحكم عدلًا ، يتفجر العلم في جوانبه وينطق بالحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله عزيز الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، كان والله كاحدنا يجيبنا إذا سألناه ، ويبتدئنا إذا أتيناه ، ويأتينا إذا دعونا ، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ، ولا نبتديه لعظمة ، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين ويحب المساكين ولا يطمع القوي في باطنه ، ولا ييأس الضعيف من عدله »[٩١] .

ويمكن تقدير مدى تأثير هذه الشخصية القيادية الفذة في الروح المعنوية للمقاتلين الذين لا بد ان يستجيبوا لقائدهم الذي يتصف بهذه الصفات . ومن الأمور التي كانت ترفع الروح المعنوية. أيضاً ان الخليفة علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنه ـ كان كثير التبسم[٩٢] في حديثه مع رعيته . كما كان جواداً وكريماً ومنفقاً في سبيل الله ، فهو الذي نزلت فيه الآية الكريمة : ﴿ والذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية ﴾[٩٣] ، حيث كان عنده أربعة دراهم ، فانفق بالليل واحداً ، وبالنهار واحداً ، وفي السر واحداً ، وفي العلانية واحداً »[٩٤] .

وكان ـ رضوان الله عليه ـ حازماً في قراراته التي يتخذها ، فقد ذكر بن حيان انه لما رأى بعد مبايعته ان الناس كانوا قد اختلفوا فيَ استشهاد الخليفة عثمان بن عفان ـ رضيَ الله عنه ـ ، جاء الى المسجد وخاطب الناس قائلا : « أيها الناس ، اقبلوا عليّ باسماعكم وأبصاركم ، ان الناس بين حق وباطل ، فإن علا أمر الباطل لقديماً ما فعل ، وان يكن الحق قد غاب فلعل ، واني أخاف أن أكون أنا وأنتم قد أصبحنا في فتنة ، وما علينا فيها إلا الاجتهاد ، فما للناس أما بنبي أخذ الله بيده ، وأما عامل مجتهد ، أو مومل يرجو أو مقصر في النار ، وان الله أدب هذه الامة بأدبين : بالسيف والسوط ، فلا هوادة عند السلطان فيهما ، واستغفروا الله وأصلحوا ذات

بينكم »[٩٥] .

وفضلا على ما تقدم كان علي ـ رضيَ الله عنه ـ يوصي الأمراء برفع الروح المعنوية ، حيث قال بهذا الصدد : « مَنْ عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، كان ممن حرمت غيبته وكملت مروءته وظهر عدله ، ووجب وصله »[٩٦] . وكان يدعو المقاتلين الى الروح التعرضية في القتال محفزاً فيهم الروح المعنوية وفي ذلك يقول : « الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله وجنته الوثيقة ، فمَنْ تركه عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء ، ألا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلًا ونهاراً ، وسراً واعلاناً وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا »[٩٧] . كما كان يدعو المقاتلين الى التعاون في ساحة الحرب بقوله : « وأي امرىء منكم أحس في نفسه رباط جاش عند اللقاء ، ورأى من أحد من إخوانه فشلًا فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه ، ان الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب . ان أكرم الموت القتل . والذي نفس ابن أبي طالب بيده لالف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش »[٩٨] .

وهكذا يتبين مما تقدم ان الخليفة علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنه ـ كان مثالًا رفيعاً للشخصية القيادية المثيرة للروح المعنوية للرعية .

ويكفي القول ان رسول الله ( ﷺ ) بشّره بالجنة ضمن العشرة المبشرة[٩٩]. وبعد إستشهاده ـ رضيَ الله عنه ـ خطب ابنه الحسن قائلًا : « لقد قتلتم الليلة رجلًا في ليلة فيها نزل القرآن ، وفيها رفع عيسى بن مريم عليه السلام وفيها قتل يوشع بن نون وفتى موسى عليهما السلام ، والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده والله إن كان رسول الله ( ﷺ ) ليبعثه في سرية ، فيكون جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره »[١٠٠] .

تلك هي ملامح محددة من مناقب الخليفة علي بن أبي طالب ـ رضيَ الله عنه ـ التي تفيض بالروح المعنوية وتؤججها في نفوس الرعية .

وبالرغم من ان مدة خلافته ـ رضيَ الله عنه ـ. شهدت العديد من الفتن والاختلافات في المجتمع العربي الإسلامي[١٠١] ، إلا ان شخصيته كانت أقوى من الصعاب ، وأذكى من ان يهدم هذا المجتمع أو ينتكس .

## الهوامش

( ١ ) ابن الجوزي ، الامام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ( ت : ٥٩٧هـ ) ، صفوة الصفوة ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الهند ، ط ٢ ، ١٩٦٨ ، جـ ١ ، ص ٨٩ .

( ٢ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٣٠٦ .

( ٣ ) سورة آل عمران ، الآية ( ١٤٤ ) .

( ٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٠٩ . وانظر : ابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، ص ٨٥٥ .

( ٥ ) ابن حيان ، الامام الحافظ محمد بن حيان بن أحمد أبي حاتم التميمي ( ت : ٣٥٤هـ ) ، كتاب الثقاة ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ .

( ٦ ) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، جـ ١ ، ص ٩٢ .

( ٧ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٢٧ . ابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، صص ٨٤٦ - ٨٤٧ .

( ٨ ) خليفة بن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٦٥ . وانظر : محمد يوسف الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، دار صعب ، بيروت ، ب.ت. ، جـ ١ صص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

( ٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١١٣ .

( ١٠ ) الجرف : اسم موضع قريب من المدينة . راجع محمد يوسف ، حياة الصحابة ، جـ ١ ص ٤٠٧ .

( ١١ ) ابنى : اسم موضع من فلسطين بين عسقلان والرملة . راجع محمد يوسف ، حياة الصحابة ، جـ ١ ، ص ٤٠٦ .

( ١٢ ) المقدسي ، مطهر بن طاهر ، البدء والتاريخ ، جـ ٥ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، عن طبعة باريس ، ١٩١٩م ، ص ١٥٢ .

( ١٣ ) خليفة بن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٦٥ . وانظر : ابن حيان ، كتاب الثقاة ، جـ ٢ ، ص ١٦١ .

( ١٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، صص ١١٤ - ١١٥ . وانظر : ابن خلدون ، جـ ٢ ، ص ٢٢٧ .

( ١٥ ) ابن عساكر ، تاريخ دمشق الكبير ، جـ ١ ، ص ٤٦٥ ، ١٩٧٩م .

( ١٦ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ .

( ١٧ ) الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد ( ت : ٢٠٧هـ ) ، فتوح الشام ، تحقيق عبدالله

الشرقاوي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ب.ت.، ص ٤ .

( ١٨ ) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، جـ ١ ، ص ١٠٥ .
( ١٩ ) ابن شبه ، أبو زيد عمر النميري ( ت : ٢٦٢هـ ) ، تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مكة المكرمة ، ١٩٧٩ ، جـ ٢ ، ص ٦٨٠ .
( ٢٠ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ .
( ٢١ ) ابن حبان ، كتاب الثقاة ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ .
( ٢٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، صص ٤١٢ - ٤١٣ .
( ٢٣ ) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، جـ ١ ، ص ١٠٧ .
( ٢٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ٤١٣ .
( ٢٥ ) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ١ ، صص ٢٤٠ - ٢٤١ .
( ٢٦ ) الشيباني ، كتاب السير الكبير ، جـ ١ ، ص ٣٥ .
( ٢٧ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، صص ١٤٥ - ١٤٦ .
( ٢٨ ) اليعقوبي ، تاريخ ، المجلد ٢ ، ص ١٤٧ .
( ٢٩ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ١٥١ .
( ٣٠ ) م. ن. ، جـ ١ ، ص ١٥٢ .
( ٣١ ) المقدسي ، مطهر بن طاهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٥ ، ص ١٦٩ . ابن خلدون ، تاريخ ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، صص ٩٠٧ـ ٩٠٨ .
( ٣٢ ) خليفة بن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٩٢ . ومحمد يوسف الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، جـ ١ ، ص ٤٢٧ .
( ٣٣ ) المقدسي ، جـ ٥ ، ص ١٨١ .
( ٣٤ ) خليفة بن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ١٣١ .
( ٣٥ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ .
( ٣٦ ) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ص ١١٣ .
( ٣٧ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ .
( ٣٨ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ .
( ٣٩ ) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ .
( ٤٠ ) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ص ١١٦ .
( ٤١ ) ابن شبه ، تاريخ المدينة المنورة ، جـ ٣ ، ص ١٠١٩ .
( ٤٢ ) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ص ١١٧ .
( ٤٣ ) ابن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ( ت : ٢٤١هـ ) ، المسند ، شرح وفهرسة أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، جـ ٦ ، ص ٢٨٥ .
( ٤٤ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ .
( ٤٥ ) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، جـ ١ ، ص ١١٤ .

( ٤٦ ) ابن شبه ، تاريخ المدينة المنورة ، جـ ٢ ، ص ١٢٠٧ .
( ٤٧ ) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، جـ ١ ، ص ١١٦ .
( ٤٨ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٠ .
( ٤٩ ) المحب الطبري ، أبو جعفر أحمد ، ( ت : ٦٩٤هـ ) ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ .
( ٥٠ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ، ص ٢٦٧ .
( ٥١ ) المقدسي ، البدء والتاريخ ، جـ ٥ ، ص ١٩١ .
( ٥٢ ) ابن شبه ، تاريخ المدينة المنورة ، جـ ٣ ، ص ٩٢٤ .
( ٥٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، صص ٤٣٢ - ٤٣٣ .
( ٥٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ٤٣٣ .
( ٥٥ ) الشيباني ، كتاب السير الكبير ، جـ ١ ، صص ١٥ - ١٦ .
( ٥٦ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ صص ١٦٤ - ١٧٢ .
( ٥٧ ) لمزيد من التفاصيل ، انظر : د. عبدالقادر المعاضيدي ود. محمد المشهداني ، عثمان بن عفان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٩ ، من ص ٩٥ الى ص ١٤٣ .
( ٥٨ ) المعلومات الواسعة عن الفتنة ، ينظر : م. ن. ، ص ١٦٥ .
( ٥٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ٤٠٦ .
( ٦٠ ) خليفة بن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ١٥٨ . والبلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٨٥ .
( ٦١ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٧٩ . وتاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ١٦٥ .
( ٦٢ ) ابن اعثم ، كتاب الفتوح ، جـ ٢ ، ص ١١ .
( ٦٣ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، جـ ٢ ، صص ٧١ - ٧٢ .
( ٦٤ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤٧٩ . وخليفة بن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ١٣٣ .
( ٦٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ٤٣٣ .
( ٦٦ ) م. ن. ، جـ ٤ ، ص ٤٣٣ .
( ٦٧ ) م. ن. ، جـ ٤ ، ص ٤٣٤ .
( ٦٨ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٨١ . وابن اعثم ، كتاب الفتوح ، جـ ١ ، صص ١١٧ - ١١٨ .
( ٦٩ ) ابن اعثم ، كتاب الفتوح ، جـ ٢ ، صص ١٢٣ - ١٢٤ .
( ٧٠ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٨٨ .
( ٧١ ) ابن عبدالحكم ، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ( ت : ٢٥٧هـ ) ، فتوح مصر وأخبارها ، طبعة ليدن ، ١٩٢١ ، ص ١٧٠ .
( ٧٢ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٦٦ .
( ٧٣ ) خليفة بن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ص ١٣٣ . تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ١٦٤ .
( ٧٤ ) ابن اعثم ، كتاب الفتوح ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ .

( ٧٥ ) ابن عبدالحكم ، فتوح مصر ، صص ١٨٣ - ١٨٤ .
( ٧٦ ) خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص ١١٤ . ويقول اليعقوبي ان خلافته كانت سنة خمس وثلاثين . أنظر : تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ١٧٨ .
( ٧٧ ) العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، المجلد الثاني ، دار العلوم الحديثة ، ط ١ ، مصر ، ١٣٢٨هـ ، ص ٥٠٨ .
( ٧٨ ) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٦٦٥ .
( ٧٩ ) ابن الاثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ١١٢ .
( ٨٠ ) العسقلاني ، الاصابة ، جـ ٣ ، ص ٥٠٨ .
( ٨١ ) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ص ١٢ .
( ٨٢ ) ابن الاثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٦٣ .
( ٨٣ ) م. ن. ، جـ ٤ ، صص ٦٥ - ٦٦ .
( ٨٤ ) سورة البقرة ، الاية (٢٠٧) .
( ٨٥ ) ابن الاثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ١٠٨ .
( ٨٦ ) م. ن. ، جـ ٤ ، ص ١١١ .
( ٨٧ ) القلقشندي ، مآثر الانافة ، في معالم الخلافة ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، جـ ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٤ .
( ٨٨ ) ابن الاثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ١٢ .
( ٨٩ ) اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ . وانظر : القلقشندي ، مآثر الانافة ، جـ ١ ، ص ١٠١ .
( ٩٠ ) ابن الاثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ١٠٠ .
( ٩١ ) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، صص ١٢١ - ١١٢ .
( ٩٢ ) القلقشندي ، مآثر الانافة ، جـ ١ ، ص ١٠٠ .
( ٩٣ ) سورة البقرة ، الاية (٢٧٤) .
( ٩٤ ) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٢٨١ .
( ٩٥ ) ابن حبان ، كتاب الثقات ، جـ ٢ ، صص ٢٦٩ - ٢٧٠ .
( ٩٦ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ ،
( ٩٧ ) محمد عبده نهج البلاغة ، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا علي بـ أبي طالب عليه السلام ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٩٨٦ ، جـ ٢ ، ص ٦٧ .
( ٩٨ ) م. ن. ، جـ ٢ ، ص ٢٤٢ .
( ٩٩ ) ابن الاثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ١٠٩ .
( ١٠٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٥ ، ص ٨١ .
( ١٠١ ) أنظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ . والطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، صص ٥٨١ - ٥٩٢ حول يوم الجمل ويوم صفين . والمسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، صص ٣٦٠ - ٣٨٤ .

## المبحث الثاني

# حركات تحرير الشام
# ( أنموذج معركة اليرموك )

بعد ان اتخذ الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ قراره ( الستراتيجي ) بحركة القوات العربية الإسلامية من المدينة المنورة الى الشام لتحريره[1] ، وتدمير قوات الروم في عقر دارها ، وبعد ان أصدر توجيهاته للقادة ذات الصلة بالإستعداد القتالي ، وترسيخ مبادىء العدل والثبات[2] ، قام خطيباً في المقاتلين ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ( ﷺ ) وقال : « ان لكل أمر جوامع ، فمَنْ بلغها فهي حسبه ، ومَنْ عمل لله كفاه الله . عليكم بالجد والقصد ، فان القصد أبلغ ، إلا انه لا دين لاحد لا إيمان له ، ولا أجر لمَنْ لا حسبة له ، ولا عمل لمَنْ لا نية له ، وان في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله ، لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به ، هي تجارة دل الله عليها ، ونجى بها من الخزي وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة »[3] . وهكذا نجد ان الخليفة أبا بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ قد عمّق في هذه الخطبة مبادىء الإيمان والجهاد في نفوس المقاتلين وهما المرتكزان الاساسيان للروح المعنوية في صدر الإسلام . وعندما تقدمت القوات باتجاه مقاصدها[4] ، كانت قوات يزيد بن أبي سفيان أولى القوات التي دخلت الشام ووصلت الى تبوك قبل وصول الروم بثلاثة أيام[5] . وكان الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ قد أصدر أمراً للقادة بجعل أبي عبيدة عامر بن الجراح قائداً ميدانياً أعلى لهم في حالة اجتماعهم[6] .

ولما بلغ الروم تقدم القوات العربية الإسلامية كتبوا بذلك الى هرقل ، فلما علم هرقل بذلك أعد قواته الكبيرة وعباها ، وأرسل أخاه تذارق على رأس قوة كبيرة الى قوات عمرو بن العاص التي كانت تتقدم باتجاه فلسطين[7] . وبعث الدراقصي باتجاه قوات شرحبيل بن حسنة ، وأرسل الفيقار بن شطوس في قوة كبيرة باتجاه قوات

أبي عبيدة عامر بن الجراح . وكان قد أرسل جَرجَة بن تونرا باتجاه قوات يزيد بعد وصولها الى تبوك فعسكر أمامه[٨] ، وكان لهذا الموقف تاثير سلبي على الروح المعنوية للمقاتلين العرب المسلمين ، خاصة وان حجم قوات الروم كبير جداً نسبة الى حجم القوات العربية الإسلامية التي لم تكن مجتمعة في مكان واحد . وبرز هنا دور القادة العسكريين الميدانيين ، فنجد ان يزيد بن أبي سفيان عزز من الروح المعنوية لمقاتليه في خطبته التي ألقاها في صفوفهم بعد وصول قوات الروم بقيادة جَرجَة والتي قال فيها : « اعلموا ان الله وعدكم بالنصر ، أيدكم بالملائكة وقال الله تعالى في كتابه العزيز : كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين وقد قال نبينا ( ﷺ ) الجنة تحت ظلال السيوف وأنتم أول جند دخل الشام وتوجه لقتال بني الاصفر ، فإياكم أن تطمعوا العدو فيكم وانصروا الله بنصركم »[٩] .

وبذلك ذكَّر يزيد قواته بمواقفهم السابقة والتي نصرهم الله عز وجل فيها ، وعزز فيهم قيمة الصبر التي تنتج عن الإيمان ، وتثمر الجهاد في سبيل الله . ولكي يعد العدة لتحقيق النصر ويصعد الروح المعنوية لدى المقاتلين العرب المسلمين تقدم القائد عمرو بن العاص باقتراح الى القادة الآخرين يحثهم فيه على ضرورة الاجتماع وتحشيد القوات لمجابهة قوات الروم ، فراسل القادة الآخرين بقوله : « ان مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة ، وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرن فيه لأحد ممن استقبلنا ، وأعد لكل طائفة منا ، فاتعدوا اليرموك لتجتمعوا به »[١٠] .

ولما تسلم القادة هذا الاقتراح اتفقوا عليه ، فارسل أبو عبيدة عامر بن الجراح الى الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ قائلًا : « بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله أبي بكر خليفة رسول الله ( ﷺ ) من عامر بن الجراح ، أما بعد فاني أسأل الله عز وجل أن يعز الإسلام وأهله عزاً كثيراً . وأن يفتح للمسلمين فتحاً مبيناً ، واني أخبر الخليفة ان هرقل ملك الروم قد تنحى من بين أيدينا ونزل مدينة يقال لها انطاكية وقد بعث أهل مملكته فحشرهم الى ما قبله وقد اجتمع إليهم منهم خلق كثير ، وهم يزيدون على ثمانين ألفاً سوى ما في سائر المدائن بالشام من الخيل والجنود . وقد أحببت أن أعلمك لترى فيه رأيك ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[١١] .

وحال وصول الرسالة اتخذ الخليفة ـ رضيَ الله عنه ـ عدداً من قرارات ، كان في مقدمتها دعوته للاجتماع في اليرموك متفقاً مع اقتراح عمرو بن العاص ، فارسل الى

القادة يشعرهم بذلك في قوله : « ان اجتمعوا فتكونوا عسكراً واحداً ، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين . فانكم أعوان الله والله ناصر مَنْ نصره وخاذل مَنْ كفره ، ولن يؤتى مثلكم من قلة ، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة إذا أتوا من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين »[١٢] .

ويتضح من هذا التوجيه ، ان الخليفة أبا بكر اصديق ـ رضيَ الله عنه ـ أكد الاجتماع والتساند وبذلك حقق واحداً من أهم مبادىء الحرب ، ألا وهو مبدأ حشد القوات[١٣] وعدم تشتيتها ، وهو المبدأ الذي يؤدي بدوره أيضاً الى مستوى الروح المعنوية للمقاتلين من خلال إضفاء روح العمل الجماعي والتعاون ، والشعور بالكثرة والقوة . وبهذا حقق الخليفة ـ رضيَ الله عنه ـ التوازن المعنوي للقوات بعدم شعور المقاتلين بقلتهم بازاء قوات الروم التي تحشدت أمامهم .

أما الرسالة الاخرى التي بعثها الخليفة ـ رضيَ الله عنه ـ ، فكانت موجهة الى أبي عبيد عامر بن الجراح يشعره بالإمدادات ويعزز من روحه المعنوية ويشد من عزمه ، حيث جاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله بن عثمان خليفة رسول الله ( ﷺ ) الى أبي عبيدة عامر بن الجراح ، أما بعد فقد أتاني كتابك فقرأته وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم ونزوله بانطاكية ، فأما نزوله بها فان ذلك هزيمة له ولأصحابه وفتح من الله عز وجل عليك وعلى المسلمين إن شاء الله عز وجل ، وأما حشده إليه الجنود من أهل مملكته وجمعه لهم ولكم الجموع فان ذلك ما كنا نعلم وتعلمون انه سيكون ذلك منهم ، وقد علمت يا أبا عبيدة انه ما كان قوم ليتركوا ملكهم وسلطانهم بغير قتال ، ومعك بحمد الله رجال يحبون الموت كحب الحياة ويحتسبون في حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم ولا تستوحش لقلة مَنْ معك من أصحابك ، فقد علمت ان رجلا واحداً من المسلمين أكثر من ألف رجل من المشركين ، فباشرهم بنفسك والقهم بجندك فان الله عز وجل معك ، فثق به فانه منجز وعده وناصر عبده ، وأنا مع ذلك ممدك بالخيل بعد الخيل والجنود بعد الجنود حتى تكتفي إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[١٤] .

يتبين من الرسالة التي بعث بها أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ بوصفه الخليفة والقائد العام للقوات المسلحة أراد أن يرفع من الروح المعنوية للقائد الميداني الاعلى أبي عبيدة عامر بن الجراح ليضمن رفع معنويات المقاتلين في

مجال العلاقة التأثيرية بين القائد والمقاتلين في الروح المعنوية . وكانت توجيهات الخليفة وإشادته تستند الى جانب مادي أيضاً لرفع الروح المعنوية ، من خلال إشعار أبي عبيدة بن الجراح بانه ممده بالقوات المعززة له . وبالفعل فقد قام أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ في المدينة خطيباً يندب الناس قائلا : « يا أيها الناس ، ان إخوانكم من المسلمين الذين أغزيناهم الى الشام الى جهاد عدوهم معافون مدفوع عنهم مصنوع لهم ، وقد ألقى الله الرعب في قلوب أعدائهم ، وقد جاءني كتاب أبي عبيدة يخبرني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم ، ونزوله مدينة انطاكية ، وقد اجتمع عليه خلق كثير من النصرانية ، وقد رأيت ان أمد اخوانكم بجند منكم فيشد الله عز وجل ظهورهم ويكبت بكم أعداءهم ويلقي الرعب في قلوبهم »[١٥] .

وما ان أكمل الخليفة خطابه حتى انتدب إليه أعداداً كبيرة من جميع القبائل العربية لتعزيز القوات العربية الإسلامية المتحشدة في اليرموك .

ولغرض تعزيز الروح المعنوية للقادة الاخرين ، فقد بعث الخليفة ـ رضيَ الله عنه ـ برسائل لهم أشار الى ما هذا نصه : « أما بعد فقد بلغني جمع الروم بانطاكية وكثرتهم واحتشادهم وما قد أزمعوا عليه من أمورهم ، وقد علمتم إنَّا كنا مع رسول الله ( ﷺ ) فكان الله تبارك وتعالى ينصرنا ويمدنا بالملائكة الكرام الابرار ، وان ذلك الدين الذين ندعو الله الناس ونقاتلهم عليه هو هذا الدين ، فوربكم لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين ، ولمَنْ شهد بشهادة الحق كمَنْ يكفر بالرحمن ، وقد كتبت الى أبي عبيدة عامر بن الجراح بنظير هذا الكتاب فانظروا إن قضى الله عز وجل لكم مع الروم حرباً فالقوهم بقلوب شديدة وآراء عتيدة فان الله عز وجل معكم ولن يخذلكم فقد أخبركم في كتابه ان الفئة القليلة من أوليائه تغلب الفئة الكثيرة من أعدائه ، فثقوا بالله وارضوا به ، وأنا مع ذلك معدكم بخيل ورجال حتى تكتفوا ولا قوة إلا بالله »[١٦] .

وما ان علم هرقل بانباء التحشد العربي الإسلامي في المدينة المنورة بعد ان انتدب الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ الناس لتعزيز القوات العربية الإسلامية في الشام ، حتى كتب الى بطارقته يطلب منهم سرعة التحشد في سهل الواقوصة وتوزيع قواتهم فيه بقوله : « ان اجتمعوا لهم ، وانزلوا بالروم منزلًا واسع الطعن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وعلى الناس التزارق ، وعلى المقدمة جرجة ، وعلى مجنبتيه باهان والدراقص ، وعلى الحرب الفيقار »[١٧] .

وبعد تشاور القائد العام ، الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ مع كبار

الصحابة عن الموقف العسكري في الشام والعراق ، قرر إناطة مسؤولية قيادة العمليات ضد الروم من الشام الى خالد بن الوليد ، والإيعاز له لحركة الى الشام بنصف القوات التي معه بعد ان يستخلف على العراق أحد القادة الذي يعتمد عليهم[١٨] ، لما يتميز به خالد بن الوليد من حنكة وفطنة وشخصية عسكرية قيادية فهو الذي أسماه رسول الله ( ﷺ ) « سيف الله المسلول »[١٩] . وفي ذلك قال أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ : خالد لها[٢٠] ، والله لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد[٢١] .

أرسل الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ الى خالد بن الوليد وهو في الحيرة قائلا : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من خليفة رسول الله ( ﷺ ) الى خالد بن الوليد ، أما بعد فقد ورد عليَّ من خبر الشام ما قد أقلقني وأرقني وضقت به نرعاً ، فإذا ورد عليك كتابي هذا وأنت قائم فلا تقعد ، وإن كنت راكباً فلا تنزل ، وذر العراق وخلف عليها مَنْ تثق به من أهلها الذين قدمت عليهم وأمضِ مخفاً في أهل القوة من أصحابك الذين قدموا معك من اليمامة والحجاز حتى تأتي الشام فتلقى أبو عبيدة عامر بن الجراح ومَنْ معه من المسلمين فان العدو قد جمع لهم جمعاً عظيماً وقد احتاجوا الى معونتك فإذا أنت أتيت المسلمين في الشام فانت أمير الجماعة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[٢٢] . فما إن وصلت هذه الرسالة حتى تفتقت تلك الروح المعنوية العالية التي تحلّى بها خالد بن الوليد وقال : سمعاً وطاعة لخليفة رسول الله ( ﷺ )[٢٣] ، ودعى المثنى بن حارثة الشيباني واستخلفه على العراق[٢٤] ، ثم جمع أصحابه الذين قدم بهم من الحجاز واليمامة فكانوا سبعة آلاف فارس ، فخرج بهم خالد من الحيرة متوجهاً الى الشام[٢٥] . ولما بدأ خالد بن الوليد بالحركة الى الشام بعث برسالتين ، الأولى موجهة الى المقاتلين العرب المسلمين في الشام يشحذ بها هممهم ويرفع من روحهم المعنوية ويغرس الامل بالنصر في نفوسهم قائلا : « بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد الى أبي عبيدة عامر بن الجراح ومَنْ معه من المسلمين والمؤمنين ، سلام الله عليكم ، أما بعد فاني أسأل الله عز وجل الذي أعزنا بنصره وشرفنا بدينه وأكرمنا بنبيه ( ﷺ ) أن يتم علينا وعليكم نعمه ، وان يصرف عنا وعنكم نقمته ، وان يزيدنا عزاً ونصراً وتأييداً انه ولي قدير ، وبعد فاني أخبركم ان كتاب أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ( ﷺ ) ورد عليَّ بالعراق يامرني فيه بالمسير الى ما قبلكم لمعونتكم على أعدائكم ، فشمرت وانكمشت

وبادرت وأسرعت وما أقربني منكم وكاني قد اشرفت عليكم بخيلي ورجالي أميراً عليكم وعلى جماعتكم ، فابشروا بانجاز وعد الله عز وجل وحسن ثوابه ، عصمنا الله وإياكم بالتقوى وجنبنا وإياكم البلوى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[٢٦] . فلما قرأه أبو عبيدة عامر بن الجراح تبسم وقال :« السمع والطاعة لله تعالى ولخليفة رسول الله ( ﷺ ) » ، ثم اعلم المسلمين بعزله وولاية خالد بن الوليد على القوات[٢٧] . أما الرسالة الثانية فقد بعث بها الى أبي عبيدة عامر بن الجراح أيضاً ، ولكنها ذات طابع شخصي يؤكد له فيها ان تعيينه قائداً عليه لا يعني انه أقل منه قدرة وكفاءة ، معبّراً عن الإيثار الذي تمتع به ، وداعماً للروح المعنوية العالية التي تمتع بها أبو عبيدة عامر بن الجراح ، فجاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الى أبي عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة ، من خالد بن الوليد أما بعد فاني أسال الله لنا ولكم الأمن من يوم الخوف والعصمة من كل سوء في دار الدنيا ، فان كتاب خليفة رسول الله ( ﷺ ) ورد إليّ يامرني بالمسير الى الشام والقيام بحربها وتولي أمرها . والله ما ظننت ذلك قط ، ولا أدريه ولا كتبت فيه ، وإذا قد وليته فانت على حالتك لا نعصيك ولا نخالفك ولا نقطع أمراً دون أمرك فانك سيد في المسلمين ، لا ينكر فضلك ولا يستغنى عن رأيك ، تمم الله عز وجل بنا وبك من إحسانه ورحمنا وإياك من صلي نيرانه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »[٢٨] .

وفي هذه الرسالة نجد ان خالد بن الوليد قدم اسم أبي عبيدة عليه في مقدمتها إيثاراً واحتراماً وحرصاً على تقوية صفوف المسلمين وعدم التاثر بهذا التغيير ، لان القصد من العمليات العسكرية هي إعلاء كلمة الله عز وجل ، وليس إظهار الذات البشرية في مجال الانتفاع أو الشهرة ، وبذلك كانت تتسم الروح المعنوية في نفوس المقاتلين العرب المسلمين وتتصاعد ، فيقبلوا على القتال بعزم وشجاعة وصبر تجاه المخاطر مهما تفاقمت واشتدت . كانت حركة جيش القائد خالد بن الوليد من العراق الى الشام مدعاة للفخر العسكري العربي الإسلامي ، فهي مأثرة عسكرية عبّرت عن الفكر العسكري الخلاق الذي تحلى خالد بن الوليد بها . ولسنا بصدد مناقشتها أو تناولها ، إلا اننا سنكتفي بالإشارة الى انها كانت قد أسهمت في تعزيز الروح المعنوية للقوات العربية الإسلامية لكونها حققت سرعة مذهلة في التنقل والوصول عبر مناطق صحراوية قاحلة تعاني من نقص المؤن والماء والدلالة[٢٩] .

وخلال مسيرته ، مرّ على عدد من المناطق حتى وصل بطرس[٣٠] ، وكانت قوات

شرحبيل بن حسنة مشتبكة مع الروم حيث اجتمع عليهم اثنا عشر ألف فارس من الروم[٣١] ، وقاتل المسلمون قتالاً باسلا وصبروا حتى رفع شرحبيل بن حسنة يديه الى السماء داعياً الله عز وجل قائلا : « يا حي يا قيوم ، يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم انصرنا على القوم الكافرين »[٣٢] ، ولم يزل في دعائه حتى جاءهم المدد فقربت منهم الخيول والرايات المحمدية ، بضمنها راية العقاب ، وسابق لهم فارسان أحدهما ينادي ويصيح ، يا شرحبيل بن حسنة ، إبشر بالنصر لدين الله أنا الفارس الصنديد والبطل المجيد ، أنا خالد بن الوليد[٣٣] . فكانت هذه الصفقة بمثابة المدد المعنوي الكبير للقوات العربية الإسلامية ، حيث شحذت الهمم ، واندفع المقاتلون فحسموا النصر سريعاً ضد الروم في تلك المعركة . وعودة الى تحشد قوات الروم في سهل الواقوصة نجد ان عمرو بن العاص قال : « أيها الناس إبشروا حصرت والله الروم ، وقل ما جاء محصور بخير »[٣٤] . مستبشراً بالنصر قبل وقوع المعركة ومعززاً الروح المعنوية في نفوس مقاتليه .

ولو استعرضنا كافة الرسائل المتبادَلَة بين القادة العرب المسلمين ، سواء الموجهة من القائد العام، الخليفة أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ الى أبي عبيدة عامر بن الجراح أو خالد بن الوليد أو الى القادة الميدانيين الآخرين ، أو المتبادلة فيما بينهم والتي سبق ذكرها لأصبح من الواضح ان حسم معركة اليرموك كان لصالح القوات العربية الإسلامية قبل نشوبها ، حيث ان النصر كان محسوماً في صدور هؤلاء القادة من خلال إيمانهم العميق بالله عز وجل ونصره لهم ، ومن خلال ثقتهم الكبيرة بالصبر والشجاعة التي كان يتحلى بها رجالهم في جهادهم في ساحات القتال ، وبالطبع فان كِلا الاتجاهين : الإيمان والجهاد كانا كما ذكرنا ، المرتكزين الأساسيين لرفع مستوى الروح المعنوية .

فالقائد العام أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ كان يعمّق الإيمان بالله في نفوس المقاتلين لنيل النصر في إحدى رسائله بالقول : « انكم أعوان الله ، والله ناصر مَنْ نصره »[٣٥] . وفي رسالة أخرى يقول : « معك بحمد الله رجال يحبون الموت كحب الحياة . ولا تستوحش لقلة مَنْ معك من أصحابك ، فقد علمت ان رجلًا واحداً من المسلمين أكثر من ألف رجل من المشركين »[٣٦] . وفي رسالة ثالثة يقول : « ان الله عز وجل لن يخذلكم وقد أخبركم في كتابه ان الفئة القليلة من أوليائه تغلب الفئة الكبيرة من أعدائه »[٣٧] . أما رسائل القادة فان أبا عبيدة عامر بن الجراح أشعر

الخليفة ـ رضيَ الله عنه ـ بالموقف وطلب الإمدادات منه لمجابهة حشد الروم ، ولكنه في الوقت نفسه عزز من الروح المعنوية للخليفة ـ رضوان الله عليه ـ بقوله : « ان هرقل ملك الروم قد تنحى من بين أيدينا »[٣٨] . وعمرو بن العاص يقول في رسالته : « ان مثلنا إذا جتمع لم يغلب من قلة »[٣٩] . أما خالد بن الوليد فقال : « إبشروا بانجاز وعد الله عز وجل وحسن ثوابه »[٤٠] .

كان حجم قوات الروم في معركة اليرموك يقدر بمائتين وأربعين ألف رجل ، منهم ثمانون ألف مقيد ( أربعون ألف مسلسل للموت ، وأربعون ألفاً موثقون بالعمائم ) ، وثمانون ألف فارس وثمانون ألف راجل . أما القوات العربية الإسلامية فلم تتجاوز ستة وثلاثين ألف مقاتل بعد وصول قوات خالد بن الوليد[٤١] .

ويبدو لنا من طبيعة قوات الروم وحجمها ان مستوى الروح المعنوية منهار قبل المعركة بحيث قاموا بتقييد عدد كبير من مقاتليه بالسلاسل خوفاً من هربهم ، فضلا عن حشدهم قوة تزيد على القوات العربية الإسلامية بقرابة سبعة أضعاف . وبالطبع فان هذا الموقف المعنوي المنهار أسهم في رفع مستوى الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي . بحيث تمكن من حسم المعركة بوقت قصير بعد نشوبها .

وكان من أسباب انخفاض المستوى المعنوي لجيش الروم هو إرسالهم لرجل منهم يتكلم العربية ليستطلع موقف القوات العربية الإسلامية ، فدخل معسكر المسلمين، وأقام فيهم يوماً وليلة[٤٢] . ثم أتى الروم فقال لهم : « جئتكم من عند رجال رقاق يركبون خيولًا مشاقاً ، أما بالليل فرهبان ، وأما بالنهار ففرسان ، يريشون النبل ويبرونها ويقومون القنا »[٤٣] .

كان لتنظيم الجيش الذي اعتمده خالد بن الوليد قبل نشوب المعركة أثر بالغ في الروح المعنوية للمقاتلين فنظَّم الجيش في ستة وثلاثين كردوساً وقال : « ان هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، وان عدوكم قد كثر وطغى وليس من التعبئة تعبئة أكثر من رأي العين من الكراديس »[٤٤] . وكان ضمن التنظيمات العسكرية التي نظُمت في هذه المعركة إستحداث منصبي القاص والقارىء . فكان أبو سفيان بن حرب يشغل منصب القاص ، بينما شغل منصب القارىء المقداد بن الاسود ، وكان لهما دور أساس في شحذ الهمم ورفع الروح المعنوية ، فكانا يقومان بزيارات متواصلة للقطعات العسكرية في مناطق تحشدها لتوضيح أهداف المعركة في نشر الدين الإسلامي الحنيف وإعلاء كلمة الله عز وجل وإجهاض نوايا العدو في

النيل من العروبة والإسلام . وهي مسؤولية القاص ، فكان أبو سفيان بن حرب يقف على الكراديس ويقول : « الله الله ، انكم ذادة العرب وأنصار الإسلام ، وانهم ذادة الروم وأنصار الشرك ، اللهم ان هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك »[٤٥] .

أما المقداد بن الاسود فكانت مهمته قراءة سورة الجهاد ، وهي سورة الانفال ، وهي السُنة التي سنّهارسول الله ( ﷺ ) بعد معركة بدر[٤٦] .

كان القادة الميدانيون يخطبون في صفوف مقاتليهم ويحثوهم على الجهاد والصبر ويعززوا روحهم المعنوية بشكل واسع ، فكان خالد بن الوليد يشير الى حجم القوات العربية نسبة الى قوات الروم بالقول : « ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال والله لوددت انهم اضعفوا في العدد »[٤٧] .

أما أبو عبيدة عامر بن الجراح فكان ينادي مقاتليه قائلا : « عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، يا معشر المسلمين اصبروا ، فان الصبر نجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار »[٤٨] . وفي توجيهاته لهم قال أيضاً : « لا تبرحوا مكانكم ولا تخطوا إليهم خطوة واحدة ، ولا تبدؤهم بالقتال وشددوا الرمح واستتروا بالدروع والزموا الصمت إلا من ذكر الله في نفوسكم حتى آمركم »[٤٩] .

أما معاذ بن جبل فقد كان يسير في صفوف المقاتلين ويذكّرهم ويحرّضهم على مقاتلة الاعداء ويثني عليهم ويرفع روحهم المعنوية بالقول : « يا أهل القرآن ، يا مستحفظي الكتاب وأشعار الحق والهدى والرحمة ، ان رحمة الله لا تُنال وجنته لا تُدخل بالاماني ولا يولي الله المغفرةوالرحمة الوآسعة إلا الصادق المصدق ألم تسمعوا قول الله عز وجل وعد الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الى آخر الآية واستحيوا رحمكم الله من ربكم ان يراكم فارين من عدوكم وأنتم في قبضته وليس لكم ميل دونه ، ولا عز بغيره »[٥٠] .

أما عمرو بن العاص فكان يؤكد على مقاتليه بالسيطرة على الرمي وضبط النفس واستخدام الاسلحة في آنٍ واحد لإيقاف زخم الهجوم المعادي . ثم القيام برد فعل سريع بتنفيذ الهجوم المقابل الآتي بقوله : « غضوا الابصار واجثوا على الرُكب واشرعوا الرماح ، فإذا حملوا عليكم ، فاحملوهم حتى إذا ركبوا الاسنّة فثبوا في وجوههم وثبة الاسد فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم فانكم لو صدقتموهم الشد تطاير

أولاد الحجل »[٥١] .

ولما نشب القتال ، واندفع الرجال من القوات العربية الإسلامية بروح معنوية عالية ينتزعون النصر بإرادة لا تلين ، كان القائد خالد قد أمر عمرو بن العاص لغلق مدخل الواقوصة على الروم بقواته . وبالفعل نفذ عمرو هذا الامر بعد ان قال مقولته الشهيرة : « أيها الناس إبشروا حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير »[٥٢] . ثم أصدر خالد أوامره الى الجناحين الايمن والايسر للقوات الرئيسة والتي كان يقودهما كل من عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمر التميمي للهجوم على قوات الروم ، فنفذ القعقاع الهجوم وهو يرتجز قائلًا :

يـــا ليتني ألقـــاك في الطـــرادِ

قبـــل اعتـــرام الجحفـــلِ الـــورادِ

وأنت في حلبتـــــك الــــــوراد[٥٣]

أما عكرمة بن أبي جهل فدخل المعركة قائلًا :

قـــــد علمت بهكنـــــة الجـــــواري

اني على مكـــرمـــــة أحـــــامي[٥٤]

ثم تزاحف الجيشان فاقتتلوا قتالا شديداً[٥٥] ، وشهد هذا القتال مواقف تنم عن روح معنوية عالية أسهمت في حسم المعركة لصالح الجيش العربي الإسلامي . من هذه المواقف ان قوات الروم تمكنت في مرحلة من المعركة من تحقيق خرق في صفوف الجيش العربي الإسلامي فاندفع عكرمة بن أبي جهل صارخاً في وجه القوم : « قاتلت مع رسول الله ( ﷺ ) في كل مواطن وأفر منكم اليوم » ، ثم نادى في صفوف المسلمين : « مَنْ يبايع على الموت ، فبايعه ضرار بن الازور والحارث بن هشام في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا أمام فسطاط خالد[٥٦] . وكان ضرار بن الازور قد اندفع مخترقاً صفوف الروم قاصداً أحد قادة الروم وهو وردان صاحب حمص .

وحفز ضرار الروح المعنوية لمقاتليه حين أنشد يقول :

المـــوت حق أين لي منـــه المفـــر

وجنـــة الفـــردوس خيـــر المستقـــر

هـذا قتـالي فـــاشهـدوا يـــا مَنْ حضر

وكـــل هـــذا في رضـــا رب البشـــر[٥٧]

وكان ضرار بن الازور يقود كردوساً في هذه المعركة[٥٨] ، فاخترق الروم وحمل

عليهم وحمل كردوسه في أثره ، وما طعن أحداً من الروم إلا قتله ، فقتل أعداداً كبيرة منهم وهو يصرخ برجاله ويقول : ﴿ إن الله يحبُ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص ﴾[٥٩] . وهو في اندفاعه هذا تمكن منه سهم فاصاب عضده الايمن ، فاحس بالالم ولكنه أصر أن ينتقم من الذي رماه ، فطعنه برمحه في قلبه ، ثم تمكن جمع من الروم من أخذ ضرار أسيراً .

وبعد ان علم خالد بن الوليد باسر ضرار أصدر أمراً الى ميسرة بن مسروت ومعه ألف فارس حيث كان قائداً لكردوس[٦٠] بالهجوم على الروم وفك أسر ضرار بن الازور إن كان حياً وجعل يقول في كردوس ميسره مؤججاً فيهم الروح المعنوية العالية :

اليـــوم يـــوم فـــاز فيـــه مَنْ صـــدق
لا أرهب المـــوت إذا المـــوت طـــرق
لاروين الـــرمـــح من نوي الحـــدق
لاهتكن البيض هتكـــاً والـــدرق
عسى أرى غـــداً مقـــام صـــدق
في جنـــة الخلـــد وألقى مَنْ سبق[٦١]

وبينما كان القائد خالد بن الوليد يترنم بهذه الأبيات إذ نظر الى فارس على فرس طويل وبيده رمح طويل ، وهو لا يبين منه إلا الحدق ، والفروسية تلوح من شمائله ، وعليه ثياب سود وحزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن وراءه ، وقد سبق أمام المقاتلين كانه نار فلما نظره خالد بن الوليد قال : « ليت شعري مَنْ هذا الفارس ، وأيم الله انه لفارس شجاع »[٦٢] . وقد حمل على قوات الروم فزعزع كتائبهم ، ثم غاب في وسطهم فما كانت إلا جولة الجائل حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء من الروم ، وقد قتل رجالًا وعرّض نفسه للهلاك غير مبالٍ ولا مكترث ، وكان رافع بن عميرةينظر له فما ظن إلا انه خالد بن الوليد . فاعجب خالد بهذا الفارس الذي شد من عزم الرجال ، فعزم خالد بن الوليد أن يقود كردوس ميسرة بن مسروق ويسند هذا الفارس .

وعندما وصلوا إليه قال له خالد : « لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله وأظهر شجاعته على الاعداء ، أكشف لنا عن لثامك ، فمال عنهم ولم يخاطبهم وانغمس في الروم ، وفي المرة الثانية ، أشار المسلمون عليه بالكشف عن نفسه أمام

الامير ، فخاطب الفارس خالد بن الوليد من تحت اللثام : « يا أمير لم أعرض عنك إلا حياء منك لانك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور وإنما حملني على ذلك اني محرقة الكبد ، زائدة الكمد » ، فقال لها مَنْ أنت ؟ قالت : أنا خولة بنت الازور المأسور بيد المشركين أخي ضرار ، إذ كنت مع بنات العرب وقد أتاني الساعي بان ضراراً أسير فركبت وفعلت ما فعلت[٦٣] .

ذلك كان فعل المرأة العربية المسلمة في صدر الإسلام ، فهي لم تكتفِ بضماد الجروح وتأمين الطعام والقاء أبيات الشعر لرفع الروح المعنوية للمقاتلين ، بل انها شاركت بالقتال الباسل فاسهمت في تأجيج طاقة هائلة من الروح المعنوية في نفوس المقاتلين ، وزعزعت الروح المعنوية للأعداء ، حتى ان الروم بعد ان شاهدوا خولة وتصوروها رجلًا قالوا : « لو كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة »[٦٤] .

ولم تكن خولة بنت الأزور المرأة الوحيدة التي قاتلت الروم في هذه المعركة ، فخرجت جورية بنت أبي سفيان في جولة قتال وقاتلت قتالًا شديداً مع زوجها[٦٥] .

تلك هي صور من مآثر الروح المعنوية في حركات تحرير الشام التي أثبت فيها الجيش العربي الإسلامي أن القوة العددية لا يمكنها باية حال ان تعوض عن الروح المعنوية التي تعد واحدة من أهم القوى القادرة على إحراز النصر . وهكذا رأينا ان قوة الروم في اليرموك سبعة أضعاف القوات العربية الإسلامية من حيث العدد ، إلا ان النصر كان حليف القوات التي تمتعت بروح معنوية عالية .

وفي هذاالصدد نشير الى ان هرقل قال وهو في أنطاكية لما قدمت جيوشه منهزمة : « أخبروني ويلكم مَنْ هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ، أليس هم بشر مثلكم ، قالوا : بلى قال : فانتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن . قال : فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم . فقال شيخ من عظمائهم : من أجل انهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم . ومن أجل إنّا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بما يسخط الله وننهى عما يرضي الله ونفسده في الارض »[٦٦] .

( ١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٤ .
( ٢ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ٤ .
( ٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٥ .
( ٤ ) كانت أهداف القوات ( حمص لابي عبيدة عامر بن الجراح ، دمشق ليزيد بن أبي سفيان ، الأردن لشرحبيل بن حسنة ، وفلسطين لعمرو بن العاص ) . والطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ .
( ٥ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ٥ .
( ٦ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ .
( ٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٥ .
( ٨ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .
( ٩ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ٣ ، ص ٥ .
( ١٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .
( ١١ ) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، جـ ١ ، ص ١٠١ . ويشير ابن حبان الى ان عمرو بن العاص هو الذي أرسل الى الخليفة يشعره بذلك . ابن حبان ، الثقات ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ .
( ١٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ صص ١٩٦ ـ ١٩٧ .
( ١٣ ) منير شفيق ، علم الحرب ، ص ٨٤ .
( ١٤ ) ابن أعثم ، الفتوح ، جـ ١ ، صص ١٠١ ـ ١٠٢ .
( ١٥ ) ابن أعثم ، الفتوح ، جـ ١ ، صص ١٠٣ ـ ١٠٤ .
( ١٦ ) م. ن. ، جـ ١ صص ١٠٢ ـ ١٠٣ .
( ١٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ . والواقوصة : سهل يقع شمال نهر اليرموك .
( ١٨ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ١٣ .
( ١٩ ) ابن حبان ، كتاب الثقات ، جـ ٣ ، ص ١٠١ .
( ٢٠ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ . وابن عساكر ، تهذيب ، جـ ١ ، ص ١٣٧ .
( ٢١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ .
( ٢٢ ) ابن عساكر ، تهذيب ، جـ ١ ، ص ١٣٧ . ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، أيام العرب في الإسلام ، ص ٢١٣ .
( ٢٣ ) ابن أعثم ، الفتوح ، جـ ١ ، صص ١٣٢ ـ ١٣٣ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ .

( ٢٤ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ١٣ .
( ٢٥ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٧٩ .
( ٢٦ ) ابن أعثم ، الفتوح ، ط ١ ، ص ١٣٤ . وقيل انهم تسعة آلاف أو ستة آلاف . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ .
( ٢٧ ) م. ن. ، جـ ١ ، صص ١٣٨ - ١٣٩ .
( ٢٨ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ١٤ .
( ٢٩ ) ابن أعثم ، كتاب الفتوح ، جـ ١ ، ص ١٣٩ .
( ٣٠ ) لمزيد من التفاصيل عن هذه الحركة . خليفة بن الخياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٧٠ . واليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ صص ١٣٣ - ١٣٤ . وابن حبان ، كتاب الثقات ، جـ ٢ ، ص ١٨٦ . وابن عساكر ، تهذيب ، جـ ١ ، صص ١٣٧ - ١٣٨ . والواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ١٣ .
( ٣١ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ١٤ .
( ٣٢ ) م. ن. ، جـ ١ ، ص ١٥ .
( ٣٣ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ١٥ .
( ٣٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ .
( ٣٥ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ .
( ٣٦ ) ابن أعثم ، الفتوح ، جـ ١ ، صص ١٠١ - ١٠٢ .
( ٣٧ ) م. ن. ، جـ ١ ، ص ١٠٣ .
( ٣٨ ) م. ن. ، جـ ١ ، ص ١٠١ .
( ٣٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨ .
( ٤٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ . ويقول اليعقوبي ان حجم قوات الروم ثلاثة مائة ألف ، أنظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٠٠ .
( ٤١ ) ابن حبان ، كتاب الثقات ، جـ ٢ ، ص ١٨٩ .
( ٤٢ ) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، جـ ١ ، ص ١٤٤ . والقنا : الرماح .
( ٤٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٨ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٨٢ .
( ٤٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ . ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، أيام العرب في الإسلام ، ص ٢١٨ .
( ٤٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ .
( ٤٦ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ .
( ٤٧ ) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٧ ، ص ٩١٨ .
( ٤٨ ) م. ن. ، جـ ٧ ، ص ٩١٨ .
( ٤٩ ) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، جـ ١ ، ص ١٦٣ .
( ٥٠ ) م. ن. ، جـ ٧ ، ص ٩١٨ .

( ٥١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٧ .
( ٥٢ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ .
( ٥٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ .
( ٥٤ ) ابن حبان ، الثقات ، جـ ٢ ، ص ١٨٩ .
( ٥٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٠١ .
( ٥٦ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ٢٤ .
( ٥٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ .
( ٥٨ ) سورة الصف ، الآية ( ٤ ) .
( ٥٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٩٩ .
( ٦٠ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ٢٤ .
( ٦١ ) م. ن. ، جـ ١ ، ص ٢٤ .
( ٦٢ ) الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ٢٥ .
( ٦٣ ) م. ن. ، جـ ١ ، ص ٢٥ .
( ٦٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٠١ .
( ٦٥ ) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، جـ ١ ، ص ١٤٤ .

## المبحث الثالث

# حركات تحرير العراق
# ( أنموذج معركة القادسية )

كان المثنى بن حارثة الشيباني يقاتل الفرس في أرض العراق ، ويحقق الانتصارات المتواصلة عليهم فلما بلغت أنباء هذه الانتصارات الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال : « ويحكم مَنْ هذا الذي تاتينا أخباره ووقائعه قبل معرفة خبره »[1] . فقال قيس بن عاصم بن سنان : « هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ولا ذليل الحسب . هذا المثنى بن حارثة الشيباني »[2] . ولما قدم المثنى الى الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ليستأذنه بمقاتلة الفرس وتأميره على قومه من المسلمين وافق أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على ذلك[3] . واستمر المثنى في قتاله للفرس في العراق[4] . وأرسل الى الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يطلب منه الإمدادات ، فلما تسلم الخليفة كتاب المثنى وضع خطته لتحرير العراق بأن يطبق على الفرس بفكي كماشة بجيشين أحدهما من الجنوب والآخر من الشمال بحيث يلتقيان بالحيرة فكتب الى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره أن يسير الى العراق ، فيدخله من جنوب العراق في منطقة الأبلة[5] وكتب الى عياض بن غنم وهو بين النباج والحجاز يأمره بالمسير حتى المصيخ[6] ، فيبدأ بها ويدخل العراق من أعلاه ثم يتجه الى الحيرة ، وأي منهما يصل قبل الآخر تكون القيادة له[7] . وكان المثنى بن حارثة الشيباني قد عمل بإمرةخالد بن الوليد .

خاض القائد خالد بن الوليد المعركة الأولى مع الفرس في منطقة الأبلة ، وهي معركة ذات السلاسل ، وكان خالد قد أرسل الى القائد الفارسي هرمز يدعوه الى الإسلام . أو الجزية قائلًا : « أما بعد ، فاسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة واقرر بالجزية وألا تلومن إلا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة »[8] . وكان لهذه الرسالة أثر كبير في تحطيم الروح المعنوية للفرس وحال

وصوله الى أرض المعركة عزز خالد من الروح المعنوية لقواته بالقول : « احملوا عليهم فاني أرى هيئة قوم قد ألقى الله في قلوبهم الرعب »[٩] . وبذلك انتصر على قوات الفرس بعد ان حسم النصر في صدور مقاتليه قبل نشوب القتال . واصل خالد تقدمه باتجاه الشمال وكان هرمز قد أرسل الى كسرى اردشير يشعره برسالة خالد بن الوليد وتقدمه من اليمامة إليه ، فارسل اردشير إمداداً له بقيادة قارن بن قريانس الذي خرج من المدائن حتى ان وصل الى المذار ( الثني )[١٠] . فوصلته أخبار هزيمة هرمز نمسكر هناك . فاقتحم خالد بن الوليد قوات الفرس وقتل قائدهم قارن ، وحقق انتصاراً ساحقاً قتل فيه أعداداً كبيرة من القوات الفارسية[١١] ، وبالرغم من قلة قوات الجيش العربي الإسلامي نسبة الى القوات الفارسية ، والراجح ان الروح المعنوية التي تحققت بسبب الانتصار الساحق في معركة ذات السلاسل كان لها الأثر البالغ في النصر الحاسم والسريع في معركة المذار .

شعر كسرى الفرس اردشير بالخوف على ملكه بعد معركتي ذات السلاسل والمذار فشكَّل قوة أوكل مهمتها الى ( الاندرزفر ) الذي خرج من المدائن حتى أتى كشكر ، ثم جاوزها الى الوَلْجة وتحشد فيها[١٢] لمنع خالد بن الوليد من مواصلة تقدمه نحو الشمال وما إن وصلت أخبار هذه القوة الى خالد بن الوليد قرر الزحف بجيشه نحو الولجة لمهاجمة الفرس وتقابل الفريقان ودارت معركة شديدة كان خالد بن الوليد قد استهدف فيها معنويات الفرس حيث أخفى خلفه قوتين من ناحيتين لعمل كمين ، وخلال الإشتباك تراجع خالد بن الوليد قليلا الى الوراء متظاهراً بالاندحار ، وما إن عقبته القوة الفارسية حتى أطبقت عليها القوتان العربيتان ، فاصاب الفرس الذعر الشديد وتحطمت معنوياتهم ، وتركوا أماكنهم وولّوا هاربين ، وأذكى خالد بن الوليد ، الروح المعنوية لمقاتليه ، ورغبهم بالقتال للحصول على منافع دنيوية فضلا على ثواب الآخرة[١٣] .

استمر خالد بن الوليد بتقدمه نحو الشمال محطماً القوات الفارسية في معارك أفصحت عن روح معنوية عالية للمقاتلين العرب المسلمين ، فكانت معارك أليس وانمغيشيا والمقر والحيرة[١٤] . وبعد ورود أمر الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ الى خالد بن الوليد بالحركة من العراق الى الشام ، واستخلاف أمر العراق الى المثنى بن حارثة الشيباني[١٥] ، وأخذه نصف القوة التي جاء بها من الحجاز واليمامة معه الى الشام[١٦] . أصبح الموقف حرجاً للمثنى بقواته القليلة الباقية ،

ولكن بالرغم من هذه الصعوبات أمر المثنى على الاستمرار بمقاتلة الفرس وتحقيق الانتصار عليهم ، لان الفشل في أي معركة ينعكس سلباً على الروح المعنوية ، وبالتالي على الوجود العربي في العراق . ولذلك وبعد خروج خالد بن الوليد الى الشام . خاض المثنى بن حارثة معركة بابل والتي قرر فيها الفرس استغلال فرصة حركة خالد بن الوليد ، فجهزوا جيشاً في عشرة آلاف وعين عليهم هرمز جانويه قائداً ، وأرسل كسرى الفرس شهربراز[١٧] الى المثنى رسالة حاول فيها تحطيم الروح المعنوية للقوات العربية الإسلامية فذكر فيها : « اني قد بعثت إليك جنداً من وحش أهل الفرس ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم »[١٨] إلا ان جواب المثنى بن حارثة الشيباني كان أقوى وأكثر تاثيراً في تعزيز الروح المعنوية للمقاتلين العرب المسلمين فاجابه : « من المثنى الى شهربراز إنما أنت أحد رجلين : إما باغٍ فذلك شر لك وخير لنا ، وإما كاذب فاعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس الملوك ، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فانكم إنما اضطررتم إليهم ، فالحمد لله الذي ردُّ كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير »[١٩] . وكان لهذا الجواب تاثيره البالغ على مستوى الروح المعنوية للفرس ، حيث اغتاضوا من ملكهم شهربراز وقالوا له : « جرأت علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم ، فإذا كاتبت أحداً فاستبشر »[٢٠] .

وأدت انتصارات الجيش العربي الإسلامي في هذه المعركة الى انهيار الروح المعنوية لكسرى شهربراز الذي توفي اثر الصدمة[٢١] .

لغرض مواصلة تحطيم القوات الفارسية ، فقد طلب المثنى بن حارثة الشيباني من الخليفة الأول أبي بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ تعزيزه بالإمدادات وكان قد قدم المثنى الى المدينة وأبو بكر ـ رضيَ الله عنه ـ على فراش الموت . وحال تولي عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ الخلافة ، ندب الناس مع المثنى لقتال الفرس ، فانتدب أبو عبيدة بن مسعود الثقفي ، الذي خاض معارك متواصلة حقق فيها انتصارات كبيرة على الفرس ، وعززت الروح المعنوية للمقاتلين ، حيث خاض معارك عديدة ، ابتدأت بمعركة النمارق والتي قتل فيها معظم القوات الفارسية وأسر قائدهم جابان[٢٢] ، والتي أسهمت في تعزيز الروح المعنوية لجيش أبي عبيدة ، فانطلق هذا الجيش ليخوض معركة السناطية بكسكر ، والتي تمخضت عن عملية المطاردة للفلول الفارسية المنهزمة من معركة النمارق حيث صرح القائد أبو عبيدة في قوات خيالته قائلا : « اتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر فرسي أو تبيدوهم فيما بين النمارق الى بارق

الى درنا »[٢٣] . وفي ذلك الموقف عبر عاصم بن عمرو عن مستوى الروح المعنوية العالية للقوات العربية الإسلامية في تصوراته للمعركة بقوله :

لعمـــري ومـــا عمـــري بهين
لقـــد صبحت بـالخـزي أهـل النمـارق
بـــأيـدي رجـال هـاجـروا نحـو ربهم
يحـــرســـونهم مـــا بين درتـــا وبـارق
قتلنـــاهم مـــا بين مـــرج مسلـــح
وبين الهـــوافي من طـــريق البـذارق[٢٤]

واستمر أبو عبيد بجيشه يقاتل الفرس ويحطم روحهم المعنوية . فاقتحم عليهم حشودهم في منطقة باقسياثا[٢٥] ، وهزم القوات الفارسية وهرب فيها قائدهم الجالينوس[٢٦] . فقرر رستم تعيين بهمن جاذويه قائداً لقواته التي اشتبكت مع القوات العربية الإسلامية في معركة الجسر ، آخر المعارك التي شارك بها أبو عبيد بن مسعود حيث استشهد فيها[٢٧] . وبالرغم من ان معركة الجسر كانت في صالح قوات الفرس ، إلا انها شهدت مواقف شجاعة تعبّر عن روح معنوية عالية . ومن هذه المواقف ، اندفاع المثنى بن حارثة الشيباني برغم الصعوبات التي رافقت قطع الجسر ، وغرق عدد من المقاتلين واستشهاد القائد ، فقام مع عدد من المقاتلين بإعادة نصب الجسر ومقاتلة الفرس وحماية العرب المسلمين حتى عبورهم[٢٨] ، وعرض نفسه لمخاطر كبيرة عبّرت عن تلك الطاقة الخفية التي حملها المقاتلون في الجيش العربي الإسلامي والتي كانت تبرز في الظروف العصيبة . وتمكن المثنى بعد ان جرح جرحاً بليغاً من سحب الجيش الى منطقة أليس[٢٩] للتهيؤ في إعادة الكرة على الفرس ، والانتقام عما أصاب الجيش العربي الإسلامي في المعركة الأخيرة . وبالفعل خاض المثنى معركة فاصلة في البويب[٣٠] بعد ان هيأ لها كل مستلزمات النجاح ، بضمنها رفع مستوى الروح المعنوية في صفوف المقاتلين وحثهم على الجهاد ، فقد انتخب زمن المعركة في رمضان المبارك وأخذ المثنى يتحدث مع المقاتلين قائلا : « انهدوا لعدوكم »[٣١] . ثم أبلغهم بأنه سيكبر ثلاث تكبيرات عليهم أن يتهيأوا ويستعدوا خلالها ، ويحملوا حملة رجل واحد مع التكبيرة الرابعة[٣٢] . وكان لهذا الامر تأثير معنوي بالغ في نفوس المقاتلين ، حتى ان أحد المقاتلين ممن

فرَّ من الزحف في معركة الجسر كان يحاول أن يترك الصف ليستقبل في القتال لفيض الروح المعنوية العالية التي اختلجته[٣٣] ، ودار قتال شديد أبلى فيه المقاتلون بلاءً حسناً وقد حاول الفرس التأثير على الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي ، حيث عبروا الى البويب بثلاثة صفوف تتقدمهم الفيلة ، وكان عبورهم مصحوباً بضجيج صاخب وقرع للطبول بهدف التأثير على الروح المعنوية للمقاتلين العرب المسلمين إلا ان ذلك لم يؤثر شيئاً ، وأرسل المثنى رجلًا يطوف بالمقاتلين ويصرخ : « ان الأمير يقرؤكم السلام ويقول : لا تفضحوا المسلمين اليوم »[٣٤] . وأخذ يشحذ هممهم بقوله : « انصروا الله ينصركم »[٣٥] . واستمر قتال الجيش العربي الإسلامي بقيادة المثنى للأعداء حتى قتل قائدهم مهران وصل بالفرس ما حل بالمسلمين يوم الجسر ، حيث أصر المثنى على قطع الجسر عليهم ومحاصرتهم ثم الإجهاز عليهم ، فقتل منهم أعداداً كبيرة[٣٦] .

وبعد انتهاء معركة البويب التي حقق بها المثنى الانتصار الباهر على العدو الفارسي ، شعرت الامبراطورية الفارسية بعمق الخطر المحدق بها ، فحشدت قوات كبيرة لتدمير قوات المثنى[٣٧] . فلما علم المثنى بذلك قام بسحب قواته الى منطقة ذي قار وأشعر الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ بالموقف[٣٨] . فاستنفر الخليفة القوات العربية الإسلامية ، فكتب الى عماله قائلًا : « لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ، ثم وجهتموه إلي والعجل العجل »[٣٩] . واتخذ قراراً بتعيين سعد بن أبي وقاص قائداً للجيش العربي الإسلامي في العراق لخوض المعركة القادمة ضد الفرس[٤٠] .

وفي رأينا ان اختيار الخليفة سعداً قائداً أدى الى رفع الروح المعنوية في صفوف الجيش العربي الإسلامي فسعد من الأوائل الذين آمنوا بدعوة الرسول العربي محمد ( ﷺ ) في مكة المكرمة ، حيث أسلم بعد سنة فكان سابع سبعة في الإسلام[٤١] . وكان قد تربى في مدرسة الرسول القائد ( ﷺ ) واشترك في جميع المعارك التي خاضها الرسول ( ﷺ ) مع الكفار[٤٢] . وهو أول مَنْ رمى سهماً في الإسلام[٤٣] ، ولشجاعته وإقدامه في هذه المعارك أشارت المصادر الى ان الرسول ( ﷺ ) « عده بألف فارس »[٤٤] . وفضلا على ما تقدم فانه كان أحد العشرة المبشَّرة بالجنة[٤٥] ، وهو الذي دافع عن رسول الله ( ﷺ ) ، يوم أُحُد[٤٦] ووصفه عبدالرحمن بن عوف بأنه « الأسد في براثنه »[٤٧] . أما عمر بن معد يكرب فوصفه

بالقول : « متواضع في جبايته ، عربي في نمرته ، يعدل في القضية ، ويقسم بالسوية ، يبعد في السرية ، وهو لنا كالأب البر والأم المتحننة »[٤٨] .

كان هذا الاختيار ذا تاثير بالغ على الروح المعنوية للمقاتلين في الجيش العربي الإسلامي ، حيث ان سمات القائد سعد تؤهله لقيادة الجيش وتحقيق الانتصار الساحق . وحال تسلم سعد بن أبي وقاص قيادة الجيش أرسل إليه الخليفة عمر ـ رضيَ اللّه عنه ـ وأصدر له التوجيهات الآتية : « يا سعد ، سعد بني وهيب ، لا يغرنك من اللّه إن قيل خال رسول اللّه ( ﷺ ) وصاحب رسول اللّه ، فان اللّه عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، وان اللّه ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات اللّه سواء ، اللّه ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي ( ﷺ ) منذ بعث الى ان فارقنا فالزمه ، فانه الأمر . هذه عظتي إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين »[٤٩] .

ويبدو لنا من هذه التوجيهات ان الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضيَ اللّه عنه ـ حاول تذكير سعد بن أبي وقاص بالسنة النبوية الشريفة التي اعتمدت الإيمان والجهاد أساساً لانتصار المسلمين ، وهما الركنان الأساسيان لرفع الروح المعنوية مثلما كانا الركنان الأساسيان للعقيدة العسكرية الإسلامية . وقال عمر بن الخطاب ـ رضيَ اللّه عنه ـ : « واللّه لأضربن ملوك العجم بملوك العرب »[٥٠] .

وقبل شروع القطعات بالحركة للتوجه الى العراق ، أصدر القائد العام الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضيَ اللّه عنه ـ وصايا الى سعد بن أبي وقاص ركَّز فيها على اعتماد الصبر في كافة مراحل التقدم والمعركة من أجل انتزاع النصر من الفرس فقال : « اني وقد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتي ، فانك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق ، فعود نفسك ومَنْ معك الخير واستفتح به ، واعلم ان لكل عادة عتاداً ، فعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك يجتمع لك خشية اللّه ، واعلم ان خشية اللّه تجتمع في أمرين في طاعته واجتناب معصيته ، وإنما إطاعة مَنْ أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه مَنْ عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة ، وللقلوب حقائق ينشؤها اللّه إنشاءً . منها السر ومنها العلانية . فأما العلانية فان يكون حامده وذامه في الحق سواء . وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس . فلا تزهد في التحبب ، وان اللّه إذا أحب

عبداً حببه وإذا بغض عبداً بغضه فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك »[٥١] . وفي هذه الوصايا حدد الخليفة ـ رضيَ الله عنه ـ سبل المنهج القيادي الذي ينبغي على سعد بن أبي وقاص اعتماده لرفع الروح المعنوية للجيش ، فالصبر وسيلة مهمة من وسائل تعزيز الروح المعنوية ، وثقة المقاتلين بقائدهم ومحبتهم له وسيلة أخرى لها . أما التقوى فهي الوسيلة الأكثر تأثيراً في دعم مستوى الروح المعنوية . وتلك هي الاتجاهات التي تضمنتها وصايا الفاروق ـ رضيَ الله عنه ـ[٥٢] .

كانت كافة وصايا وتوجيهات القائد العام الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ تستهدف إضفاء الروح المعنوية العالية في نفوس القادة والمقاتلين . ففي مراحل مختلفة قبل نشوب المعركة أصدر الخليفة ـ رضيَ الله عنه ـ الى سعد عدداً من الوصايا والتوجيهات ، ومنها انه ـ رضوان الله عليه ـ حدد له الهدف من العملية العسكرية بشكل واضح والذي تمثل باقتحام مركز الامبراطورية الفارسية في المدائن وتحريرها ، وجاء في هذا التوجيه ملامح معنوية تؤشر النصر الحاسم في قوله : « أقم بمكانك حتى ينقض الله لك عدوك ، واعلم ان لها ما بعدها ، فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فانه خرابها إن شاء الله »[٥٣] . وكان الخليفة ـ رضيَ الله عنه ـ قد استلهم تحرير المدائن من مأثرة الصخرة التي فتتها رسول الله ( ﷺ ) في معركة الخندق بمعوله فقال : « ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها »[٥٤] .

**ومن الوصايا التي بعث عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ الى سعد بن أبي وقاص التي تشير الى تعزيز الروح المعنوية للمقاتلين أيضاً قوله : « تعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية ، ومَنْ غفل فليحدثهما والصبر الصبر ، فان المعونة تاتي من الله على قدر النية والاجر على قدر الحسبة ، والحذر الحذر على مَنْ أنت عليه وما أنت بسبيله ، واسالوا الله العافية وأكثروا من قوله لا حول ولا قوة إلا بالله »[٥٥] .**

**ومن المؤكد فان حديث القائد مع مقاتليه ، وغرس سمة الصبر في نفوسهم ، وتعزيز الإيمان بإرادة الله عز وجل ونصره للمؤمنين ، كلها عوامل تسهم في دعم الروح المعنوية للمقاتلين . كانت الحشود العربية التي تزاحمت بعد نداء الخليفة ـ رضيَ**

الله عنه - تتوارد الى سعد بن أبي وقاص قبل وخلال حركته باتجاه أرض المعركة ، وكانت القبائل العربية تتسارع للاشتراك بالمعركة ، وكل قبيلة يقودها سيدها(٥٦) ، فكان المقاتلون يشعرون بزخم معنوي كبير ، فهم أولًا يقاتلون تحت راية الإسلام لإعلاء كلمة الله عز وجل ، ثم انهم يقاتلون بإمرة سيد قبيلتهم ، مما يزيدُ من قدر ثباتهم وصمودهم وصبرهم تحت وطأة ضغط المعركة .

من الأمور التي عززت الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي في معركة القادسية ، هي تنظيم الشؤون الادارية للجيش والتي تخص توزيع الغنائم والفيء والطعام وتضميد الجرحى ودفن الشهداء وغيرها ، فقد شكلت الاقباض وأوكلت مهمتها الى عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي(٥٧) . أما النساء فكان لهن دور مهم في رفع الروح المعنوية وشحذ الهمم والمساهمة في إعداد الطعام وتضميد الجرحى وقد حدد معسكر خاص لهن خلف القطعات وأوكلت حمايتهن الى قوة خيالة كان يقودها غالب بن عبدالله الليثي(٥٨) .

إن كل تلك الإجراءات التي اتخذت بشان رفع الروح المعنوية كان لها الأثر البالغ في إقبال المقاتلين العرب المسلمين على خوض المعركة بثقة عالية بالنصر بالرغم من التفاوت الكبير في حجم القوات لكِلا الطرفين ، فالجيش العربي الإسلامي لم يكن يتجاوز السبعة الى الثمانية آلاف مقاتل(٥٩) ، بينما كان الجيش الفارسي أكثر من ستين ألف(٦٠) . فكان سعد بن أبي وقاص يرى ان رفع الروح المعنوية هو بمثابة الركيزة الاساسية للتغلب على التفوق البشري والمادي الكبير الذي تميزت به القوات الفارسية ، فَسُخَّر الشعراء أمثال الحطيئة والشماخ وأوس بن مقرء وأهل الرأي أمثال المغيرة بن شعبة وعاصم بن عمرو التميمي لتحريض المقاتلين العرب المسلمين ورفع روحهم المعنوية »(٦١) .

وفضلا على ما تقدم فقد أرسل كسرى الى القائد سعد بن أبي وقاص يسأله أن يوجه إليه بجماعة يسألهم عن الهدف الذي جاءوا من أجله ، فدعى سعد عشرة من أصحابه وقال لهم : « ان هذا الكافر بعث إليّ يسألني أن أوجه بقوم منكم يسألهم عما يريد ، فسيروا إليه وانظروا ما قد عزم عليه ، فلعله أن يجيب الى دين الإسلام فلكفي حربه »(٦٢) . وعندما دخلوا عليه بالمدائن أمرهم يزدجرد بالجلوس وكان سيء الأدب(٦٣) ، وكان جالساً على سرير من العاج والابنوس ، فجلس من الوفد العربي تسعة عدا المغيرة بن شعبة فجلس معه على السرير ، دون إستئذان ، وكان المغيرة

جسيماً فمال السرير ، وغضب يزدجرد ، فجاء غلامه طالباً من المغيرة أن يتنحى ، فلم يقبل[٦٤] . فسأل يزدجرد عن طريق الترجمان : « ما جاء بكم وما دعاكم الى غزونا والبلوغ ببلادنا »[٦٥] ، فاجابه النعمان بن مقرن بحديث جاء في جزء منه : « الله أمرنا أن نبدأ بِمَنْ يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا ، وهو دين حَسَّنَ الحسن وقَبَّحَ القبيح ، فإن أبيتم فامر من الشر هو أهون من آخر شر من الجزاء ، فإن أبيتم فالمناجزة ، فإن أجبتم الى ديننا خُلّفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه ، على أن تحكموا باحكامه ونرجع عنكم وشانكم وبلادكم ، وإن أتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم »[٦٦] . فغضب يزدجرد ثم أمر باحضار وقر من التراب فقال : « خذوه الآن وضعوه على رأس أكبركم وأفضلكم وارجعوا الى صاحبكم فخبروه باني ساوجه إليكم مَنْ يدفنه ويدفن أصحابه في خندق القادسية »[٦٧] . فقام عاصم بن عمرو فحمل التراب وقال : « بشّروا الأمير بالظفر .. ظفرنا إن شاء الله »[٦٨] . وسار بالتراب حتى وصل سعد فاخبره بالخبر فقال سعد بن أبي وقاص : « أبشّروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم »[٦٩] . وكان لهذا الحدث أثر معنوي كبير على كِلا الطرفين فإزدادت الروح المعنوية للجيش العربي الإسلامي بعد ان استبشر المقاتلون بالنصر على العكس من القوات الفارسية التي عدت هذا الحدث مهانة لهم وانتكاسة نفسية كبيرة ، كان لها تاثيرها الواضح خلال سير المعركة وعلى نتائج المعركة .

والجدير بالذكر هنا ، هو انه خلال معركة القادسية كانت قد برزت مواقف عديدة ذات صلة بالروح المعنوية العالية ، ففي اليوم الاول أرْمَاثْ ، كان سعد بن أبي وقاص قد قرر تحديد وقت الهجوم بعد ان يكبّر أربعة تكبيرات فاشار الى قواته بأن يكبِّروا بعد التكبيرة الاولى فيستمدوا ، فإذا سمعوا التكبيرة الثانية فيكبِّروا ويتهيؤا عدتهم ، ثم إذا كبّرت الثالثة ، فيكبِّروا وينشطوا فرسانهم ليبرزوا ويطاردوا ، أما التكبيرة الرابعة فتعني المباشرة بالزحف وحدد كلمة الزحف بأن يقول الجميع في آن واحد ( لا حول ولا قوة إلا بالله ) وقد أمر سعد بقراءة سورة الانفال قبل البدء بالتكبيرات[٧٠] .

وكان لهذا الموقف تاثير كبير في نفوس المقاتلين وأثر بالغ في تاجيج روحهم المعنوية وكان للقادة الشعراء وأهل الرأي تاثير اضافي في دعم الروح المعنوية في هذا اليوم . فقد قال ابن الهذيل الاسدي :« يا معاشر معد اجعلوا حصونكم السيوف ، وكونوا عليهم كاسود الاجم ، وتربدوا لهم تربد النمور ، وادرعوا العجاج ، وثقوا بالله

وغضوا الابصار ، فإذا كلت السيوف فانها مامورة ، فارسلوا عليهم الجنادل ، فانها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه »[٧١] . أما يسر بن أبي رهم الجهني فقال : « احمدوا الله وصدقوا قولكم بفعل ، فقد حمدتم الله على ما هداكم له ووحدتموه ولا إله غيره ، وكبرتموه وآمنتم بنبيه ورُسله . فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ولا يكونن شيء باهون عليكم من الدنيا فانها تاتي من تهاون بها ، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم لتميل بكم ، انصروا الله ينصركم »[٧٢] .

وقال عاصم بن عمرو التميمي : « يا معاشر العرب انكم أعيان العرب وقد صمدتم لاعيان العجم ، وإنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم ، لا تحدثوا اليوم أمراً تكونوا به شيئاً على العرب غداء »[٧٣] .

وفي أثناء القتال ركُزت القوات الفارسية على مقاتلي قبيلة بجيلة التي كان يقودها جرير بن عبدالله البجلي ، ونجح الفرس في إرباك خيل العرب التي لم تعتمد على قتال الفيلة التي زجها الفرس للتاثير على الروح المعنوية للقوات العربية الإسلامية . فاصدر القائد سعد بن أبي وقاص أوامره الى طليحة بن خويلد الاسدي لتعزيز قوات بجيلة بقواته . وقد أثار هذا القائد النخوة في نفوس قبيلته عندما ناداهم بالقول : « يا عشيرتنا ، ان المنوه باسمه الموقوف به وان هذا لو علم ان أحداً أحق باغاثة هؤلاء منكم استغفاثهم ، ابتدئوهم الشدة وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحرية ، فإنما سميتم أسداً لتفعلوا فعله ، شدوا ولا تصدوا ، وكروا ولا تفروا ، لله در ربيعة أي فري يفرون ، وأي خرق يغنون ، هل يوصل الى مواقفهم ؟ فاغنوا عن مواقفكم ، أعانكم الله شدوا عليهم باسم الله »[٧٤] ، فتمكنت قوات أسد بعد تأجيج روحهم المعنوية من تحسين الموقف التعبوي خاصة بعد ان قام بعض المقاتلين من مهاجمة حصون الفرس الخشبية فوق ظهور الفيلة وقطع الاحزمة الخاصة بها ، بعد ان ناداهم عاصم بن عمرو بالقول : « يا معشر الرماة ، ألستم أصحاب الإبل والخيل ؟ أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟ يا معشر الرماة نبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل »[٧٥] .

وفي اليوم الثاني ( أغوات ) ، وصلت طلائع القوة التي أرسلها أبو عبيدة عامر بن الجراح من الشام الى العراق وكانت تضم ألف فارس بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي . وحال وصوله مشارف المعركة ، لجا الى أسلوب لرفع الروح المعنوية للقوات العربية الإسلامية ، فقسّم قواته على عشرة أقسام ، قوة كل قسم منها مائة فارس ،

وأمرهم بالدخول بفاصلة زمنية وبشكل متتالٍ لإيهام القوات الفارسية من خلال التواصل في الدخول الى أرض المعركة ومشاهدة غبار الخيل بأن قوات الإمداد العربية كبيرة لزعزعة الروح المعنوية للفرس[٧٦] .

وما إن وصل القعقاع حتى استبشرت القوات العربية الإسلامية بالنصر . وطلب القعقاع حال وصوله من الفرس تقدم مَنْ ينازله ، فارسل له رستم ( بهمن جانويه ) ، فما ان عرف القعقاع بهمن حتى صرخ ، يا لثارات أبي عبيدة فقتله[٧٧] .

وفي يوم أغواث أيضاً ، رجا أبو محجن الثقفي سلمى زوجة سعد بن أبي وقاص بان تفك وثاقه ، حيث كان محبوساً بسبب شربه الخمر ، وارتفعت روحه المعنوية ولم يحتمل بقاءه مقيداً ورفاقه يجاهدون ، ووعد سلمى ان يعيد بنفسه القيود الى رجله في حالة عودته سالماً ، فقاتل بعد ان فكت وثاقه قتالًا باسلًا على ظهر فرس البلقاء التي أعارته سلمى إياها ، ثم عاد الى سجنه بعد ذلك[٧٨] . وبذلك أعطى أنموذجاً رائعاً للروح المعنوية العالية في صدر الإسلام .

وهكذا سطُر المقاتلون العرب المسلمون المآثر المتواصلة في هذه المعركة الخالدة حتى انتزعوا النصر من الفرس . فكان للإيمان والثقة والإرادة التي تحلّى بها المقاتلون العرب وصبرهم على مشاق المعركة الاثر البالغ في حسم هذه المعركة بالنصر .

وقد لعب القادة العسكريون الميدانيون دوراً بارزاً في هذا الاتجاه سواء من خلال شجاعتهم الفردية في القتال واندفاعهم ، أو من خلال شحذهم لهمم مقاتليهم خلال مرحلتي الاستحضارات وسير المعركة . فالقوات الفارسية كانت أربعة أضعاف القوات العربية ، ولم تتيسر للقوات العربية الإسلامية تلك الأسلحة التي تعوض نقص الحشد البشري ، بل على العكس كانت القوات الفارسية مسندة بالفيلة التي تميزت بخاصية المباغتة حيث لم يسبق للعرب ان شاهدوا مثيلاتها ، كذلك تميزت بكونها ذات تاثير معنوي كبير في إسناد قوات مشاة الفرس لكونها كانت تحمل حصوناً فوق ظهورها تحمل بها المشاة ونبالهم .

ومع ذلك كله ، فان الروح المعنوية العالية التي تحلّى بها القادة والمقاتلين العرب كانت الأساس الحاسم للنصر .

ولا بد من الإشارة هنا انه كان للشعر أيضاً دور بارز في هذه المعركة للتأثير في الروح المعنوية . وكان للقعقاع حصة وفيرة في أبياته الحماسية . ومنها قوله :

سقى الله يا خوصاً قبر ابن يعمــــر

إذ ارتحــــل السفــار لم يتــــرحــــلِ

سقى الله أرضــــاً حلها قبــر خــالــد

ذهــــاب غــواد مــدجنــات تجلجــلِ

فــــاقسمت لا ينفــــك سيفي يحسهم

فــإن زحــل الاقــوام لم أتــزحــلِ(٧٩)

وبعد ان اقتحم القعقاع ليلًا في ليلة هرير القوات الفارسية صرخ القعقاع قائلًا :

نحن قتلنــــا معشـــــراً وزائــــــداً

أربعــــــــة خمســــــة وواحــــــدا

نحب فـــــوق اللبــــد الاســــاودا

حتى إذا مــــا تــــوادعــوت جــاهــدا(٨٠)

الله ربِّي واحتــــــرزت عـــــــامـــــدا

## الهوامش

( ١ ) ابن أعثم ، الفتوح ، جـ ١ ، ص ٨٩ .
( ٢ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٩٥ .
( ٣ ) م. ن. ، جـ ١ ، ص ٢٩٥ .
( ٤ ) ابن أعثم ، الفتوح ، جـ ١ ، ص ٩٠ .
( ٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٧٢ .
( ٦ ) ( النباج ) : منزل الحجاج البصرة بين مكة والبصرة و ( المصيخ ) : موضع بين حوران والقلت . أنظر : معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله ( ت : ٦٢٦هـ ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، جـ ٥ ، ص ٢٥٥ ، ص ١٤٤ .
( ٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٧٢ .

( ٨ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥ .
( ٩ ) ( المذار ) : قصبة بين واسط والبصرة ، معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٨. .
( ١٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٧٦ .
( ١١ ) م. ن. ، ص ١٧٧ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، صص ٢٦٣ - ٢٦٤ .
( ١٢ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ١٧٧ .
( ١٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، صص ١٧٨ - ١٨٣ . وانظر : ابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، صص ٨٩٠ - ٨٩١ .
( ١٤ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ .
( ١٥ ) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، جـ ١ ، ص ١٣٧ .
( ١٦ ) شهربراز كسرى الفرس اردشير ، خلف الملك بعد وفاته أبيه ، أنظر : الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ .
( ١٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ .
( ١٨ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ . ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، أيام العرب في الإسلام ، ص ٢٢٣ .
( ١٩ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ .
( ٢٠ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٠٧ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ .
( ٢١ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ . ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، أيام العرب في الإسلام ، ص ٢٢٣ .
( ٢٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤ . وانظر : محمد أبو الفضل ابراهيم ، أيام العرب في الإسلام ، ص ٢٢٣ .
( ٢٣ ) الطبري ، تاريخ ، ص ٢٢٥ .
( ٢٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، صص ٢٢٥ - ٢٢٦ .
( ٢٥ ) ( باقسياثا ) : ناحية بأرض السواد من نواحي بغداد . ومعجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ .
( ٢٦ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٧ . وابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، ص ٩١٠ .
( ٢٧ ) ابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، ص ٩١١ .
( ٢٨ ) قطع الجسر من قبل عبدالله بن مرشد بهدف مقاتلة الفرس وعدم الانسحاب . الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨ .
( ٢٩ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، جـ ٢ ، ص ٣٠٨ .
( ٣٠ ) ( البويب ) : موضع قرب الكوفة ، الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ .
( ٣١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ .
( ٣٢ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٣٣ .
( ٣٣ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ .
( ٣٤ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٣٣ .

( ٣٥ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ .
( ٣٦ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٣٤ . وابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، ص ٩١٣ .
( ٣٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٣٩ .
( ٣٨ ) م. ن. ، جـ ٣ ، صص ٢٣٩ - ٢٤٠ .
( ٣٩ ) البلاذري ، فتوح البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ .
( ٤٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٢ .
( ٤١ ) ابن عبدالبر ، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ب.ت. ، صص ٦٠٦ - ٦٠٧ .
( ٤٢ ) ابن الاثير ، أسد الغابة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ .
( ٤٣ ) ابن سعد ، الطبقات ، جـ ٣ ، ص ٩٩ .
( ٤٤ ) المحب الطبري ، الرياض النضرة ، جـ ٢ ، ص ٤٠ .
( ٤٥ ) ابن الاثير ، أسد الغابة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٦ .
( ٤٦ ) ابن حبان ، كتاب الثقات ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ .
( ٤٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤١ .
( ٤٨ ) المحب الطبري ، الرياض النضرة ، جـ ٢ ، صص ٤٠١ - ٤٠٢ .
( ٤٩ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٢ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣١٠ .
( ٥٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٤ .
( ٥١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٤ . وابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، ص ٩٦٦ .
( ٥٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٢ .
( ٥٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ .
( ٥٤ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ . والطبري ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ .
( ٥٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ .
( ٥٦ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٤٣ . ابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، صص ٩١٧ - ٩١٨ .
( ٥٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٥ .
( ٥٨ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ض ٢٤٧ .
( ٥٩ ) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ .
( ٦٠ ) خليفة بن خياط ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ١٠١ .
( ٦١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٦٧ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٢٥ .
( ٦٢ ) ابن أعثم ، الفتوح ، جـ ١ ، صص ١٩٥ - ١٩٦ .
( ٦٣ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ .
( ٦٤ ) ابن أعثم ، الفتوح ، جـ ١ ، ص ١٩٧ .
( ٦٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ .
( ٦٦ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٥٠ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣١٥ .

( ٦٧ ) ابن أعثم ، الفتوح ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ .

( ٦٨ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٥١ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣١٦ .

( ٦٩ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٥١ . وابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، ص ٩٢١ .

( ٧٠ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٦٨ . وابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، ص ٩٢٩ .

( ٧١ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٦٧ .

( ٧٢ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٦٧ .

( ٧٣ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٦٧ .

( ٧٤ ) م. ن. ، جـ ٣ ، ص ٢٧٠ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٢٦ .

( ٧٥ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٧٠ . وابن خلدون ، المجلد الثاني ، ق ٤ ، صص ٩٢٩ ـ ٩٣٠ .

( ٧٦ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٧٢ . وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٢٨ .

( ٧٧ ) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٧٢ .

( ٧٨ ) ابن حبان ، الثقات ، ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ .

( ٧٩ ) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٣٤ .

( ٨٠ ) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٣٥ .

# الخاتمة

إن أهم النتائج التي توصل لها البحث هي :

١ ـ ان الروح المعنوية للمقاتل هي عبارة عن ( طاقة ) خفية تولِّد عوامل مادية ممثلة باندفاعه للتمسك بالصبر والشجاعة تجاه التعب والصعاب والمخاطر مهما تفاقم ضغطها في ظروف المعارك الشديدة . واعتمد الباحث ذلك تعريفاً للروح المعنوية .

٢ ـ كانت ظروف الصحراء القاسية التي عاش فيها العرب قبل الإسلام ، وقلة الموارد المتوفرة قد أسهمت في غرس سمة الصبر في نفوسهم . كما ان العصبية القبلية التي كانت منهجاً اجتماعياً يحكم النظام القبلي أدت الى وحدة التماسك الاجتماعي والولاء القبلي وانصهارها في بوتقة الشعور القومي المتاجج حين نهضوا بقدراتهم البسيطة في سبيل الكرامة والشرف في معركة ذي قار الفاصلة قبل الإسلام ، لعل الغزو والإغارة انضجاها في هذه الواقعة فضلًا عن مران الرجال على الفروسية والشجاعة .

فحقق كل ذلك تدريباً عملياً للمقاتلين المسلمين في صدر الإسلام في مجال الفروسية والثبات ، لم يكن بمقدور الزمن القصير خلال مكوث رسول الله ( ﷺ ) في مكة المكرمة قبل الهجرة والاذن بالجهاد ، أن تتهيأ الفرصة الكافية للرجال في تدريبهم بمستوى الكفاءة والكيفية التي تحققت قبل دخولهم الإسلام الامر الذي أسهم في مرانهم وتهيئتهم لرفع الروح المعنوية .

٣ ـ استندت الروح المعنوية في صدر الإسلام الى مرتكزي الإيمان والجهاد ، وكان لهما الاثر الكبير في تعزيز هذه الروح ، التي قد زادت من مستوى التماسك الاجتماعي بعد تحويل الولاء القبلي الى الولاء الديني ، والعصبية الى شعور قومي ، فضلًا عن القناعات التي ترسخت في فكر المقاتل العربي المسلم والتي جعلته يرغب في الاستشهاد من أجل الحصول على ثواب الآخرة .

٤ ـ شهد صدر الإسلام نشوء الدولة العربية الإسلامية في المدينة المنورة وكان لهذا الامر أثره في تنظيم المجتمع دينياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً ، وفي إنضاج اتجاهات العقيدة العسكرية العربية الإسلامية التي كانت تسعى لنشر الدين الإسلامي وإعلاء كلمة الله عز وجل . ولقلة الإمكانات المتوفرة وقلة حجم المسلمين نسبة لاعدائهم ، فان الروح المعنوية كانت الوسيلة الاكثر اعتماداً لتحقيق هذه الاهداف . وعليه سخرت كل الجهود لتعزيز المستوى المطلوب فيها وادامته .

٥ ـ دور الرسول القائد محمد ( ﷺ ) موجهاً وقائداًفهو يتمتع بصفات خلقية وسمات خلقية عظيمة كان لها الاثر البالغ في رفع مستوى الروح المعنوية للمقاتلين في صدر الإسلام ، ناهيك عن كونه نبياً مرسلًا يغرس في نفوسهم مزيداً من قيمتي الإيمان والجهاد .

٦ ـ كانت اشارة الله عز وجل الى الملائكة الكرام الذين أسهموا في القتال الى جانب المقاتلين المسلمين في معركة بدر الكبرى ، والانتصار الكبير الذي تحقق في هذه المعركة بوصفها أول المعارك التي خاضها الجيش العربي الإسلامي حديث النشاة ، ذات تاثير كبير على الروح المعنوية ، انعكست في المعارك اللاحقة الاخرى .

٧ ـ أسهم الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ـ رضيَ الله عنه ـ بتاثيره القيادي الشخصي على مجريات الاحداث في عهده ، فتمكن من رفع مستوى الروح المعنوية في نفوس المقاتلين العرب المسلمين ، وبرزت في معارك التحرير ونتائجها وخاصة في معركة اليرموك ضد الروم حيث تحقق الانتصار السريع والحاسم .

٨ ـ أسهم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضيَ الله عنه ـ بتاثيره القيادي الشخصي على مجريات الاحداث في عهده ، فتمكن من رفع الروح المعنوية في نفوس المقاتلين العرب المسلمين ، وبرزت في معارك التحرير ونتائجها وخاصة في معركة القادسية ضد الفرس حيث تحقق الانتصار السريع والحاسم .

٩ ــ كان للقادة العسكريين الميدانيين مثل خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وأبي عبيدة عامر بن الجراح وعمرو بن العاص والقعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل ويزيد بن أبي سفيان دور مؤثر في شحذ همم المقاتلين ورفع مستوى روحهم المعنوية . وخاصة في ظروف المعارك الصعبة .

١٠ ــ كان دور الخطباء والشعراء من رؤساء وأبناء القبائل مؤثراً في تعزيز الروح المعنوية للمقاتلين العرب المسلمين في المعارك ، لما له من تاثير فاعل من خلال قراءة آيات الجهاد من سورة الانفال واطلاق الخطب والقصائد التي تشحذ الهمم وتفضي الى الاندفاع والثبات في القتال .

# مصادر ومراجع البحث

## المصادر :


القرآن الكريم .

ابن الاثير : عزالدين أبو الحسن علي ابن أبي الكرم ( ت : ٦٣٠هـ )

ـ أسد الغابة ، تحقيق محمد ابراهيم البناء ومحمد أحمد عاشور ومحمد عبدالوهاب فايد ، دار الشعب ، (ب.ت) .

ـ الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧م .

ابن آدم : يحيى بن آدم القرشي ( ت : ٢٠٣هـ )

ـ الخراج ، تحقيق ، أحمد محمد شاكر ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

الاصبهاني : أبو نعيم أحمد بن عبدلله ( ت : ٤٣٠هـ )

ـ حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ .

الاصطخري : أبو اسحق ابراهيم بن محمد ( ت : نهاية القرن الرابع هـ )

ـ المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبدالعال ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ، ١٩٦١م .

الاصفهاني : أبو فرج ( ت : ٣٥٦هـ )

ـ الاغاني ، دار صعب ، بيروت ، (ب. ت) .

ابن أعثم الكوفي : أبو محمد بن أعثم ( ت : ٣١٤هـ )

ـ كتاب الفتوح ، تحقيق محمد عبدالمعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ١٩٦٨م .

الأعشى الكبير : ميمون بن قيس ( ت : ٧هـ )

ـ ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق محمد حسين ، المطبعة النموذجية (ب.ت) .

البخاري : أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ( ت : ٢٥٦هـ )
ـ صحيح البخاري ، مطابع الشعب ، ١٣٧٨ هـ .
البلاذري : أحمد بن يحيى ( ت : ٢٧٩هـ )
ـ أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حمدالله ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ، (ب.ت) .
ـ فتوح البلدان ، تحقيق محمد رضوان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٨م . وكذلك فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (ب.ت) .
التبريزي : أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب ( ت : ٥٥٢هـ )
ـ شرح ديوان الحماسة ( أبوتمام ) ، عالم الكتب ، بيروت ، (ب.ت) ، جـ ١ .
الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ( ت : ٢٥٥هـ )
ـ البخلاء ، تحقيق طه الجابري ، مطابع دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
ابن الجوزي : الامام جمال الدين أبي الفرج ( ت : ٥٩٧هـ )
ـ صفوة الصفوة مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، ط ٢ ، الهند ، ١٩٦٨م .
ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد التميمي ( ت : ٣٥٤هـ )
ـ كتاب الثقات ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الهند ، ١٩٧٥ .
ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب ( ت : ٢٤٥هـ )
ـ المحبر ، تحقيق د. البزة لخشن شتير ، المكتب التجاري ، بيروت ، (ب.ت) .
ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي بن محمد ( ت : ٨٥٢هـ )
ـ الاصابة في تمييز الصحابة ، دار العلوم الحديثة ، ط ١ ، ١٣٢٨هـ .
ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المطبعة المصرية بالأزهر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٩ .
ـ بلوغ المرام من أدلة الاحكام ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي

وأولاده ، القاهرة ، ١٣٥١هـ .
ابن حنبل : أحمد بن حنبل أبو عبدالله ( ت : ٢٤١هـ )
ـ المسند ، شرح وفهرسة أحمد محمد شاكر ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد ( ت : ٤٥٦هـ )
ـ جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مطابع دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٢م .
ابن حوقل : أبو القاسم النصيبي ( ت : القرن الخامس الهجري )
ـ صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م .
ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضري ( ت ٨٠٨هـ )
ـ تاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة ، بيروت (ب.ت) .
ـ مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، ، بيروت ، ١٩٧٨ .
خليفة بن خياط : ( ت : ٢٤٠هـ )
ـ تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الاداب في النجف الأشرف ، ١٩٦٧م .
الدارمي : أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن ( ت : ٢٥٥هـ )
ـ سنن الدارمي ، مطبعة الاعتدال ، دمشق ، ١٣٤٩هـ .
الرازي : ابو عبدالله الامام فخرالدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ( ت : ٦٠٦هـ )
ـ أسرار التنزيل وأنوار التاويل ، تحقيق محمود أحمدمحمود وآخرين ، بغداد ، ١٩٩٠ .
الزوزني : عبدالله الحسين بن أحمد ( ت : ٤٨٦هـ )
ـ شرح المعلقات السبع ، ١٣٦٧هـ .
ابن سعد : محمد بن سعد ( ت : ٢٣٠هـ )
ـ الطبقات الكبرى ، دار التحرير ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
ابن سعيد المغربي : أبو الحسن علي بن موسى ( ت : ٦١٠هـ )
ـ كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٠م .

السمهوري : أبو الحسن بن عبدالله ( ت : ٩١١هـ )
ــ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، مطبعة الآداب ، القاهرة ، ١٣٠٦هـ .
ابن سيد الناس : فتح الدين أبو الفتح محمد بن عبدالله ( ت : ٧٣٤هـ )
ــ عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، (ب.ت) .
السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبو بكر ( ت : ٩١١هـ )
ــ تفسير الجلالين ، تقديم وتعليق محمد كريم بن سعيد راجح ، مكتبة النهضة ، بغداد ، (ب.ت) .
ــ الجامع الصغير في أحاديث البشير والنذير ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط ٤ ، ١٩٥٤ .
ــ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين وحاشية الامام السندي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
ابن شبة : أبو زيد عمر النميري ، ( ت : ٢٦٢هـ )
ــ تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مكة المكرمة ، ١٩٧٩ .
الشيباني : محمد بن الحسن ( ت : ١٨٩هـ )
ــ كتاب السير الكبير ، املاء محمد بن أحمد السرخي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة شركة الاعلانات الشرقية ، ١٩٧١م .
الصاحبي :
ــ في فقه اللغة وسنن انعرب في كلامها ، تحقيق مصطفى الشويهي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ( ت : ٣١٠هـ )
ــ تاريخ الامم والملوك ، مؤسسة عزالدين ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٧ .
ابن عبدالبر : أبو عمر يوسف بن عبدالله ( ت : ٤٦٣هـ )
ــ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، (ب.ت) .
ــ الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق د. شوقي ضيف ، مجلس

الشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
ابن عبدالحكم : أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ( ت : ٢٥٧هـ )
ـ فتوح مصر وأخبارها ، طبعة ليدن ، ١٩٢١م .
ابن عبد ربه الاندلسي : شهاب الدين أحمد ( ت : ٣٢٨هـ )
ـ العقد الفريد ، تقديم الاستاذ خليل شرف الدين ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٦ .
أبو عبيدة : معمر بن المثنى ( ت : ٢٠٩هـ )
ـ نقائض جرير والفرزدق ، مطبعة بريل ـ ليدن ، ١٩٠٥ م ، إعادت طبعه بالاوفسيت ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٧ .
ابن عساكر : تقي الدين أبو القاسم علي بن الحسن ( ت : ٥٧١هـ )
ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، هذبه ورتبه الشيخ عبدالقادر بدران ، دار السيرة ، بيروت .
الغزالي : الامام أبو حامد محمد ( ت : ٥٠٥هـ )
ـ إحياء علوم الدين ، صحح باشراف الشيخ عبدالعزيز عزالدين السيروان ، دار القلم ، ط ٣ ، بيروت ، (ب.ت) .
ابن الفقيه : أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني ( ت : ٣٣٠هـ )
ـ مختصر كتاب البلدان ، مطبعة ليدن ، ١٣٠٢هـ .
ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم ( ت : ٢٧٦هـ )
ـ عيون الاخبار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، (ب.ت) .
القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي ( ت : ٨٢١هـ )
ـ مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، جـ ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٦٤م .
ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر بن أيوب ( ت : ٧٥١هـ )
ـ الفروسية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧م .
ابن كثير : أبو الفدا الحافظ ابن كثير الدمشقي ( ت : ٧٧٤هـ )
ـ البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٦ .
ـ تفسير القرآن العظيم ، دار القلم ، ٢٧ منقحة ، بيروت (ب.ت) .
ابن الكلبي : أبو المنذر هشام بن محمد ( ت : ٢٠٦هـ )

ـ أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، تحقيق أحمد زكي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٥ م.

الكناني : عزالدين أبي عمر عبدالعزيز ( ت : ٧٦٧هـ )
ـ المختصر الكبير في سيرة سيدنا رسول الله ( ﷺ ) ، تحقيق آسيا كليبان الزهيري ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٩٠ .

ابن ماجة : ( ت ٢٧٥هـ )
ـ سنن الحافظ القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت ، (ب.ت) .

الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد ( ت : ٤٥٠هـ )
ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، المطبعة المحمودية التجارية بمصر ، القاهرة ، (ب.ت) .

المحب الطبري : أبو جعفر محمد ( ت : ٦٩٤هـ )
ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ، جـ ٢ ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين ( ت : ٣٤٦هـ )
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٨٨م .

مسلم : ابن الحجاج القشيري النيسابوري ( ت : ٢٦١هـ )
ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، المجلد السادس ، جـ ١٢ ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٢م .

المقدسي : محمد بن أحمد ( ت : ٣٢٢هـ )
ـ البدء والتاريخ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩١٦ عن مطبعة ( باريز ) .

المنذري : الامام زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي ( ت : ٦٥٦هـ )
ـ الترغيب والترهيب ، تعليق مصطفى محمد عمارة ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، ١٩٨٧ .

النووي : ( ت : ٦٧٦هـ )
ـ رياض الصالحين عن كلام سيد المرسلين ، تحقيق عبدالله أحمد

أبو زينة ، دار القلم ، بيروت ، ( ب ت ) .

النويري : شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ( ت : ٧٢٢هـ )

ـ نهاية الأرب في فنون الادب ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع إستدراكات وفهارس ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م .

الهرثمي : أبو سعيد الشواني ( ت : ٢٠٠هـ )

ـ مختصر سياسة الحروب ، تحقيق عبدالرؤوف عون ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، (ب.ت) .

ابن هشام : ( ت ٢١٨هـ )

ـ السيرة النبوية ، حققها مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، وعبدالحفيظ شلبي ، دار القلم ، بيروت ، (ب.ت) .

الهمداني : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ( ت ٣٣٤هـ )

ـ صفة جزيرة العرب ، طبعة ليدن ، ١٩٦٨ .

الهندي : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ( ت ٩٧٥هـ )

ـ كنز العمال في سنن الأقوال والافعال ، ضبط الشيخ بكري حيالي ، منشورات مكتبة التراث الإسلامي ، حلب ، ١٩٧٤م .

الواقدي : أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي ( ت : ٢٠٧هـ )

ـ مغازي رسول الله ( ﷺ ) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٤٨م .

اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ( ٢٨٤هـ )

ـ تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ .

أبو يوسف : يعقوب بن ابراهيم ( ت : ١٨٢هـ )

ـ الخراج ، المكتبة السلطانية ، ١٢٨٣هـ .

## المراجع الحديثة :

أحمد أمين :

ـ فيض الخاطر ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

أحمد زكي صفوة :
ـ العقيدة القتالية في الإسلام ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، ١٩٨٦ .

أحمد عبد ربه مبارك :
ـ جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٥ .

أحمد عزت راجح :
ـ علم النفس الصناعي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٦٥ .

أحمد محمد عساف :
ـ خلاصة الاثر في سيرة سيد البشر ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٨٦ .

الإفغاني : سعيد
ـ أسواق العرب في الإسلام والجاهلية ، المكتبة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٣٧م .

الالباني : محمد ناصرالدين الأسد
ـ مختصر صحيح البخاري ، المكتب الإسلامي ، ط ٥ ، ١٩٨٦ .

الآلوسي : محمود شكري
ـ بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، ١٩٢٥م .

انتوني نتنج :
ـ العرب .. انتصاراتهم وأمجاد الإسلام ، ترجمة راشد البراوي ، مكتبة الانكلومصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

البدري : منذر
ـ معركة ذي قار ، بحث مقدم الى مركز البحوث والمعلومات في ندوة الفكر العسكري العربي ، بغداد ، ١٩٨٦م .

البغدادي :
ـ ارشاد الامام في عقائد الإسلام ، دار عبادة ، ١٩٨٥ .

البنا : أحمد عبدالرحمن :

ــ منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالیسي ، جـ ١ ، المطبعة المنيرية بالأزهر ، ١٣٧٢هـ .

بيترلي : جان جاك :

ــ جزيرة العرب ، تعريب نجدة هاجر وسعيد القز ، منشورات المكتب التجاري للطباعة ، بيروت ، ١٩٦٠ .

توفيق علي وهبة :

ــ الجهاد في الإسلام ، دراسة مقارنة بأحكام القانون الدولي العام ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، (ب.ت) .

توماس كارليل :

ــ الأبطال ، تعريب محمد السباعي ، ط ٤ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨٢م .

الجابري : محمد عابد :

ــ فكر ابن خلدون ( العصبة والدولة ) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، (ب.ت) .

الجبوري : منذر :

ــ أيام العرب في الشعر الجاهلي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٦م .

جرجي زيدان :

ــ تاريخ التمدن الإسلامي ، ط ٣ ط ٣ ، مطبعة الهلال ، ١٩٢٠م .

جواد علي :

ــ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٧م .

جون باجوت غلوب :

ــ الفتوحات العربية الكبرى ، تعريب وتعليق خيري حماد ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٣ .

جلفورد :

ــ ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية ، ترجمة يوسف مراد ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م .

حسن ابراهيم حسن :
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٧ ، ١٩٦٤م .
حسن عبدالقادر صالح :
- المظهر الجغرافي لقوة الدولة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٦م .
خطّاب : محمود شيت :
- بين العقيدة والقيادة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨١ .
- جيش الرسول ( ﷺ ) ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٨ .
- الرسول القائد ، ط ٢ ،منشورات مكتبة الحياة ، ومكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٦٠ .
- الإسلام والنصر ، دار الفكر ، بغداد ، ١٩٧٢م .
- ومضات من نور المصطفى ، ( ﷺ ) ، مكتبة النهضة ، ط ١٢ ، بغداد ، ١٩٨٨ .
الدوري : عبدالعزيز :
- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٢م .
الراوي : حازم عبدالقهار :
- أضواء معاصرة على معركة ذي قار ، المطابع العسكرية ، بغداد ، ١٩٨٧م .
- الشخصية العسكرية القيادية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨م .
- الصبر والإقدام عند العرب ، مطبعة الراية ، بغداد ، ١٩٨٧م .
الزبيدي : كامل علوان :
- علم النفس العسكري ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٩م .
- علم النفس في الميدان العسكري ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٨م .
الزيجليلي : وهبة :

ـ أثر الحرب في فقه الإسلام ، ( دراسة مقارنة ) ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٦٢م .
الزنداني : عبدالمجيد عزيز :
ـ كتاب التوحيد ، دار الانبار للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٩٠م .
السيد سابق :
ـ العقائد الإسلامية ، دار الكتاب العربي ، (ب.ت) .
أبو سخيلة : محمد عبدالعزيز :
ـ أحكام الجهاد في الإسلام ، الكويت ، (ب.ت) .
شاخت وبوزورت :
ـ تراث الإسلام ، ترجمة حسين مؤنس واحسان صدقي ، مراجعة فؤاد زكريا ، ط ١ ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٨ .
شاكر مصطفى :
ـ المدن في الإسلام ، جـ ١ ، ١٩٨٨م .
شحاذة الناطور وأحمد عزيرات وجنيل بيضون :
ـ النظم الإسلامية ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، اربد ، ١٩٨٨م .
صالح اللجيدان :
ـ الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، (ب.ت) .
صلاح مرزوق وعبدة ميخائيل :
ـ المدخل الى علم النفس الاجتماعي ، مكتبة الإنكلومصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
عبدالجبار ناجي :
ـ دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦م .
عبدالرزاق ابراهيم :
ـ الفكر العسكري ومبادىء الحرب في صدر الإسلام ، المطابع العسكرية ، عمان ، ١٩٨٨ .

عبدالرزاق محمد أسود :
ـ حياة الرسول المصطفى ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، (ب.ت) .
عبدالرحمن محمد عيسوي :
ـ اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٠ .
عبدالرحمن عون :
ـ الفن الحربي في صدر الإسلام ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦١م .
عبدالعزيز نبوي :
ـ دراسات في الأدب الجاهلي ، ط ٢ ، دار الصدر لخدمات الطباعة ، القاهرة ، ١٩٨٨م .
العدوي : ابراهيم محمد :
ـ الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ، ط ٢، مصر ، ١٩٥٨ .
ـ النظم الإسلامية ، مقوماتها الفكرية ومؤسساتها في صدر الإسلام والعصر الأموي ، مكتبة الإنكلوالمصرية ، ١٩٧١م .
العلي : صالح أحمد :
ـ محاضرات في تاريخ العرب ، دار الكتب للطباعة والنشر في جامعة الموصل ، ١٩٨١م .
عمر فروخ :
ـ تاريخ الجاهلية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٤م .
العمري : وميض بن رمزي بن صديق :
ـ فقه الإيمان ، مراجعة الشيخ ابراهيم النعمة ، مطبعة الزهراء الحديثة المحدودة ، الموصل ، ١٩٨٨م .
الغزالي : محمد :
ـ خلق المسلم ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٩٥٣م .
غوستاف لوبون :
ـ حضارة العرب ، نقله الى العربية ، عادل زعيتر ، ط ٣ ، دار إحياء

الكتب العربية ، عيسى الياس الحلبي وشركاءه ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
فاروق عمر فوزي ومليحة رحمة الله ومفيد محمد نوري :
ـ النظم الإسلامية ، ( دراسة تاريخية ) ، منشورات دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٧م .
الفتلاوي : سهيل حسين :
ـ تطور الدبلوماسية عند العرب ، دار القادسية للطباعة ، بغداد ، (ب.ت) .
فخري الدباغ وقيس عبدالفتاح :
ـ علم النفس العسكري ، جامعة بغداد ، ١٩٨٦م .
فليب حتي :
ـ تاريخ العرب ( مطول ) ، ط ٤ ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، (ب.ت) .
قباري محمد اسماعيل :
ـ علم الاجتماع السياسي ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٠م .
قرني طلبة بدوي :
ـ جواهر السيرة النبوية ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة (ت.ب) .
قيس مغشغش :
ـ الروح المعنوية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٣ .
القيسي : نوري حمودي :
ـ الفروسية في الشعر الجاهلي ، مطابع دار التضامن ، بغداد ، ١٩٦٤ .
الكاندهلوي : محمد يوسف :
ـ حياة الصحابة ، دار صعب ، بيروت ، (ب.ت) .
الكروي : ابراهيم سلمان وعبدالتواب شرف الدين :
ـ المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ، منشورات ذات السلاسل ، ط ٢ ، الكويت ، ١٩٨٧ .
محفوظ ، محمد جمال الدين ، اللواء :
ـ المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، الهيئة

المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
محمد حسين هيكل :
ــ حياة محمد ( ﷺ ) ، ط ١٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي :
ــ أيام العرب في الإسلام ،منشورات المكتبة العصرية ، ط ٤ ، بيروت ، ١٩٧٤ .
محمد عبده :
ــ نهج البلاغة ، مجموع ما اختاره الشريف الرضي ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٦ .
محمد عاطف السعيد :
ــ فصول في علم النفس العسكري ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
محمد فرج :
ــ المدرسة العسكرية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ .
ــ الاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، النظرية والتطبيق ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧٥ .
محمد كرد علي :
ــ الإسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
محمد عزة دروزه :
ــ سيرة الرسول ( ﷺ ) ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
محمود أحمد محمد سلمان :
ــ الجيش والقتال في صدر الإسلام ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، ١٩٨٧ .
المشهداني : محمد جاسم حمادي
ــ رواية بشر بن مروان حول حرب بني شيبان ، ( دراسة وتحقيق ) ، بغداد ، مطبعة سللو ، ١٩٨٨ .
المعاضيدي : عبدالقادر سلمان ود. محمد جاسم الشمهداني
ــ عثمان بن عفان ، ذو النورين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،

١٩٨٩ .
المولى : محمد أحمد جاد وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم
ـ أيام العرب في الجاهلية ، دار الفكر للطباعة ، ١٩٤٢م .
ناجي معروف :
ـ المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٠ .
نخبة من الباحثين :
ـ الجيش والسلاح ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٨ .
هاشم يحيى الملاح :
ـ الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، جامعة الموصل ، ١٩٩١ .
وداد ناجي :
ـ الجذور التاريخية للفكر العربي الاشتراكي ، عصر صدر الإسلام ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠ .
ياسين سويد :
ـ الفن العسكري الإسلامي ( أصوله مصادره ) ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٩٨٨ .

## المراجع العسكرية :

جان بيريه :
ـ الذكاء والقيم المعنوية في الحرب ، تعريب أكرم ديري والهيثم الايوبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .
حمودات ، مكي مصطفى :
ـ الادارة الحديثة ومدخلها في القوات المسلحة ، المطابع العسكرية ، بغداد ، ١٩٨٥ .
صامونيل هيتز :
ـ تولي القيادة ، ترجمة سامي هاشم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ .

العبيدي ، سعد خضير :
ـ ملاحظات في تقويم الحالة المعنوية ، إصدارات مديرية التوجيه المعنوي ، بغداد ، ب.ت .
علاء حسين مكي خمس ، اللواء :
ـ أفكار حول الحرب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧ .
ـ التفوق العددي ضرورة موضوعية أم حالة نسبية ، المطابع العسكرية ، بغداد ، ب.ت .
فوللر ، جـ . ف فوللر :
ـ إدارة الحرب ، تعريب وتعليق أكرم ديري - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٦٣ .
كارل كلاوزفيتز :
ـ الوجيز في الحرب ، ترجمة أكرم ديري والهيثم الايوبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ .
كنعان خورشيد :
ـ الهجوم المباغت ، كتاب مترجم ، اصدارات مديرية التطوير القتالي ، وزارة الدفاع ، بغداد ، ١٩٨٥ .
كولنيز ، جون أم كولينز :
ـ السَوْقُ الاكبر ، ترجمة علاء مكي خماس ، مديرية التطوير القتالي ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٨٥ .
محمد فتحي أمين ، الفريق :
ـ الحرب والمعنويات ، المطابع العسكرية ، بغداد ، ١٩٨٩ .
مديرية التطوير القتالي :
ـ أُسس استخدام القوة ، كراسة رقم (٣٩٣) ، وزارة الدفاع ، بغداد ، ١٩٨٧ .
ـ التدريب للحرب ، كراسة عسكرية ، المطابع العسكرية ، بغداد ، ١٩٨٩ .
منير شفيق :
ـ علم الحرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ .

مونتغمري :
ـ الحرب عبر التاريخ ، تعريب فتحي عبدالله النمر ، مكتبة الإنكلوالمصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
الوفي ، حارث لطفي :
ـ مبادىء الحرب ، ( دراسة مقارنة ) ، إصدارات مديرية التطوير القتالي ، وزارة الدفاع ، بغداد ، ١٩٨٥ .

## المعاجم والموسوعات :

أسعد مرزوق :
ـ موسوعة علم النفس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ .
البكري ، أبو عبيده عبدالله بن عبدالعزيز ( ت : ٤٨٧هـ ) :
ـ معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .
حسنين محمد مخلوف :
ـ صفوة البيان ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ط ٣ ، الكويت ، ١٩٨٧ .
ـ كلمات القرآن ، تفسير وبيان ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ب.ت .
الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت ( ت : ٦٢٦هـ ) :
ـ معجم البلدان ، جـ ٥ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ .
ابن دريد ، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ( ت : ٣٢١هـ ) :
ـ جمهرة اللغة ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧ .
الرازي ، محمد بن أبي بكر عبدالقادر ( ت : ٦٦٦هـ ) :
ـ مختار الصحاح ، دار الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٣ .
الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ( ت : ١٢٠٥هـ ) :

ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، ب. ت .

محمد فؤاد عبدالباقي :

ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، دار ومطابع الشعب ، ب . ت .

محمد مصطفى محمد :

ـ الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم ، مطبعة الخلود ، ط ٢ ، بغداد ، ١٩٨٤م .

منصور علي ناصف :

ـ التاج الجامع للوصول في حديث الرسول ( ﷺ ) ، دار التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٢ .

اليسوعي ، لويس معلوف :

ـ المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، ط ٥ ، ب. ت .

المجلات :

ـ جرجي زيدان ، علم الفراسة الحديث ، مجلة وكتاب الهلال ، العدد ٤ ، لسنة ١٩٥٤ .

ـ محمد جبار العبيد ، السلاح ، للأصمعي ، مجلة المورد ، المجلد ٢١٦ ، العدد ٢ ، السنة ١٩٨٧ .

ـ يحيى الجبوري ، عناصر الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد ٣ ، لسنة ١٩٧٢م .

المراجع الاجنبية :

(1) Miller, CD. & from, M. Industrial Sociolgy. New York Harper. Row Publishers. 1964, P. 370.

(2) Bertram H. Raven & Jellery Z. Rubin, Social Puschology second Edition, U.S.A, 1983, . 505.

# الفهـــرست

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة



تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

## صدر للمؤلف

١ ـ احتياطي العراق المضموم ـ دار الشؤون الثقافية .
٢ ـ لوحة الانتصار ـ دار الشؤون الثقافية .
٣ ـ الشخصية العسكرية القيادية ـ دار الشؤون الثقافية .
٤ ـ الصراع النووي ـ بغداد .
٥ ـ القنفذ ـ قصة البرنامج النووي الإسرائيلي ـ دار الشؤون الثقافية .
٦ ـ رجال المهمات الصعبة ـ مديرية التطوير القتالي
٧ ـ التدريب في منظور القائد صدام حسين ـ مديرية التطوير القتالي .
٨ ـ جوهر أفكار الحرب عند العرب ـ بغداد .
٩ ـ أضواء معاصرة على معركة ذي قار الخالدة ـ مديرية التطوير القتالي .


وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٩٨

الغلاف : نائل الحديثي
تنفيذ : زكية حسين

السعر : ٦٠٠ دينار

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة